بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة آل البيت
كلية الآداب
قسم اللغة العربية

صورة المرأة في روايات سحر خليفة

The Image Of The Woman In Sahar Khalifas Novels

مقدمة من الطالب :

وائل علي فالح الصمادي

الرقم الجامعي "٠٣٢٠٣٠١٠٠٢"

بإشراف الأستاذ الدكتور : شكري عزيز الماضي

الملخص

صورة المرأة في روايات سحر خليفة

إشراف : الأستاذ الدكتور : شكري عزيز الماضي

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف إلى صورة المرأة في روايات سحر خليفة، وهي صورة متنوعة متعددة، لها قضايا وأبعاد مختلفة، عن طريق الربط بين " الشخصية / الأداة " ورؤية الكاتبة الكلية الشمولية، وهي قضية نقدية مهمة تمكن من الكشف عن العلاقة بين الرؤية و التشكيل الفني .

وقد بحثت هذه الرسالة، عن نوع العلاقة بين صورة المرأة، ومنظومة القيم الاجتماعية السائدة . وقد فرض هذا تقسيم البحث " الرسالة " إلى مقدمة وتمهيد ، وثلاثة فصول ، وخاتمة أتبعتها بالمصادر و المراجع ، وفي التمهيد ، قدمت لأهم المفاصل في حياة الكاتبة، وتبعه الفصل الأول ، " قضايا المرأة في روايات سحر خليفة " وقد قسم هذا الفصل إلى المحاور التالية: أولاً : تحقيق الذات

ثانياً : القضية الاجتماعية

ثالثاً : القضية الوطنية

حيث كشفت هذه المحاور، عن أهم قضايا المرأة التي طرحتها الكاتبة، وناقشتها في رواياتها المختلفة بصراحة وشفافية .

أما الفصل الثاني ، " النماذج النسوية في روايات سحر خليفة " ، فقد قسم إلى المحاور التالية: " المرأة المثقفة ، الأم ، العاملة ، المناضلة ، المومس ، الرمز "، حيث كشفت هذه المحاور عن أهم صور المرأة في الروايات ، وعن دلالات الصورة فيها .

أما الفصل الثالث ، " رسم صورة المرأة في روايات سحر خليفة " ، فقد قسم إلى المحاور التالية : أولاً : الأسلوب التصويري

ثانياً : الأسلوب الاستبطاني

ثالثاً : الأسلوب التقريري

رابعاً : التقنيات

حيث كشف هذا الفصل عن الأساليب التي استخدمتها الكاتبة في رسم الشخصيات، وعن الطريقة التي قدمت بها الشخصية، والأسلوب المستخدم ، ارتباطاً مع رؤية الرواية .

أما الخاتمة فكانت تكثيفاً لأهم النتائج التي توصل إليها البحث، وقد بذلت جهدي في أن يخرج هذا البحث على أتم صورة، و الله ولي التوفيق .

الفهرس

* الإهداء ٥
* المقدمة ٦
* تمهيد ١٠
* الفصل الأول : قضايا المرأة في روايات سحر خليفة ١٦
أولاً : تحقيق الذات ١٦
ثانياً : القضية الاجتماعية ٢٣
أ- قضية المرأة العاملة ٢٤
ب- قضية البغاء و الدعارة ٢٦
ج- قضية ضرب المرأة و التعرض لها بالأذى
الجسدي و النفسي ٣١
د- قضية الذكورة و الأنوثة ٣٢
هـ- قضية إكراه البنت على الزواج ٣٣
و- قضية حرمان البنت من الميراث ٣٤
ثالثاً : القضية الوطنية ٣٥
* الفصل الثاني : النماذج النسوية في روايات سحر خليفة ٤٦
أولاً : المرأة المثقفة ٤٩
ثانياً : المرأة الأم ٦٠
ثالثاً : المرأة العاملة ٧٥
رابعاً : المرأة المناضلة ٨٣

خامساً : المرأة المومس ٩٦
سادساً : المرأة الزوجة ١٠٠
سابعاً : المرأة الرمز ١٠٧
* الفصل الثالث : رسم صورة المرأة في روايات سحر خليفة ١٢١
أولاً : الأسلوب التصويري ١٢١
ثانياً : الأسلوب الاستبطاني ١٣٦
ثالثاً : الأسلوب التقريري ١٤١
رابعاً : التقنيات ١٤٥
- الخاتمة ١٤٩
- قائمة المصادر و المراجع ١٥١

الإهداء

إلى الصابرة أمي ، التي صلبها المرض على فراش العجز ٠٠٠

إلى أبي ٠٠٠

إلى زوجتي التي كافحت معي ، وعاشت إنجاز هذا العمل خطوة خطوة ٠٠٠

إلى أبنائي ، المشاكس سند ، والأمورة دانا ٠٠٠

إلى أخوتي ، وأخواتي ٠٠٠

أهدي هذا العمل المتواضع ٠٠٠

وائل

المقدمة

تعد سحر خليفة كاتبة متميزة على الصعيدين العربي و العالمي . حيث لاقت رواياتها المختلفة شهرة واسعة في العالم العربي و العالم، وقد ترجمت رواياتها إلى لغات عدة، لأنها صورت مشكلات الإنسان وهمومه وقضاياه المختلفة، وخصوصاً مشكلة المرأة في العالم العربي والشرقي ، التي عانت وما زالت تعاني، من تسلط الرجل وظلمه . وطالبت بتحررها وتعليمها وإخراجها إنساناً سوياً للمجتمع، يساهم بحركة التطور فيه ، بدلاً من أن تظل متقوقعةً على نفسها تعاني الإهمال و النسيان .

وقد استطاعت الكاتبة من خلال رواياتها المختلفة، أن ترسم لنا شخصيات ذات أبعاد إنسانية، شخصيات إنسانية بضعفها وقوتها، وخوفها وانكسارها ، وأحلامها وإصرارها على الحياة و المقاومة، لها سماتها وملامحها الفلسطينية والإنسانية، شخصيات تعيش في الواقع وتتحرك ضمن أبعاده، تقاوم وتتحدى وتصمد في وجه المحتل الغاشم، الذي يريد طمس الشخصية العربية ، وتغيير ملامحها أولاً بأول، بحيث تصير شخصية ممسوخة مشوهة، بدون هوية أو ملامح خاصة .

واستطاعت الكاتبة خلال عدة عقود من الكتابة أن تعرض قضية المرأة وطالبت بتحريرها وتعليمها، وكان لها ملامحها وخصوصيتها ، وظلت تحمل هم القدس صليباً يثقل كاهلها متحملةً الكثير من الصعاب .

و يهدف هذا البحث إلى دراسة ظاهرة، " صورة المرأة في روايات سحر خليفة " ، لأن " صورة المرأة في الرواية أكثر رهافة وحساسية وأشد وضوحاً في تعبيرها عن الواقع من صورة الرجل " . ذلك أن الظروف التاريخية و الاجتماعية التي مرّ بها مجتمعنا جعلت حركة المرأة وتحررها مواكبة لحركة الوطن ، لذلك فإن من السهولة بمكان الربط بين الفكر الذي ينادي بتحرير المرأة وينادي بتحرير الوطن ، ذلك أن قضية المرأة إحدى الأطر العامة لتحرير الوطن النابعة من التصور الليبرالي

للإصلاح و التقدم من حيث إن تحرير الفرد ورقيه سبيل إلى تحرير المجتمع وتقدمه " [١] .

وسحر خليفة إحدى الروائيات العربيات السباقات إلى عرض قضية المرأة، و الحديث عن مشاكلها، و أزمتها، والمناداة بحريتها ومساواتها بالرجل، ولعل أهمية هذا البحث تكمن في الكشف عن " قضايا المرأة التي تقدمها الكاتبة " ، وعن الصور المتعددة التي تقدمها للمرأة، وعن الأساليب المتعددة، و التقنيات المتنوعة التي استخدمتها في رسم شخصياتها الروائية . " فالذي لا شك فيه أن " صورة المرأة " أكثر استقطاباً لحركة الواقع وأغنى دلالة لتحديد موقف الأديب منه " [٢] .

ومن خلال قراءتي لروايات سحر خليفة، لحظت فيها اهتمام الكاتبة الكبير بعرض قضايا المرأة، حيث لم تخل أية رواية من رواياتها الثماني، من الحديث عن قضايا المرأة ومشاكلها وهمومها، و المناداة بحريتها حيث لا سبيل إلى تحرير الوطن إلا بتحرير نسائه .

فأثارت في نفسي هذه الظاهرة مجموعة من التساؤلات وهي :

- ما أهم قضايا المرأة التي قدمتها الكاتبة ؟
- هل كانت الصور التي قدمتها الكاتبة للمرأة صوراً متميزة ؟
- ما الأساليب التي استخدمتها الكاتبة في رسم شخصياتها النسوية ؟

وتفرع عن هذه الأسئلة الرئيسية، أسئلة فرعية أخرى منها : هل امتلكت الكاتبة رؤية مستقلة ومميزة عن المرأة ؟ ما العوامل التي جعلت الكاتبة تمتلك رؤية خاصة ؟ هل لدى الكاتبة أسلوب معين في رسم شخصية المرأة ؟و ما الذي فرض هذا الأسلوب ؟ وما دور هذا الأسلوب في بيان التطور الفني عند الكاتبة ؟ .

وقد فرضت هذه الأسئلة تقسيم البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة . وقد تحدثت في التمهيد عن أبرز المحاور في حياة الكاتبة سحر خليفة، وقد اعتمدت في

---

[١]- وادي طه ، صورة المرأة في الرواية المعاصرة ، الطبعة الأولى ، مركز كتب الشرق الأوسط ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص ٥٨ .

[٢] - وادي طه ، صورة المرأة في الرواية المعاصرة ، مرجع سابق ص ٥٦ .

هذا التمهيد على سيرتها الذاتية التي نشرتها في رسالتها للدكتوراه. وأول هذه الفصول " قضايا المرأة في روايات سحر خليفة " يحاول الإجابة عن السؤال الأول فيقدم قضايا المرأة التي طرحتها الكاتبة وهي : تحقيق الذات ، القضية الاجتماعية ، القضية الوطنية ، وتنبع أهمية هذا الفصل بأنه يشكل مدخلاً للبحث، وينطلق منه للمحاور الرئيسية التي يعالجها .

أما الفصل الثاني " النماذج النسوية في روايات سحر خليفة " ، فيحاول الإجابة عن السؤال الثاني، فهو يعرض لصور المرأة في روايات سحر خليفة، وقد قسمت الصور حسب أهمية القضية التي تقدمها الشخصية، فقد تكون الشخصية أماً ومناضلة في الوقت نفسه، فتقدم القضية الأهم بالنسبة للشخصية، وقد شمل هذا الفصل المحاور التالية : المرأة المثقفة ، المرأة الأم ، المرأة العاملة ، المرأة المناضلة، المرأة المومس ، المرأة الرمز . وقد وقفت عند هذه الصور بشكل مفصل لـ أبين أبعادها وأنواعها ، حيث يحاول هذا الفصل توضيح العلاقة بين الصورة المقدمة للمرأة ، و الرؤية العامة للرواية وبنائها العام بحيث لا ينفصل ذلك عن السياق الاجتماعي و السياسي الذي ظهرت فيه الشخصية .

ويسعى الفصل الثالث وعنوانه " رسم صورة المرأة في روايات سحر خليفة " للإجابة عن السؤال الأخير، ويهدف إلى معرفة الأسلوب الذي اتبعته الكاتبة في رسم شخصياتها، وقد قسم إلى المحاور التالية : الأسلوب التصويري ، الأسلوب الاستبطاني ، الأسلوب التقريري وأخيراً التقنيات المستخدمة في الروايات .

و يركز هذا الفصل على الأدوات التي استخدمتها الكاتبة في رسم الشخصيات، ويحاول بيان سبب اختيار الكاتبة لأسلوب ما دون غيره . وقد حاولت بيان سبب انتقال الكاتبة من أسلوب إلى آخر، وعلاقة ذلك بالرؤية الفنية والسياق الاجتماعي و السياسي العام . وتلا الفصل الثالث الخاتمة التي جاءت موجزة، وبينت أهم النتائج التي توصل إليها البحث .

وقد بذلت في إعداد هذا البحث الكثير من الجهد ، فقد تبين لي أن الكتابات العربية في الرواية تتجه إلى التوصيف و النقد المدرسي ، مبتعدةً عن النقد العلمي الذي

يتبع المنهج العلمي الصحيح، بالإضافة إلى قلة الدراسات التي تتناول أساليب رسم الشخصية الروائية، وقد استفدت من مجموعة من الدراسات الموازية المهمة ومن أهمها: " صورة المرأة في الرواية المعاصرة " لطه وادي، و" روايات سحر خليفة " لنسرين الشنابلة ، مع العلم بأن الباحثة قد توقفت في دراستها عند رواية باب الساحة، وكانت في دراستها تميل إلى التوصيف أكثر من النقد العلمي الصحيح . بالإضافة إلى دراسة فريال كامل سماحة ، " رسم الشخصية في روايات حنا مينة " ، التي أشرف عليها أستاذنا الدكتور شكري عزيز الماضي .

ومما يضيق على الباحث في هذا المجال عدم وجود تعريفات ثابتة لمصطلحات الرواية في الأدب العربي، وقلة الدراسات التي تتحدث عن إنتاج الكاتبة بشكل منهجي، بالرغم من أهميته ، حيث ترجمت روايات الكاتبة إلى معظم اللغات العالمية .

وقد فرضت عليّ دراستي لصورة المرأة في روايات سحر خليفة، ودلالتها ووظيفتها، وتفاعلها مع بقية عناصر الرواية ، في تشكيل الرؤية الفنية للكاتبة ، بحيث إن هذه الرؤية لا يمكن أن تفهم بعيداً عن السياق الاجتماعي و السياسي و الحضاري، وقد ملت إلى اتباع المنهج الاجتماعي في معالجة النصوص .

و ظهرت في هذا البحث مشكلة إجرائية مهمة ، وهي أنه لا يمكن الفصل بين قضية الشخصية وصورتها وطريقة رسمها ، مع الإبقاء على وظيفتها في بناء الرواية، وقد حاولت التغلب على هذه المشكلة، من خلال دراسة قضية الشخصية وعلاقتها بالرؤية العامة للنص . ومن خلال الحديث عن السياق الاجتماعي و السياسي للشخصية ، مع مراعاة علاقة الجزء بالكل .

وفي الختام أود وأقدم خالص شكري وامتناني واعترافي بالفضل والجميل ، للأستاذ الدكتور شكري عزيز الماضي ، الذي أشرف على هذا البحث من بدايته وحتى نهايته ، وتابعه أولاً بأول ، فقد غمرني بعلمه وفضله وقدم لي خلاصة تجاربه وكتاباته النقدية في فن الرواية ، الذي يعد من أخطر الفنون في هذا العصر ، حيث وجهني بنقده العلمي الدقيق وملاحظاته الشفافة وقدم لي الكثير .

هو البحر من أي النواحي أتيته فلجته المعروف و الجود ساحله .

فله مني كل الشكر و الاعتراف بالجميل ، كما وأشكر لجنة المناقشة الكريمة ، التي قبلت مناقشة هذا البحث ، وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور زياد الزعبي من جامعة اليرموك ، والأستاذ الدكتور نايف العجاوني ، والدكتور عبد الباسط مراشدة ، فلهم مني كل الشكر والتقدير ، كما وأشكر كل من ساهم في إعداد هذا البحث ولو بالقليل ، وأخص بالشكر زوجتي التي طبعت هذا البحث ، وتابعت خروجه إلى النور أولاً بأول ، ومعلمي اللغة الإنجليزية في مدرسة جرش الثانوية ، الذين لم يبخلوا علي بترجمة السيرة الذاتية للكاتبة ، كما وأشكر إدارة المدرسة ، التي تعاونت معي في جمع معلومات البحث ، فإن كنت قد أصبت فالله الموفق للصواب ، ولي أجران ، وإن كنت قد أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان ، ولي نصيب المجتهد ، والله ولي التوفيق .

تمهيد * [١]

ولدت سحر خليفة في الخامس عشر من كانون الثاني عام ١٩٤١، وكان ترتيبها البنت الرابعة في العائلة ، وقد صدمت العائلة بمولدها لأن الأب كان ينتظر مولوداً ذكراً، يحمل اسمه واسم العائلة ويرث ممتلكاته من بعده . وتتوالى المصائب على العائلة – على حد تعبير الكاتبة - ليصل عدد البنات إلى ثماني بنات، تكون هي أوسطهن. وتعيش الأسرة جواً من الحزن و الترقب ، فالأب في المجتمع الشرقي يعد أبتر إذا لم ينجب ولداً ذكراً يحمل اسمه، و الأم تشعر بالذنب و الخيبة لأنها لا تستطيع أن تنجب ولداً ذكراً يحمل اسم العائلة .

بعد هذا العدد الكبير من البنات يولد الذكر الوحيد في العائلة، الذكر الذي " يتبول الكولونيا " ويستقبل هذا الولد الذكر بالكثير من الحفاوة و التكريم، وتشعر سحر بالتمييز الحاد بين الذكر و الأنثى في المجتمع الشرقي، و تظل هذه الفكرة مسيطرة على شعورها، حيث لم تستطع أن تتخلص منها فظهرت في رواياتها بشكل نمطي يتمثل في تسلط الرجل على المرأة.

وعائلة سحر عائلة أرستقراطية غنية كانت تعيش في مدينة نابلس بفلسطين، أبوها رجل ميسور الحال يمتلك ثروة ويحتل مكانة متميزة بين الناس . كان يعيش في قصر جميل في حي " بليبوس " في الجبل الشمالي من مدينة نابلس، تحيط به حديقة خلابة مزروعة بالأشجار المثمرة وأشجار الزينة، وكان الأب يحب الموسيقى ويستمع إلى الغناء، فانتقل حب الغناء إلى البنات، وكانت سحر ذات صوت جميل.

عرفت سحر فتاة متمردة في العائلة، فهي ترقص وتغني في مجتمع ينظر إلى الغناء بنوع من الحساسية و الريبة، فأثارت القلق في العائلة ونعتت " بالوقحة " و وضعت في مدرسة داخلية في القدس، تديرها راهبات مسيحيات قاسيات علهن يستطعن إصلاحها ، ولكن الراهبات فشلن في ذلك.

---

* - اعتمد هذا التمهيد عن حياة الكاتبة سحر خليفة ، بشكل رئيس على سيرتها الذاتية ، التي كتبتها بالإنجليزية ، My Story Biographical Account. وهي موجودة ضمن رسالتها للدكتوراه . Sahar Khaleefeh, Women Of No Mans Land Ph. D. Thesis , University Of Iowa, Iowa City ,1988 . وهذه السيرة موجودة في رسالة نسرين الشنابلة ، روايات سحر خليفة ، إشراف الدكتور عبد الرحمن ياغي . كانون الأول / ١٩٩٣ في الملاحق ، وتحمل الملحق رقم (٢" . ص ٢٤٣. واعتمدت على رواياتها "مذكرات امرأة غير واقعية " لأنها نوع من رواية السيرة الذاتية .

وتكبر سحر وتدخل في حب مراهق مع ابن الجيران وتكتشف بأن الحب ليس وقاحة كما ينعته الأهل و الناس . فلم يجد الأهل حلاً سوى الخلاص من هذه المصيبة ،عن طريق تزويجها بعد أن أنهت دراستها الثانوية . غادرت مع زوجها إلى ليبيا وهناك بدأت مرحلة جديدة في حياتها، اكتشفت فيها أن زوجها مقامر و سكير ، كان يشك بها ويغار منها ويمزق كتبها ويمنعها من القراءة و الكتابة ، ويضربها عندما يعود ليلاً إثر مقامرة خاسرة ، وهذا الرجل حطم قلبها قبل أن يحطم رأسها .

لكن هذا الزواج التعيس، لم يدفعها إلى الإحباط و اليأس و الاستسلام للواقع فاستغلت وقتها في القراءة و الرسم و التعلم ، و درست السكرتارية ، و تعلمت الطباعة ، وعملت في إحدى الشركات، وخلال فترة زواجها أنجبت ابنتين جميلتين هما لينا ونوار، و جمعت مبلغاً من المال استطاعت من خلاله العودة نهائياً إلى نابلس، ومن ثم طلقت زوجها لأن العصمة كانت بيدها كما ينص على ذلك عقد الزواج، مع العلم بأن زواجها استمر ثلاث عشرة سنة، فكان زواجاً تعيسا وحزيناً .

عادت إلى نابلس، وفي هذه الأثناء نشرت روايتها الأولى " لم نعد جواري لكم " ، بدار المعارف في مصر وكان ذلك عام ١٩٧٤م ، وعندما عادت إلى نابلس رفضت العائلة الطلاق لأن طلاق المرأة يعد نوعاً من العار في المجتمع الشرقي، ولكنها أصرت على قرارها ولم تتراجع عنه، وسكنت في قبو منزل والدها هي وبناتها وعملت على إنشاء حضانة للأطفال ، وأصبحت مع مرور الوقت روضة أطفال، فمكنها هذا المشروع من العيش دون مساعدة أحد .

تقول سحر في سيرتها : بأن هناك ثلاثة أحداث رئيسية غيرت نظرتها إلى الحياة، بحيث مكنتها تلك الأحداث من تفهم موقف أمها بشكل صحيح.

الأول : حادث السيارة الذي تعرض له أخوها الوحيد وهو في سن السادسة عشرة، مما أدى إلى أصابته بالشلل التام ، فأدى ذلك إلى إحباط الأم ويأسها من الحياة .

الثاني : ترك الوالد للمنزل وزواجه من فتاة شقراء صغيرة .

الثالث : هزيمة حزيران عام ١٩٦٧م ، واحتلال إسرائيل لما تبقى من أرض فلسطين .

كان لهذه العوامل أثر كبير في حياة سحر خليفة ، حيث انخرطت في دوائر اليسار الفلسطيني .

قرأت سحر الكتب الوجودية وتأثرت بها، ويبدو هذا واضحاً في روايتها الأولى " لم نعد جواري لكم " ، ولكن هذا لم ينسها واقع الوطن الذي يئن تحت وطأة الاحتلال الصهيوني ، وخصوصاً بعد فشل حركة التحرر الوطني العربي بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧.و تعاني سحر من الاحتلال ما تعاني، فتعيش هموم الناس ، وتشاهد آلاف المشردين و المطرودين و المهجرين من أراضيهم ، فيؤثر ذلك في نفسها أشد الأثر .

تتابع سحر تعليمها في جامعة بير زيت، وتلتحق بقسم الأدب الإنجليزي الأمريكي، فتعود سحر تلك الطالبة المنطلقة من جديد، تغني،و ترقص، وترحل إلى رام الله قريباً من الجامعة ، وفي الجامعة تشرف على نشرة الطلبة، وتكتب الأغاني وتلحنها، وتهتم بالمسرح و التمثيل . و في الجامعة تعيش قصة حب جديدة تستمر أربع سنوات، تكتشف بعدها أن الرجل الذي أحبته ككل الرجال أناني لا يحب إلا نفسه، وفي هذه الفترة تندفع سحر إلى حياة الناس والعمال وتصدر عملها الثاني الصبار عام ١٩٧٦. الذي يجسد وعياً اجتماعياً وسياسياً تفضح من خلاله النظم الطبقية الموجودة في المجتمع.

وتحصل على درجة البكالوريوس في الأدب الإنجليزي، ومن ثم تصدر عملها الثالث عباد الشمس عام١٩٨٠ بدعم من الجامعة ،و تحصل بعد ذلك على منحة لدراسة الماجستير عام ١٩٨١ في ولاية كارولينا الشمالية الأمريكية، وتحصل على درجة الماجستير في الأدب الإنجليزي والأمريكي، وتصدر بعد ذلك روايتها الرابعة مذكرات امرأة غير واقعية عام١٩٨٦. وهي أشبه بالسيرة الذاتية. وتلتحق بعد ذلك بجامعة " أيوا " وتشارك في برنامج الكتاب الدولي حيث تهيئ لها الجامعة كافة التسهيلات من أجل الكتابة و التحاور وتبادل الخبرات .

ومن ثم تحضر لبرنامج الدكتوراه حيث تتخصص في العلوم الاجتماعية و الإبداع. وختمت هذا البحث بقصة حياتها الذي اعتمدت عليه بشكل كبير في الحديث عن سيرتها الذاتية. وتعود بعد ذلك إلى عمان، ومن ثم إلى نابلس وتقيم مع بعض

صديقاتها مركزاً للدراسات " مركز الدراسات النسوية " عام١٩٨٩. وتصدر مجلة فصلية تحمل اسم " شؤون المرأة " صدر عددها الأول عام ١٩٩١.

وفي أثناء عملها في المركز تصدر روايتها الخامسة " باب الساحة " عام ١٩٩٠.من قلب الانتفاضة فتتحدث في هذا العمل الروائي الذي يعتمد على الاستبيان عن هموم المرأة التي زادت مع الانتفاضة . وتتابع سحر عملها الكتابي فتصدر عام ١٩٩٧ رواية " الميراث " بعد اتفاقية أوسلو، تنتقد فيها الاتفاقية حيث ما تزال الحواجز قائمة ونقط التفتيش ، و الشعب الفلسطيني يعاني من الفقر و البطالة والضياع . و تصدر بعدها رواية " صورة وأيقونة وعهد قديم " عام ٢٠٠٢. وفي هذه الرواية تعالج قضية القدس التي تتعرض للسلب و التخريب و التهويد وصولاً إلى تدمير هويتها العربية الإسلامية، ومن ثم تصدر آخر رواياتها " ربيع حار "، رحلة الصبر و الصبار "، بعد انتفاضة الأقصى وحصار مقر الرئيس ياسر عرفات في رام الله عام ٢٠٠٤ م .

وبذلك يكون للكاتبة امتداد زمني كبير وواسع ،مر بمراحل مفصلية في تاريخ القضية الفلسطينية، بدأ من عام ١٩٧٤ وامتد إلى عام ٢٠٠٤ . بدأ ذلك بإصدار رواياتها الأولى " لم نعد جواري لكم "، من قبل دار المعارف في القاهرة عام ١٩٧٤ . وصدرت الطبعة الثانية لهذه الرواية عام ١٩٨٨ من قبل دار الآداب في بيروت . واعتمدت في دراستنا لهذه الرواية على الطبعة الثانية الصادرة عن دار الآداب بيروت عام ١٩٩٩.و كانت الكاتبة في الفترة التي أصدرت فيها روايتها الأولى متأثرة بالأدب الوجودي، حيث تحدثت في هذه الرواية عن الطبقة البرجوازية المتعلمة في فلسطين في فترة الستينيات قبل حرب حزيران .

ومن ثم صدرت روايتها الثانية " الصبار " عن دار جاليليو عام ١٩٧٦م في مدينة القدس، وصدرت الطبعة الثانية عن دار ابن رشد عام ١٩٧٨م في بيروت، وصدرت الطبعة الثالثة منها عن دار الجليل عام ١٩٨٤في دمشق، وصدر منها طبعة عن دار الآداب في بيروت دون تاريخ ودون رقم طبعة . ومن ثم صدرت طبعة ثانية عن دار الآداب عام ١٩٩٩م ، وهي الطبعة المعتمدة في هذه الدراسة. وفي هذه الفترة

تلتحم الكاتبة مع العمال الفلسطينيين الذين يعملون في المصانع الإسرائيلية وتتعرف إلى مشاكلهم اليومية، ومصاعب الحياة التي تواجههم .

تصدر بعد ذلك روايتها الثالثة " عباد الشمس " الطبعة الأولى عن دار الكاتب عام١٩٨٠ م في القدس. وتصدر أيضاً عن منظمة التحرير الفلسطينية دائرة الأعلام و الثقافة عن دار الفارابي عام ١٩٨٠ م ،وهي الطبعة المعتمدة في هذه الدراسة . وتصدر طبعة ثانية عن دار الفارابي في بيروت عام ١٩٨٥ م . ومن ثم تصدر طبعة ثالثة عن دار الآداب بيروت عام ١٩٨٧م . حيث تعد رواية "عباد الشمس " الجزء الثاني المكمل لرواية " الصبار " وتمتد فيها شخصيات من رواية " الصبار" من مثل : سعدية ونوار الكرمي وعادل الكرمي ... الخ .

وتصدر بعد ذلك الطبعة الأولى من روايتها الرابعة " مذكرات امرأة غير واقعية " عن دار الآداب عام ١٩٨٦م في بيروت ، وقد اعتمدت في دراستي على الطبعة الثانية الصادرة عن نفس الدار عام ١٩٩٢م. وتصدر بعد ذلك روايتها الخامسة الطبعة الأولى " باب الساحة " عن دار الآداب عام ١٩٩٠م في بيروت ، وقد اعتمدت على الطبعة الثانية الصادرة عن نفس الدار عام١٩٩٩ م .حيث صدرت هذه الرواية في سياق الانتفاضة وتحدثت فيها الكاتبة عن هموم المرأة التي زادت خلال هذه الفترة .

و تصدر بعد ذلك روايتها السادسة " الميراث " ، الطبعة الأولى عام ١٩٩٧م عن دار الآداب ، بعد اتفاقية أوسلو وهي الطبعة المعتمدة في هذه الدراسة .و من ثم تصدر بعد ذلك روايتها السابعة " صورة وأيقونة وعهد قديم " عن دار الآداب في بيروت عام ٢٠٠٢م ، الطبعة الأولى وهي الرواية المعتمدة في هذه الدراسة . وأخيراً تصدر روايتها الثامنة " ربيع حار "، "رحلة الصبر و الصبار " بعد انتفاضة الأقصى عن دار الآداب في بيروت عام ٢٠٠٤م الطبعة الأولى ، وهي الطبعة المعتمدة في هذه الدراسة .

وبذلك نجد أن الكاتبة قد امتد إنتاجها على فترة زمنية مهمة و مفصلية في تاريخ القضية الفلسطينية ، تحدثت فيها عن قضايا الشعب العربي الفلسطيني تحت نير الاحتلال، وتحدثت بشكل خاص عن قضايا المرأة في ظل الاحتلال التي تعاني من

ظلمين : ظلم الرجل وظلم الاحتلال. مما فرض علينا الحديث عن أبرز القضايا التي طرحتها الكاتبة وهي : تحقيق الذات ، والقضية الاجتماعية ، و القضية الوطنية . فكان للكاتبة صوتها الروائي الخاص وخصوصيتها في الإبداع . [١]

[١]- ملحوظة : اعتمدت على الملحق رقم (١" ص ٢٤٢، في رسالة نسرين الشنابلة حول طبعات الروايات ومكان صدورها حتى عام١٩٩٠، ومن ثم أكملت الحديث عن الروايات ومكان صدورها من خلال الروايات نفسها .

الفصل الأول :

قضايا المرأة في روايات سحر خلفة

أولاً : تحقيق الذات

ثانياً : القضية الاجتماعية

ثالثاً : القضية الوطنية

الفصل الأول :

قضايا المرأة في روايات سحر خليفة

طرحت الكاتبة سحر خليفة قضايا المرأة المختلفة في رواياتها، ودافعت عن حقها في الحياة و التعليم و العمل و العيش بكرامة ،وطالبت بمساواتها بالرجل من الناحية الإنسانية، و بتحررها اقتصادياً عن طريق العمل و حقها في الميراث، ودافعت بقوة عن حق المرأة في الكرامة الإنسانية ومعاملتها فلا يجوز الاعتداء عليها بالضرب و الإيذاء الجسدي أو النفسي ، ومن أهم هذه القضايا التي عرضتها في رواياتها المختلفة : تحقيق الذات ، القضية الاجتماعية ، القضية الوطنية. فالمرأة " تعاني من سلطتين مزدوجتين هما سلطة الاحتلال، وسلطة الرجل " [١].

أولاً : تحقيق الذات :

يقصد بتحقيق الذات الحرية الفردية المطلقة، التي تعنى " بتحرر المرأة من الضوابط الاجتماعية، و الدينية، و الاقتصادية، القائمة على المعايير المزدوجة، و تتناول الصراع النفسي الذي تعانيه المرأة نتيجة الاضطهاد الذي تعيشه أو النزاع بين رغبتها بتحقيق ذاتها، و الاستسلام لسجنها الداخلي الذي ترسخت في أعماقه ذات المفاهيم التي تحاول محاربتها، و الخارجي الذي يحارب محاولة المرأة التحرر من المفهوم التقليدي للأنوثة " أي عن دورها المحدد كأم، وزوجة، ورحم ولود "[٢]. وظهر هذا في روايات سحر خليفة الأولى حيث كانت متأثرة بشكل كبير بالأدب الوجودي الذي كان شائعاً في ستينات القرن المنصرم بين الكتاب و الأدباء العرب، فطرحت القضية من خلال شخصيتين أساسيتين هما شخصية الفنانة سهى بركات في رواية لم نعد جواري لكم، وشخصية الصحفية رفيف في رواية " عباد الشمس " .

و الحرية كما يقول " هيجل " : " هي الحقيقة الوحيدة للروح في وعيها بذاتها، فليس لها وجود خارج ذاتها ؛ فوجودها في داخلها وضمن ذاتها هو وجود مكثف بذاته

---

[١]- شهاب أسامة ،القصة النسوية المعاصرة في الأردن وفلسطين ١٩٤٨- ١٩٨٨ وزارة الثقافة ، عمان ، الطبعة الأولى ٢٠٠٤ ،ص ٣٢٥ .

[٢]- الخالد كورنيليا ، " المرأة العربية : الإبداع النسائي، النظريات النسوية "، في خصوصية الإبداع النسوي ، أوراق عمل الإبداع النسائي الأول من ٢٣إلى ٢٦ آب ١٩٩٧، سلسة كتب ثقافية تصدرها وزارة الثقافة ، المملكة الأردنية الهاشمية ،كتاب الشهر ١٥ ، ٢٠٠١ ، ص ١٧ .

قادر على إبراز مكنونه بما له من قوة يعبر عنها على صفحة التاريخ " [١]. فالحرية عند هيجل وعي الروح بذاتها وإبراز العالم الداخلي للنفس الإنسانية بحيث تكون قوة مميزة على صفحة التاريخ، وقد عبرت الكاتبة عن هذه الحرية من خلال شخصية سهى بركات في رواية " لم نعد جواري لكم "، وهي تمثل ملمحاً رومانسيا في روايتها .

حيث " ترتبط الرومانسية بأنها وسيلة لتحرير الشخصية الفردية من القيود التي سحقتها في العصور الوسطى. وعلى الرغم من الفروق التي بدت بها في البلاد المختلفة نجد أن لها سمات مشتركة في كل مكان : شعور بالقلق الروحي في دنيا لا يستطيع الفنان أن يشعر فيها بالاستقرار وإحساس بالغربة و العزلة. نشأ عنه توق إلى قيام وحدة اجتماعية جديدة واهتمام بالشعب واحتفاء بالتميز المطلق للفرد و الذاتية التي لا تقف عند حد " [٢].

وقد طرحت الكاتبة هذه القضية من خلال شخصية الفنانة سهى بركات في روايتها الأولى " لم نعد جواري لكم " و تدور أحداث هذه الرواية في المكتبة التي افتتحتها سامية العائدة من الولايات المتحدة الأمريكية، في نابلس هي وأختها نسرين . حيث يلتف حولها مجموعة من المثقفين منهم الفنان الكبير عبد الرحمن المثيلوني، و سميرة خريجة الجامعة الأمريكية، وفاروق خريج أكسفورد، و ايفيت زوجة شكري، و الصيدلاني بشار و الفنانة سهى بركات.

تمثل هذه الشخصيات الطبقة البرجوازية في المجتمع في فترة الستينيات حيث تشغلها مشاكلها الخاصة وهمومها الذاتية. و يتمثل حدث الرواية بعودة سامية من أمريكا بعد موت زوجها ولقائها بحبها القديم الفنان عبد الرحمن المثيلوني، حيث تركته إثر أول محنة يمر بها فهربت إلى أمريكا بعد موافقتها على الزواج من رجل ثري ، وبعد موته تعود إلى نابلس وتحاول أن تعيد علاقتها مع عبد الرحمن إلى سابق عهدها ولكنها تعود وتكرر الموقف نفسه عند تعرضه لمحنة جديدة .

---

[١]- الدليمي لطيفة ، " مفهوم الحرية في الإبداع خبرة الحرية في الأدب " ، في خصوصية الإبداع النسوي ، أوراق عمل الإبداع النسائي الأول من ٢٣إلى ٢٦ آب ١٩٩٧، سلسة كتب ثقافية تصدرها وزارة الثقافة ، المملكة الأردنية الهاشمية ،كتاب الشهر ١٥ ، ٢٠٠١ ، ص ٣٨.

[٢]- وادي طه ، صورة المرأة في الرواية المعاصرة ، مرجع سابق ، ص ١٥.

ونلتقي بسميرة خريجة الجامعة الأمريكية، وهي فتاة فقيرة، تعمل مدّرسة في مدرسة ثانوية ، تؤمن بالاشتراكية، وتقف إلى جانب الشعب الكادح، وتحقد على الطبقة الغنية في المجتمع، وهي مخطوبة لابن عمها الذي ذهب إلى إنجلترا ليتخصص في طب الأطفال، وهناك يتعرف إلى فتاة إنجليزية شقراء ، وعندما يعود إلى نابلس يتخلى عنها ويفسخ الخطوبة ولكنها تبقى متمسكة بمبادئها فلا تتخلى عن الفنان عبد الرحمن المثيلوني، عندما يتخلى عنه الجميع – وخصوصاً حبيبته سامية - .

ونلتقي بالفنانة سهى بركات السورية الأصل التي تتعرف إلى الصيدلاني بشار، وتقيم علاقة جنسية معه، ولكنها ترفض أن تتزوج منه لأنها لا تؤمن بالعلاقة الزوجية، ويعود ذلك إلى الطفولة البائسة التي عاشتها ، فأمها كانت تعاني الكثير من أبيها فكان يضربها بزنار الجلد، وتحاول الثورة على المجتمع الذي يغض الطرف عن الرجل ، ولا يسمح للمرأة بأقل هفوة فتدمن على المخدرات.

وهناك فاروق صاحب الحسب و النسب، خريج أكسفورد الذي يحاول أن يوقع ايفيت زوجة صديقه شكري في شباكه، ويوجهها إلى قراءة الروايات المنحلة ، محاولاً استغلالها للوصول إلى غرضه الجنسي، وفي النهاية تموت طفلة ايفيت ويلقى القبض على عبد الرحمن المثيلوني.

تطرح الكاتبة هذه القضية من خلال سهى ، فسهى فنانة مأزومة بقضية الفنان الذي يعتقد بأنه نصف إله، متعالٍ على البشر العاديين، فكيف ترتبط برجل، وتتزوج منه، وتكون أسرة ؟ فالقيد الأسري سيربطها وسيدمرها من الناحية الفنية فهي في صراع دائم بين ذات الفنان المبدعة التي تحاول السمو على البشر، وبين المجتمع الذي يحكمها بالزواج و الأسرة فتعيش في هذا الصراع الدائم، فلذلك ترفض الحياة التقليدية والزواج وتهرب إلى المخدرات .

فقضيتها قضية وجودية، و الوجودية عند " سارتر " من حيث الأساس تضاد بين الصدق و اليقين الفاسد. فاليقين الفاسد ينطوي على التظاهر أمام أنفسنا والآخرين بأن الأمور لا يمكن أن تكون بشكل آخر وإننا مقيدون بأسلوب حياتنا، وإننا لا نستطيع

الهرب حتى لو شئنا ذلك " [١] . فهي في صراع بين ذات الفنان والمجتمع حيث لا تستطيع الهروب من الواقع والمجتمع الذي يطالبها بالزواج ، وبين ذات الفنان التي تدفعها إلى الإبداع والسمو. فهي تشعر بعبثية الوجود بحيث تحاول إلغاء العقل عن طريق التشبث بالحلم وتعمل على " كشف الرغبات والمخاوف الدفينة على هيئة صور حية وسياق سردي مثير للدهشة لا يحده المنطق الذي يسود حياتنا الواعية " [٢].

حاولت الوصول إلى الحرية عن طريق الجنس و المخدرات تقليداً لبعض الفنانين السرياليين ، فقد استخدمت عدة أنواع من المخدرات في محاولة للهروب من الواقع " أنا لا أتعاطى نوعاً محدداً، كي لا يدمنه جسمي، فأنا أتعاطى شتى الأنواع، كل الأنواع، أي نوع يصادفني أو أستطيع الحصول عليه ! " [٣].

وكانت في صراع دائم مع نفسها ، فهي في صراع حاد بين نداء الجسد ونداء الروح، نراها متأثرة بالأفكار الصوفية، و الهندية القديمة التي تقول بوحدة الوجود الكلي و المطلق "عرفت بأن صراعي إنما هو محاولة فاشلة للوصول إلى الله و التقمص في شخصه قد أصل، ولكن للحظات، لأن جسدي يشدني، قشرتي تقوقعني، جذوري في الأرض تجذبني . حزني لم يسببه الفقر و الجوع، لم يسببه الغضب و التعب، لم يسببه نكران الناس وتحقيرهم ،حزني كان لضياع الإنسان بين الأرض و السماء ! " [٤].

شخصية مأزومة تسمو بالفن وتحلق في سمائه، ولكن إلحاح الجسد يجذبها نحو الأرض فتصبح نوعاً من المسخ فلا هي بالإله و لا هي بالإنسان ، طرفان يتجاذبان فلا هي في الأعلى فتكون في مصاف الإله ، ولا بالأسفل تتعايش مع البشر العاديين .

دائمة الألم و الحزن ، تحتقر القيد الترابي الذي يشدها إلى الأرض ، " أهذا أنا ؟ مجرد حثالة قذفها الله إلى الأرض ؟ وأكفر ... وأكفر وأعتب على السماء، ولكن عتبي يضيع سدى، فالسماء مكان الغيوم، و الأرض مكان البشر وما من أحد يعبأ

---

[١]- هنجلف آرنولد ب ،اللامعقول ، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة ، موسوعة المصطلح النقدي ، الطبعة الثانية ، منشورات وزارة الثقافة والأعلام – الجمهورية العراقية سلسلة الكتب المترجمة "١٢٠" دار الرشيد بغداد ١٩٨٢، ص٥٦٢.

[٢] - لودج ديفد ، الفن الروائي ، ترجمة ماهر البطوطي ، الطبعة الأولى ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٢ ، ص ١٩٨ .

[٣]- الرواية ، ص ١٦٩.

[٤]- خليفة سحر ، لم نعد جواري لكم ،ص ١١٢.

بضياعي وكفري ! أهذا ما تعنيه الحياة ؟ حيرة .. ضياع ؟ .. ما كل هذا الهم و النكد ؟ ما كل هذا التكرار الممل ؟ وحدة .. ضياع . " [١].

ومن خلال ما تقدم نستطيع القول : بأن الكاتبة استطاعت أن تقدم من خلال شخصية سهى بركات، وهي شخصية مأزومة مثقلة بالهموم قضية امرأة تبحث عن حريتها المطلقة ، فبحثت عن الحرية من خلال الجنس ، و المخدرات ، و الفن ، ولكنها لم تستطع الوصول إلى هذه الحرية وبقيت مثقلة بالهم و الحزن و الضياع و انتهت بعودتها من نابلس إلى سورية .

و تطرح القضية من خلال شخصية رفيف ، في رواية "عباد الشمس "، وهي الرواية الثالثة للكاتبة ، فكما اختارت الكاتبة في روايتها الأولى " لم نعد جواري لكم " المكتبة مكانا لالتقاء المثقفين ، فإنها اختارت في روايتها الثالثة "عباد الشمس مجلة " البلد " مكانا لهموم المثقفين ، وهموم المرأة ، التي تطرحها رفيف في زاوية المرأة .

تدور أحداث الرواية كما جاء على غلافها بعد حرب تشرين ١٩٧٣ م ، وتصور فترة حرجة في تاريخ القضية الفلسطينية، يقول الناشر " وتصور "عباد الشمس " فترة حرجة من حياة شعبنا في الضفة الغربية ، هي الفترة التي تلت حرب تشرين سنة ١٩٧٣ م وتتناول بصدق وجرأة علاقات المجتمع من خلال تداخلاتها اليومية في حياة الأفراد وأنماط التفكير ، لتذكر أن الهزات التي تصيب الشعوب إنما تطيح بالأبنية الاجتماعية المهترئة لتنهض من بعدها أفكار وعلاقات جديدة تحملها أجيال وطبقات جديدة " [٢] .

وتمتد الكثير من الشخصيات التي كانت في " الصبار" وتكمل طريقها في" عباد الشمس " مثل : عادل وباسل الكرمي وسعدية زوجة زهدي ، ونوار وبعض الجارات والجيران . وتستحدث الكاتبة شخصيات جديدة مثل : خضرة ، ورفيف .

فمن الشخصيات الباقية معنا سعدية أرملة زهدي ، التي باعت أساورها في " الصبار " لكي تطعم أطفالها ، ولم تجد بداً في "عباد الشمس " من العمل حتى تحقق

---

[١]- الرواية ، ص١٦٨.

[٢] - خليفة سحر، عباد الشمس ، الطبعة الأولى ، منظمة التحرير الفلسطينية دائرة الإعلام و الثقافة ، دار الفارابي بيروت ، ١٩٨٠ ،غلاف الرواية الصفحة الأخيرة .

الشرط الاجتماعي لأسرتها ، وهو العيش بحرية وكرامة ، فتبدأ في خياطة الملابس ، وتنفق على العائلة ، وتعلم الأولاد ، وتشتري الأرض في الجبل الشمالي ، وتحاول أن تبني منزلا ولكن اليهود يصادرون الأرض ، وبذلك يكون الخلاص الفردي الذي بذلت فيه سعدية سنوات عمرها مستحيلا في ظل الاحتلال ، " فتكتشف بالملموس المادي أن لا حل فرديا في ظل الاحتلال ، مما يجعلها تغادر ظرفها الشخصي وتنخرط في النضال العام ضد المحتلين ، بل إنها تدفع أولادها وتحرضهم على مقاومتهم " [١].

وتتعرف سعدية إلى شخصية جديدة ، هي شخصية خضرة التي تسبب لها المشاكل ، وتقودها إلى السجن ، فيضربها الجنود ولا تستطيع الدفاع عن نفسها ، ولكن موقف سعدية يتغير في نهاية الرواية من العجز والخوف إلى التحرر والانطلاق ، فتقف إلى جانب أصحاب الأرض المصادرة وتحث ابنها رشاد على ضربهم والتصدي لهم .

وتبقى معنا نوار الكرمي في هذا الجزء ، نوار التي تمثل الانتظار، انتظار " بنلوب " التي تنتظر غائبا لن يرجع، فهي تنسج غزلها في النهار وعندما يأتي الليل تفل ما حاكته بالنهار، ولكنها ليست " كبنلوب " فملت الانتظار بعد أن طال خروج صالح الصفدي من السجن ، فتخلت عنه لأنها أصبحت عاجزة أمام الزمن ، فأصبح الانتظار سجنا ، فهي بوصفها امرأةً لها الحق في الحياة والعيش بدلا من انتظار غائب قد لا يعود .

ويبقى معنا عادل الكرمي المثقف السياسي، الذي كان عاملاً في المصانع الإسرائيلية، فنراه مؤمناً بحقوق العمال، و طامحاً للوصول إلى الشارع الإسرائيلي ، من أجل التعايش معهم بسلام . وهناك باسل الكرمي الذي يكبر في السجن ، فقد تغير كثيراً داخل السجن، فعندما دخل السجن كان يؤمن بالحل الفردي عن طريق البطولة و الشجاعة، ولكنه عندما خرج من السجن ، تغير موقفه وأصبح يؤمن بالحل الجماعي .

وتستحدث الكاتبة شخصيات جديدة في هذه الرواية، منها شخصية خضرة ، ورفيف التي نحن بصدد الحديث عنها، خضرة المرأة الفقيرة التي عرفتها سعدية في

---

[١] - أبو نضال نزيه، تمرد الأنثى ، في رواية المرأة العربية وببلوغرافيا الرواية النسوية العربية "١٨٨٥-٢٠٠٤ " ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٤، بيروت ، ص ١١٦ .

طريقها إلى تل أبيب، عندما هربت بالباص، ومن ثم السجن، والمبيت في المخيم في كوخ الفدائيين . خضرة المرأة الفقيرة التي تمثل الجهل، حيث دفعها المجتمع إلى هذه الحال المزرية، من العناد و اللامبالاة وعدم الاعتراف بقيم المجتمع، فهي تبيع جسدها حتى تطعم زوجها المريض . تنكرها سعدية عندما تلتقي بها في الحمام لأنها تخاف على سمعتها، وترفض ما تمثله خضرة من قيم .

وتستحدث الكاتبة شخصية رفيف، وتظهر في الصفحات الأولى من الرواية، برفقة عادل الكرمي ، فتريد أن تقطع الشارع و الإشارة ما زالت حمراء، وهذا يظهر نوعاً من التمرد لهذه الشخصية على النظم السائدة في المجتمع . فهي تحب عادل الكرمي الذي يعمل محرراً معها في المجلة نفسها . إن حب رفيف لعادل الكرمي هو نقطة ضعفها ، وردات فعلها هي انعكاس لهذا الضعف، ولذلك ترفض أن تعامل كامرأة ، وإنما تريد أن تعامل نداً للرجل . فتطرح الكاتبة قضية المرأة ،وترى أن الرجل استمد قوامته على المرأة من الدين و السلطة و الموروث فـ" المرأة التي تندمج في الهم الجماعي بعيداً عن عقدة النقص المصاحبة لمفهوم الأنثى، و التي تمارس حياتها بعيداً عن تقاليد المجتمع وعاداته " [١]، هي التي تساهم في التغيير والبناء .

فهي شخصية حادة منفعلة ومأزومة ، ترفض استغلال المرأة لصالح الرجل مهما كانت الأسباب، ولذلك كانت نزقة حادة ثائرة في بداية الرواية، لأنها لم تكن صاحبة تجربة، ولكنها في نهاية الرواية ترفض العبور مع النسوة وتنتظر مع عادل الكرمي ، فأصبحت صاحبة تجربة ترى نفسها متعادلة مع الرجل، فهي تسعى إلى لعب دور طليعي ومتقدم في المجتمع، وتعمل على تطوير قدراتها الشخصية بحيث تكون نداً للرجل الذي يغلب العقل على العاطفة ، وتحاول أن تقمع العاطفة وهو ما يضعف دورها كأنثى فتحاول مجاراته و التفوق عليه .

وقد رفضت رفيف الرضوخ لسيطرة الرجل وتمردت عليه مثلها في ذلك مثل شخصية سهى بركات ،حيث تمردت على سلطة المجتمع وحاولت التعبير عن أفكارها ورغباتها " ولعل أكبر معوق للمرأة العربية المبدعة هي المعوقات الاجتماعية التي

---

[١]- عبيدات أروى ، صورة المرأة في الرواية الأردنية ، وزارة الثقافة ، عمان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥، ص ١٢٥.

تمنعها كأنثى من التعبير الحر عن رغباتها و تجاربها الخاصة كجسد " [١]. وهي من الشخصيات النامية المهمة التي قدمتها الكاتبة ، فهي مثقفة ومتعلمة ، تحب عادل الكرمي واستطاعت بسبب ثقافتها أن تتحرر من التبعية للرجل ،وأن تبني شخصية مستقلة تتصف بالعناد و القوة و التحدي .و تعمل مع عادل في المجلة وتقدم زاوية المرأة ، ثم طالبت بنصف المجلة أو الاستقالة ،وهي سريعة الغضب " فانفجرت غضباً . سحبت زندها من يده بعنف واندفعت تعبر الشارع ركضاً " [٢]. و متمردة " أنا حرة أقطع الشارع متى أريد، ولا أنتظر ضوءاً منهم، أصنع ضوئي بنفسي . تأمل وجهها الشرس ، عينيها السوداوين وقد اتسعتا ،بدتا أكثر تألقاً . وأسنانها البارزة باندفاع بسيط تبدو مستعدة للانقضاض تعجبه حدتها ، يستمد منها حرارة وحيوية " [٣].

" وأنت ككل رجال الشرق، وكأي مترهل من آل كرمي . أنت لست ولي أمري ، لا لأنك رجل ولأنك من آل الكرمي " [٤]. فهي ترفض التبعية للرجل " - سيري معك لا يمنحك الحق في فرض القيود عليّ .. أسير معك كند لا كتابع " [٥].لكنها تنهار بعد التحدي " بعد التحدي المستمر، تصاب بنكسة، تصبح بليدة الأعضاء و المشاعر . وتصاب بالصم و البكم واللامبالاة التامة " [٦]. بسيطة ومحبة للحياة " تعجبه بساطتها، يعجبه حبها للحياة ، تلك الشهوة الغريبة للأشياء لكنه يخافها يخاف سطوتها وتسلطها " [٧]. شاعرة وجودية متمردة . " قصائدها مازالت تحمل الطابع الوجودي المتفرد ،لكنها صادقة، عنيفة في صدقها وتوقدها " [٨] . جريئة في الحديث " أنتم مشعوذون مهرجون مخصيون ، أنتم مخصيو العقيدة و الفعل و العواطف " [٩]. فهاتان الشخصيتان : سهى بركات والصحفية رفيف ، كانتا المثال على قضية تحقيق الذات للقضية التي قدمتها الكاتبة سحر خليفة .

---

[١]- الخالد كورنيليا ، " المرأة العربية : الإبداع النسائي،مرجع سابق، ص ٢٧.
[٢]- خليفة سحر ، عباد الشمس ، مصدر سابق ، ١٠.
[٣]- خليفة سحر ، عباد الشمس ، مصدر سابق ، ص ١٠.
[٤]- الرواية ، ص ١١ .
[٥]- الرواية ، ص ١١ .
[٦]- الرواية ، ص ١٤ .
[٧]- الرواية ، ص ١٥ .
[٨]- الرواية ، ص ١٥.
[٩]- الرواية ، ص ١٥.

وبذلك تكون الكاتبة قد خطت خطوة إلى الأمام، فهي لم تستمر على النسق نفسه كما كان في روايتها الأولى " لم نعد جواري لكم " حيث كانت تناقش هموم شريحة ضيقة من المثقفين، فانطلقت إلى المجتمع الفلسطيني بكافة أطيافه ومستوياته، وحاولت أن تتغلغل في مشكلاته، فرصدتها وخصوصاً بعد فترة حرجة ومفصلية من تاريخ القضية الفلسطينية وهي حرب تشرين، وبذلك تكون تجربة تحقيق الذات عند البطلتين، الفنانة سهى بركات ، و الصحفية رفيف قد فشلت ،لأن الإنسان لا يستطيع أن يعيش منفرداً دون النسق الاجتماعي الذي يحيا فيه .

فسهى بركات لا تستطيع الخروج على شرط المجتمع ، بعدم قبول الزواج ، وهي عاجزة عن الموازنة بين ذات الفنان المبدعة والمجتمع " إن نموذج سهى يقدم صورة غريبة عن امرأة فلسطينية / عربية ترفض الحياة التقليدية و ترفض الزواج هرباً بفنها من الروتين ... تهرب إلى الإدمان على المخدرات وإلى الانطلاق في علاقات جنسية بلا قيود عائلية " [١].

وبذلك تنتهي قضيتها إلى الفشل، وعدم المقدرة على إقامة علاقة سوية مع بشار الصيدلاني ، وتعود من نابلس إلى سورية . وتفشل كذلك رفيف التي حاولت الخلاص بشكل فردي، و التي حاولت أن تلعب دوراً طليعياً في المجتمع " ورفيف صحفية شابة تسعى من خلال وعيها الثقافي المتقدم إلى لعب دور فاعل في محيطها الاجتماعي و الوطني "[٢]. " رفيف تبدأ في الرواية بمحاولة عبور الشارع بنزق، ودون ترو ، وفي نهاية الرواية تنتظر مع الآخرين ليعبروا جميعهم . و الموقفان يرمزان إلى قرارات ثورية ، أما الفرق بين هذا وذاك، فالأول ثورة طفلة لم تدعكها التجربة، ولم تعرف بعد موقعها الحقيقي من الثورة والتناقضات التي تقع فيها الثورة نتيجة كل الظروف الاجتماعية الاقتصادية الدينية الأخلاقية المعقدة ونراها في الموقف الثاني وقد عرفت " [٣].

---

[١]- أبو نضال نزيه، تمرد الأنثى ، مرجع سابق ، ص ٦٣ .
[٢]- أبو نضال نزيه، تمرد الأنثى ، مرجع سابق ، ص ١١٧.
[٣]- الشنابلة نسرين ، روايات سحر خليفة، مرجع سابق ، ص٨٠.

ثانياً : القضية الاجتماعية :

قدمت الكاتبة سحر خليفة قضايا المرأة الاجتماعية المختلفة ، وطرحتها بأسلوب جديد وناقشتها بكل صراحة وشفافية ، حيث نظر إلى المرأة الشرقية بأنها " مخلوقة لا تملك الحق في التفكير و الإرادة و الاختيار، وهي مخلوقة ضعيفة ناقصة العقل و التفكير – أو هكذا يراها البعض – ثم تصور الكاتبة العلاقات الاجتماعية الزائفة القائمة على الازدواجية وذلك في صور ثلاث : الخيانة الزوجية، و النفاق ، و الوهم .. وهي علاقات تحول شخصيات الرواية إلى شخصيات مهزوزة ، مخفقة ، مدمرة ..." [١].

وبذلك تكون الكاتبة قد انتقلت إلى أفق واقعي، حيث كانت مهتمة في روايتها الأولى بالفلسفة الوجودية و الحرية الفردية، ولم تعالج المشاكل المتراكمة التي يعاني منها المجتمع – وخصوصاً المشاكل التي تعاني منها المرأة – فعبرت من خلال هذا الأفق الواقعي عن قضايا المرأة .

وقد مزجت الكاتبة في رواياتها المختلفة بين نوعين من الواقعية، هما : الواقعية الاشتراكية، التي تغلب مصالح الطبقة العاملة، و الواقعية النقدية " التي كانت موقفاً أدبياً ضد قيم المجتمع الرأسمالي بعد أن عجز عن التصالح مع الواقع الاجتماعي وتحول إلى فن احتجاج " [٢]. والواقعية الاشتراكية التي هي في الأساس " أدب موجه لخدمة الأهداف الاجتماعية، فهو أدب هادف لتغليب مصالح الطبقة العاملة عن طريق الإيمان بالاشتراكية . ولهذا ترفض التشاؤم و اليأس الذي تميزت به الواقعية النقدية وشخصياتها المريضة ، كما أنها أدب متفائل يبشر بالمستقبل . و المبدأ الذي تقوم عليه الواقعية الاشتراكية هو مبدأ صراع الأضداد ، والإيمان بأن الطبقة العاملة هي التي ستنتصر في النهاية بعد أن ينتهي صراعها مع الرأسمالية " [٣] .

ومن أهم القضايا التي طرحتها الكاتبة، قضية عمل المرأة ، وناقشتها من خلال مجموعة من الشخصيات المهمة مثل : شخصية سعدية في روايتي " الصبار وعباد الشمس "، وشخصية أم سعاد في رواية " ربيع حار ". و قضية المرأة المومس و

---

[١]- شهاب أسامة ،القصة النسوية المعاصرة في الأردن وفلسطين ، مرجع سابق ، ص٣١٠+ ٣١١ .
[٢]- عبد الله عبد البديع ، الرواية الآن ، دراسة في الرواية العربية المعاصرة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٩٠، ص٥٢.
[٣]- عبد الله عبد البديع ، الرواية الآن مرجع سابق ، ص٥٣.

العوامل التي تدفعها إلى البغاء ،من خلال شخصيتي خضرة في رواية "عباد الشمس "،ونزهة في رواية " باب الساحة " ، وقضية ضرب المرأة و التعرض لها بالأذى الجسدي و النفسي، وقضية الذكورة و الأنوثة أو التمييز الحاد بين الذكر و الأنثى، وقضية تزويج البنت من رجل لا تحبه، وقضية حرمان البنت من الميراث .

وكل قضية من هذه القضايا لا تشكل القضية الكلية للرواية، بل إنها قضايا محورية، تلتحم مع بعضها البعض لتشكل رؤية كلية وشمولية للرواية . فمثلاً قضية الذكورة و الأنوثة، تظهر بشكل جلي في رواية " مذكرات امرأة غير واقعية " ، ولكنها لا تشكل قضية كلية في الرواية، بل تلتحم بالقضايا الأخرى مثل: اضطهاد المرأة وسلب حريتها، وعملها، وسلب ميراثها ، وتزويجها من رجل لا تحبه ... الخ . فكل هذه القضايا، تلتحم مع بعضها بعضاً لتشكل رؤية شمولية كلية للرواية، وسندرس هذه القضايا بالتفصيل في الصفحات القادمة .

أ- قضية المرأة العاملة :

إن عمل المرأة يوفر لها نوعاً من الحرية الشخصية لأن اعتمادها على الرجل يجعل موقفها ضعيف فتكون تابعاً له، فلا تستطيع مخالفته أو الخروج على سلطانه ؛ لأنه هو الذي يعمل على استمرار حياتها وحياة أطفالها." إن أشد ما يذعر المجتمع الذكوري أن تثبت المرأة تفوقها في التعليم والعمل في المجالات العلمية والفكرية ، وسبب الذعر هو خوفهم من أن تتذوق النساء سعادة العمل الفكري ولذته " اللذة المحرمة " فتنجرف في ذلك الطريق ولا يجد الرجال من يخدمهم في البيت ويطبخ لهم ويغسل سراويل الأطفال "[١].

وقد ناقشت الكاتبة هذه القضية من خلال عدة شخصيات نسوية ، مثل: شخصية سعدية في روايتي " الصبار وعباد الشمس " ، وشخصية أم سعاد في رواية " ربيع حار " ، وطالبت بتشغيل المرأة واعتبارها إنسانا مستقلا له شخصية دون ولي أمر ، ويظهر ذلك من خلال حديث رفيف عن مشكلة المرأة ." المقصود أن الرجال يهاجرون و المرأة تبقى ، بحكم التركيبة الاجتماعية يظل الرجل أكثر تحرراً وقدرة على الحركة.

---

[١] - السعداوي نوال، الأنثى هي الأصل ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،من منشورات وتوزيع المكتبة العالمية بغداد ، د ت ، د ط ، ص ١٦٠+ ١٦١ .

معظم دول النفط ترفض تشغيل المرأة إلا حين تكون مصحوبة بولي أمر. ولي أمر مراهق، ولي أمر عاجز، ولي أمر أبله، فهو ولي . ومعظم الولايا الشغيلات بدون أولياء أمر، فتظل المرأة قاعدة ولا تهاجر" [١].

وقد أدركت الكاتبة أهمية الاستقلال الاقتصادي للمرأة ،و التحرر الاقتصادي الذي يحررها من التبعية للرجل " الاستقلال الاقتصادي للمرأة كضرورة للتحرر من السيطرة الاجتماعية المفروضة عليها، وهذا لا يتحقق إلا في ظل نظام اشتراكي ، فتحرير الاقتصاد شرط ضروري لتحرير الإنسان، على أن التطوير الاقتصادي و الاجتماعي للعالم المعاصر يجعل النساء يعتبرن عملهن لا ضرورة اقتصادية ووسيلة لتدوير رقم الميزانية العائلية فحسب بل أيضاً أساساً لوضعهن الفردي و الاجتماعي " [٢].

فيجب تشغيل المرأة واعتبارها إنسانا مستقلا له شخصيته وكيانه ، فسعدية بعد أن استشهد زوجها أصبحت أرملة، ولم يعد أمامها سوى العمل حتى تستطيع العيش وتربية الأولاد، خصوصا بعد تخلي الناس عنها . وقد قدمت الكاتبة من خلال شخصية سعدية قضية اجتماعية مهمة ، وهي قضية المرأة الأرملة في ظل الاحتلال التي تعاني من المجتمع حولها ،فلا هو يساعدها من أجل تربية الأبناء، ولا هو يتركها لشأنها من أجل حل قضيتها وتربية أبنائها ،

فهي تربي وتصبر ويتغير حالها بعد العمل ،" وتمر باللحام و الخضرجي و البقال، وتملأ أكياساً ورقية ضخمة بكل ما كانت تحلم بأكله حتى في أيام زهدي. وتعود إلى الدار وعتال ضخم يتبعها وترى النسوة في الشبابيك اللعينة يرمقنها بحسد وغيرة . وتحس بأنها باتت رجلاً أو نصف رجل " [٣].وبذلك نرى أن شخصية سعدية قد تغيرت بشكل كبير بعد أن أصبحت تعمل ، ومسؤولة عن تربية الأسرة .

وعالجت الكاتبة هذه القضية في آخر أعمالها الروائية ،"ربيع حار " من خلال شخصية أم سعاد ، ولكن في سياق مختلف وهو سياق الانتفاضة الثانية ، إثر اجتياح

---

[١] - خليفة سحر ، عباد الشمس ، مصدر سابق، ص ١٨٢ .
[٢] - وادي طه ، مرجع سابق ، ص ، ٤٣.
[٣] - خليفة سحر ،ربيع حار ، مصدر سابق ، ص٣٥ .

القوات الإسرائيلية ، لمناطق السلطة الوطنية الفلسطينية ، في ربيع عام ٢٠٠٢ ، حيث جر هذا الاجتياح الويلات والخراب والتدمير على الشعب الفلسطيني ،في المدن والقرى والمخيمات فترك الاجتياح الألم والمرارة والحزن العميق في نفس الإنسان الفلسطيني .

فطرحت الكاتبة قضية عمل المرأة بشكل جديد، من خلال شخصية أم سعاد، فبعد سجن زوجها ، لم تستسلم بل كافحت وتعبت وعّلمت وسهرت وربت الأسرة، من خلال عملها في الخياطة . فشخصية أم سعاد تشبه شخصية سعدية ، ولكن السياق مختلف فسعدية كانت تعيش في ظل الاحتلال ، وحاولت الخلاص من مشكلتها بشكل فردي ، ولكنها عرفت في النهاية أن لا خلاص في ظل الاحتلال بشكل فردي ولكن الحل يجب أن يكون جماعياً ، وأم سعاد لم تعمل بشكل فردي بل بشكل جماعي ، فهي أم للحارة وقلبها على الجميع تطعم الجائع ، وتسقي العطشان ، وتحيك جرزة الصوف لابن غزة ، وهي المسؤولة الأولى عن العائلة " وأبو الأولاد لم يورثها إلا القلق و الهم والغم ومصروف الدار ومصاريفه فهذا للمحامي، وهذه مصاريف الزيارة، وهذا مصروف لدخانه وأكله وشربه حين تزوره " [١].

فحازت على احترام الرجل وتعاملت معه بندية نتيجة للتحرر الاقتصادي ،" قال لها : و الله لو يصفوا لي الحوريات ويقولوا خذ،خذ ونقي ، ما أنقي غيرك يا مجنونة " ففقعت الضحكة ثانية وطردها اليهود . شيء مذهل !! بسبب اليهود صار بني آدم ! "[٢] .

فشخصية أم سعاد شخصية حرة ومستقلة لأنها متحررة اقتصادياً ، لا تنتظر من الرجل أن ينفق عليها وعلى أبنائها ، بل على العكس تماما هي التي تنفق على الأسرة وتعلم الأولاد ، وتتكفل بمصاريف المحامي الذي يدافع عن زوجها في السجن ، وبذلك كان تحرر المرأة مادياً ، سبيلاً إلى تحررها على المستوى الشخصي والعائلي .

---

[١] - خليفة سحر ،ربيع حار ، مصدر سابق ، ص ، ٢٤٢ .
[٢] - الرواية ، ص ، ٢٤٣ .

ب- قضية البغاء والدعارة :

ناقشت الكاتبة الأسباب التي تدفع المرأة إلى البغاء ، وطرحت مجموعةً من الأسئلة المهمة، هل الحاجة الاقتصادية هي التي تدفع المرأة إلى البغاء ؟ أم هي الحاجة الجنسية ؟ أم هو المجتمع الذي يدفع المرأة إلى هذا السلوك ؟ .

" البغاء معناه حدوث عملية جنسية بين رجل وامرأة، لتلبية حاجة الرجل الجنسية، وتلبية حاجة المرأة الاقتصادية، وبالرغم أن الحاجة الجنسية " في الحضارة الذكورية عامة " ليست في أهمية الحاجة الاقتصادية، إلا أن المجتمع يعتبر حاجة المرأة الاقتصادية أقل أهمية من حاجة الرجل " [١]. يقول نجيب محفوظ : " أما المرأة المومس ، فأن استعمالي لها في الروايات لا يمكن تسميته جنساً ، لأنها موظفة توظيفا اجتماعيا بحتاً ، لقد كنت أستعملها حتى أوضح لك بشكل قاس ومباشر فساد أناس المفروض فيهم عدم الفساد " [٢].

وهذا يعني أن التفاوت الاقتصادي و الطبقي في المجتمع، و الحاجة المادية هي التي تدفع المرأة إلى الانحراف و السقوط، فالانحراف و السقوط للمرأة لم يكن بسبب حاجتها الجنسية، وإنما كان بسبب الجوع و حاجتها الاقتصادية . فشخصية المومس في الروايات تستخدم للتعبير عن قضية اجتماعية، يحاول فيها الكاتب تعرية المجتمع وكشف ازدواجيته وزيفه و الخلل الاقتصادي فيه، فالمومس لم تكن تعبيراً عن الجنس، وإنما يوظفها الكتاب توظيفاً اجتماعياً بحتاً لتعرية بعض الطبقات في المجتمع وبيان فسادهم، " فالمجتمع لا يحتقر الرجل مهما فعل، بل لا يفكر أن يطلق عليه حكماً، بينما تعاقب المرأة أشد عقوبة لأقل خطأ ترتكبه "[٣]. فهم يكشفون زيف أناس كان المفترض أن يكونوا نموذجاً للاستقامة والشرف و الأمانة .

وترى نوال السعداوي أن كلمة مومس قد استخدمت بشكل خاطئ ، لأن المرأة هي ضحية للمجتمع ، وضحية لظروف اقتصادية قاسية " من الكلمات التي استخدمت على نحو خاطئ هي كلمة مومس . وقد أطلقت على المرأة التي تدفعها ظروفها

---

[١]- السعداوي ، نوال ، الأنثى هي الأصل . مرجع سابق ، ص١٨٨.
[٢] - يارد ، ايفلين ، نجيب محفوظ والقصة القصيرة ، دار الشروق ، عمان ، الطبعة ا؟الأولى ، ص ، ٤٦ .
[٣]- عبيدات، أروى ، صورة المرأة في الرواية الأردنية ، مرجع سابق ، ص ٧٨.

الاقتصادية إلى ممارسة الجنس مع الرجل مقابل شيء من المال . واعتبرت هذه المرأة فاقدة للشرف والأخلاق ، مع أنها ليست إلاّ ضحية مجتمع ذكوري طبقي مزدوج القيم والأخلاق ، ولم يدفعها إلى هذا العمل إلاّ المجتمع نفسه والرجال أنفسهم ، والفقر نفسه "[١].

و سحر خليفة تدافع عن حق المرأة في الحب و الجنس ، على لسان رفيف في رواية "عباد الشمس " " أما النضال الجنسي فيعني الخوض في كل المحرمات . و الجنس في الوعي العربي مقترن بالعهر و الزنا و السقوط إذا كان خارجاً عن الإطار " [٢] ، فالجنس يعّبر عن أزمة المرأة التي تعاني من الكبت والضغوط الاجتماعية ، التي لا تسمح بالاختلاط وإقامة العلاقات العاطفية في ظروف طبيعية ، تدفع المرأة لأن تكون أكثر إيجابية في علاقاتها في المجتمع .

فلذلك نراها " تدين المجتمع الذي يهتم " لشرف البنت " أكثر من اهتمامه بشرف الوطن ، فتحكي قصة والد قالوا عن ابنته المتعلمة الجريئة إنها تدور مع الشبان في الجبال ، وتقوم بما لا يرضي الله و شرع الناس، ويكتشف الأب أنها فدائية تعمل مع الفدائيين في صنع القنابل" [٣]. وتدين رواية " باب الساحة " المجتمع الذي يدفع المرأة إلى البغاء ويتحدث عن النتيجة دون أن يناقش الأسباب ، " إن الرواية تهدف – من وراء هذا كله – إلى تجسيد ما هو أكثر عمقاً ودلالة : الفضيلة و الرذيلة قيمتان نسبيتان متغيرتان حسب الظروف و الأحوال ؟ ! و الشرف قيمة اجتماعية وسياسية أيضاً ومن الصعب – و الخطأ – أن تبقى محصورة في جسد المرأة و لا سيما في ظل الأجواء النضالية التغييرية المحتدمة " [٤] .

فالمرأة ضحية لمجتمع ذكوري طبقي ، وهذا ما عبرت عنه روايات سحر خليفة ، حيث لم تأت هذه القضية بشكل عرضي في رواياتها ، بل كانت قضية محورية ورئيسية في رواية "عباد الشمس " ، ورواية " باب الساحة "، حيث مثلت شخصية خضرة هذه القضية في الرواية الأولى ، فكانت ضحيةً لظروف اقتصادية واجتماعية لا

---

[١]- السعداوي ، نوال ، الوجه العاري للمرأة العربية ، دار ومطابع المستقبل ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ،١٩٩٤ ، ص ، ٢٨٧ .
[٢]- خليفة ،سحر ، عباد الشمس ، مصدر سابق ، ص٢١١ .
[٣]- الشنابلة ، نسرين ، روايات سحر خليفة ، مرجع سابق، ص١١١ .
[٤]- الماضي ، شكري عزيز ، الرواية و الانتفاضة : نحو أفق أدبي ونقدي جديد . المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥، ص٥٧.

ترحم . فاختلت منظومة القيم الاجتماعية عند خضرة، مما دفعها ذلك إلى الانحراف و السقوط، حيث تقول خضرة : " مين أحسن أعرص ولا أخلي الرجال يموت ؟ " [١].

وشخصية خضرة شخصية مثيرة على المستوى الاجتماعي و الدلالي ، فقد تعرضت للعنف و القهر من قبل المجتمع و الأسرة وأصبحت تبيع نفسها . فهي ناقمة على الأسرة و المجتمع و الرجل و الاحتلال ،و لا تعترف بالقيم الاجتماعية السائدة ،و منظومة الأخلاق في المجتمع ومع ذلك فهي ترفض الاحتلال وسلطة الرجل وتقاوم . بعد أن تعرضت مدة طويلة للضرب و المهانة .

فهي قليلة التأثر لا تعترف بالقيم السائدة في المجتمع." مين أحسن أعرص و إلا أخلي الرجال يموت ؟ طيب لما تيجيه النوبة و يروح ما يموت بتمنى لو أسرق نابلس وأشتري له بحقها دواء ما يناديني إلا خضرة يا ست الكل " [٢].

ومثلها ولكن – بشكل مغاير، وسياق مختلف- هو سياق الانتفاضة، شخصية نزهة تلك الفتاة اليتيمة، التي يدفعها المجتمع إلى البغاء، فتكشف هذه الشخصية فساد المجتمع، وتعريه ، وتبين فساد وانحراف قادة العمل الوطني و الوجهاء فيه ، وتكشف ازدواجية المجتمع ومعاييره المختلفة في التعامل مع الذكر و الأنثى .

إذن تهجو الكاتبة المجتمع الذي يتعامل بازدواجية مع الذكر والأنثى، حيث يسمح للذكر أن يعمل كل شيء دون أن يحاسبه أحد، بينما تحاسب البنت لأتفه الأسباب، فتضرب و تهان وتزوج للخلاص من شرها ، و تظهر نزهة في رواية "باب الساحة " وهي رؤية نسوية للانتفاضة، تتكون هذه الرواية من تسعة فصول، وكل فصل من هذه الفصول يحمل اسماً للدلالة على حدث معين، فقد انطلقت الانتفاضة لمحاربة الجاسوسية و الدعارة التي يمولها اليهود .

والبارز في هذه الرواية، هي الشخصيات النسوية، المقموعة على المستوى الشخصي و المستوى الوطني، حيث يقمعها الرجل من ناحية ويقمعها المحتل من ناحية أخرى، يسقط الشاب المناضل حسام جريحاً – ابن أخو الست زكية – ويضطر إلى أن يدخل الدار المشبوهة دار نزهة، حسام له تاريخ ثوري ونضالي، يعتقل، يدخل السجن،

---

[١]- خليفة سحر ، عباد الشمس ، مصدر سابق ، ص٧٦.
[٢]- الرواية ، ص٨٩.

يتحرر من سلطان الوالد، يدخل التنظيم ، يعتقل مرةً أخرى ، يخرج من السجن، يحب معلمته سحاب التي دفعته إلى القراءة و المطالعة وكتابة الشعر .

ينخرط حسام في صفوف المقاومة، مع شباب الانتفاضة . يلتقي في بيت نزهة بالباحثة الاجتماعية سمر التي تقوم بعمل استبيان عن الانتفاضة، ثم يتعلق بها ويحبها – لكن والده البخيل يرفض أن يزوجه من ابنة فران – والد حسام شخصية ذكورية يمثل نوعاً من القمع الشخصي للمرأة ، فهو يضرب زوجته ويعاملها مثل الإماء ، ويسلب ميراث أخته زكية، الملقبة بأم الشباب، و والد حسام البخيل ، الذي يضرب زوجته، كريم مع نزهة فيأتي إليها ويجلب لها أغلى الهدايا، وفي المقابل والدة حسام تمثل المرأة التقليدية التي لا تريد أن تخرب بيتها، فتذعن لزوجها وتقبل منه الإهانة .

ونزهة التي تعتبر عاراً على المستوى الاجتماعي، لها أخ اسمه أحمد ينخرط في صفوف المقاومة ، ويختبئ في الجبال مع الشباب، يستشهد في نهاية الرواية، فتتغير نظرة الناس إلى الدار المشبوهة، ويذهبون هناك لتقديم العزاء، وبالمقابل هناك أخ آخر لنزهة سافر إلى أمريكا، كان يضربها لأتفه الأسباب، وكان يحضر معه البنات من إسرائيل إلى البيت، وهذا يمثل نوعاً من ازدواجية المجتمع، وهناك القائد عصام المربوط، الذي تعريه نزهة وتكشف عن وصوليته واستغلاله للمرأة للوصول إلى أهدافه .

وهناك الست زكية أم الشباب التي تراقب الأحداث، تدخل البيوت ، ترشد الشباب، تعالجهم، تداوي جراحهم، هي أم للجميع وعين على الانتفاضة، تمثل صورة للمرأة التقليدية، المؤمنة بالقضاء و القدر، تعتصم بالقرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة .

ونعود مرةً أخرى إلى نزهة ، التي تشكل محوراً أساسياً وجوهرياً من محاور الرواية، فتاة جميلة مات والدها، فحاولت أمها أن تعمل ولكنها فشلت، ولم تستطع أن تلبي حاجات البيت، فزوجت البنات في سن صغيرة للخلاص من مصاريفهن، فزوجت نزهة وهي في الخامسة عشرة من عمرها لرجل يكبرها بثلاثين عاماً . فتهرب نزهة منه مع حلاق أحبته، ثم تكتشف أنه مخادع فتتركه ، وتجد نفسها وحيدة في عمان،

فتعود إلى نابلس وتحاول أن تعمل في الفرن، ولكن أخوة سمر يستغلون حاجتها ويجبرونها على البغاء، ومن ثم تعمل في الاستديو وتبدأ بالقبض مقابل احتراف البغاء في هذا المكان، لقد حاولت نزهة أن تعيش بشرف وكرامة، ولكن المجتمع دفعها رغماً عنها نحو السقوط والانحراف، فسخروا جسدها وجمالها لمآربهم الشخصية، فسقطت في أحضان الدعارة .

فنزهة كانت ضحية لمجتمع لا يرحم وكذلك كانت أمها سكينة، سكينة التي لم تستطع أن تؤمن حاجات الأسرة، امرأة غير متعلمة ولا تحسن أي مهنة، فـ " وصول العائلة وسقوطها يتجلى الخراب الاجتماعي في النفاق و القهر و التخلي و الظلم و الأحكام المسبقة، فالعائلة التعيسة لم تنتهك الأخلاق إلا بعد أن انتهك الفقر العائلة وهي لم تنتهك الأخلاق أصلاً إنما فعل ذلك من كان يقايض اللحم البشري بالهدايا ... تبدو العائلة في المستوى الأول ضحية للفساد الاجتماعي و البيت الملعون مرآة لمجتمع يستحق اللعنة و انعكاساً لوعي موروث يرى المرأة بغياً بالقوة أو بالفعل " [١].

فالمجتمع تعامل مع النتيجة ولم يتعامل مع الأسباب " فقد تم قتل سكينة ولكن لم يتم التعامل مع الظروف و العوامل التي أدت إلى انحرافها وسقوطها، فقد تعاملوا مع النتيجة وعافوا الأسباب، ... فسقوط نزهة وأمها ليس قدراً ، فهو نتيجة لتفاعل الظروف الموضوعية المعقدة و العوامل الذاتية، ويبدو أن السرد الروائي يود أن يبين سبباً آخر لسقوط نزهة وسكينة تمثل في عدم تعليم المرأة وعدم عملها واعتمادها على الرجل في كسب قوتها، فإذا غاب الرجل لسبب من الأسباب الفت المرأة نفسها على قارعة الطريق " [٢].

لقد عاملها المجتمع بجريرة أمها، ولم يعاملوها على حساب أخيها أحمد المناضل المقاوم للاحتلال، فالمجتمع هو الذي دفع نزهة وأمها نحو البغاء، لأن الفرد يخضع لسلطان المجتمع وهو جزء منه، ينكشف ماضي هذه الشخصية المحورية من خلال الاستبيان الذي تقوم به الباحثة الاجتماعية سمر، حيث تجمع المعلومات عن التغيرات التي طرأت على وضع المرأة خلال الانتفاضة، وسمر نموذج آخر من نماذج

---

[١]- دراج فيصل ، دلالات العلاقة الروائية ، مرجع سابق ، ص ٢٤٨ .
[٢]- الماضي شكري ، الرواية و الانتفاضة ، مرجع سابق ، ص٥٥.

المرأة التي تعاني من ازدواجية المعايير، فهي تضرب من قبل أخيها لتأخرها عن المنزل، ولكنها ترفض الاحتلال وتقاومه .

وتطرح الرواية قضايا أخرى، مثل : التفاوت الاقتصادي و الطبقي بين الغني و الفقير، فالقاعدة الاجتماعية لم تتغير في المجتمع، و الانتفاضة زادت من معاناة المرأة وهمومها، حين التقت سمر مع نزهة، وطرحت عليها مجموعة من الأسئلة، يتعاطف معها حسام الجريح، وتتعاطف معها الست زكية، حيث يكشف لنا حوارها مع سمر بأن شخصية نزهة المومس، شخصية إنسانة انحرفت بفعل المجتمع الذي لم يترك لها طريقاً آخر .

ويغير حسام وجهة نظره عن نزهة، فيلقي اللوم على المجتمع، فنزهة ضحية للمجتمع، وضحية للقائد السياسي عصام المربوط الذي استغلها أبشع استغلال، لقد عرّت نزهة المجتمع وكشفت زيفه، ولكن بعد أن ظهرت حقيقتها تعاطف الجميع معها، وفتح البيت لاستقبال المعزين بعد استشهاد أحمد وصار هذا البيت مكاناً للعمل الثوري، حيث انطلقت منه النساء بقيادة نزهة لتفجير البوابة، وتقول نزهة : بأن عملها هذا ليس من أجل الغولة " فلسطين " ولكن من أجل أخيها أحمد .

جـ قضية ضرب المرأة و التعرض لها بالأذى الجسدي و النفسي:

ضرب المرأة والتعرض لها بالأذى الجسدي والنفسي ، من العادات الشائعة في الشرق ، فتضرب المرأة وتهان وتقمع على المستوى الشخصي والنفسي والأسري ، وتعامل كما يعامل الأطفال ، وينظر إليها بشكل دوني ، فيجب توجيهها وإرشادها إلى الصواب ، لإحساس المجتمع الذكوري بأن المرأة أقل في المستوى التفكيري والعقلي من الرجل ، لذلك يجب أن توجه وترشد حتى لا تخرج على جادة الصواب ، وذلك شائع بسبب العادة والعرف ، التي توارثها الأبناء عن الأجداد من أيام العصر التركي ، أيام" الحرملك " .

وهذه النظرة غير صحيحة من الناحية العلمية والفسيولوجية والبيولوجية حيث " أثبت العلم أن أي قيود على الإنسان ، رجلا أو امرأة ، وسواء كانت هذه القيود فكرية أم نفسية أم جسدية ، فإنها تعرقل تطوره الطبيعي ، وتؤخر نضوجه الفكري أو النفسي

أو الجسدي ، وبالتالي تتعارض مع صحته الجسدية والنفسية . وعلى هذا فإن القيود المفروضة على النساء فكرا ونفسا وجسدا تضر بصحتهن وتضر أيضا بصحة الرجال ، وصحة الأطفال ، وينشأ الجميع في مناخ غير صحي ، يزيد من التخلف ".[١]

وطرحت الكاتبة هذه القضية من خلال شخصية سكينة في رواية "صورة وأيقونة وعهد قديم" ، سكينة التي تعاني من قمع الرجل وسطوته ، وتعاني من قمع المجتمع الذي يتركها لمصيرها دون أن يدافع عنها ، فتضرب وتهان ، ويعد ذلك من الأمور الطبيعية ، فتعاني من الذل والقهر لأنها فقدت أهليتها عندما أصبحت عبدة للرجل ، وعندما فقدت شرطها في التحرر الاقتصادي ، قعدت في البيت ترعى الأطفال، "ولما يرجع تقول سكينة . سكينة عملت وسكينة سوت وسكينة تتمختر ع طريق العين ودايرة تسولف عند الجيران وتظل تقول سكينة سكينة لحد ما يقوم يمسك شعري وينزل علي بزنار الجلد . ويرفسني هون ويرفسني هون لحد ما أموت . شايف راسي ؟ شايف ايدي ؟ شايف عيني ؟ " [٢].ومع ذلك تبقى سكينة متمسكة بزوجها لأنه المسؤول عنها اقتصادياً،

ومن خلال هذه الشخصيات المختلفة ، استطاعت الكاتبة سحر خليفة أن تعرض قضايا المرأة الاجتماعية ، وناقشتها بكل شفافية ووضوح دون الخوف من الموروث الاجتماعي ، وطرحت مجموعة من الأسئلة المهمة ، وهي : لماذا تحرم المرأة من الميراث ؟ لماذا تحرم المرأة من العمل والتحرر الاقتصادي ؟ وما الظروف التي تدفع المرأة إلى الانحراف والسقوط ؟ وما أسباب اضطهاد الرجل للمرأة ؟ وطرحت مجموعة من الحلول لمشاكل المرأة المختلفة مثل : التعليم والعمل ، ومساواة المرأة بالرجل في الحقوق والكرامة الإنسانية .

ونادت بـ " أحقيّة البنت وجدارتها في دورها النضالي المقاوم. أما تلك النماذج من النسوة المتمثلات في الأخوات والجيران الراضيات بواقعهن والمستسلمات لقدرهن والمنزويات في بيوتهنّ، الغافرات للرجل كلّ ذنوبه، فهنّ النموذج للمرأة المنسحقة في المجتمع العربي الذكوري، النموذج الذي يُريد الرجل الإبقاء عليه وتكريسه. ومثل هذا

---

[١] - السعداوي ،نوال ، الأنثى هي الأصل ، مرجع سابق ، ص ، ١٧ .
[٢]- خليفة سحر ، صورة وأيقونة وعهد قديم ، دار الآداب، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٢ ، ص ١٤٦.

النموذج النسائي هو الذي ترفضه الكاتبة وتريد توعيته وتثويره وتفعيله ودَفعه للمواجهة والوقوف في وجه الرجل ليأخذ حقوقه ودورَه في صنع الحاضر والبناء للمستقبل" [١].

د- قضية الذكورة و الأنوثة :

مشكلة قديمة تعود إلى ما قبل الإسلام، حيث صور القرآن الكريم هذه المشكلة أروع تصوير، فقال سبحانه وتعالى في سورة النحل: " وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم* يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون " [٢] . فالمجتمعات بشكل عام تفضل الولد الذكر على البنت الأنثى، لأن البنت تجلب العار و الفقر إلى أهلها ولذلك يحاولون التخلص منها .

وهناك مجموعة من العوامل الاجتماعية و الثقافية و التربوية ، هي التي تحدد أنوثة المرأة، أو ذكورة الرجل " وقد اتضح للعلماء أن أول وأهم عامل يحدد إحساس الشخص بكونه ذكراً أو أنثى هو نظرة الأسرة، ومن حوله إليه كذكر أو أنثى . ووضح لهم من البحوث العلمية أن الولد أو البنت رغم سلامة الأعضاء التناسلية كلها " بيولوجياً وفسيولوجياً " يتغير إحساسهما بالذكورة أو الأنوثة حسب نظرة الأسرة ، وقد يكتسب الولد صفات أنثوية لأن أسرته تنظر إليه كأنثى وليس كذكر ، وقد تكتسب البنت صفات ذكورية لأن أسرتها تنظر إليها كذكر وليست كأنثى " [٣].

وطرحت الكاتبة هذه القضية من خلال شخصية عفاف في " مذكرات امرأة غير واقعية" بشكل واضح. وأشارت من خلال رواياتها المتعددة إلى هذه القضية إشارات مختلفة حسب الشخصية التي تمثلها، وقدمت هذه القضية من وجهة نظر المرأة التي تشعر وتتألم وتعاني من هذه المشاكل التي تراكمت عبر سنوات طويلة . فاضطهاد المرأة في المجتمع العربي كان نتيجة للنظام الطبقي الأبوي كما تقرر ذلك نوال

---

[١] - منذر نبيه ، نجحت سحر خليفة منذ روايتها الأولى ، http://www.ibn-rushd.org/forum/Hakam-Sahar.htm
٢٠٠٥/١١/٩ .

[٢]- سورة النحل ، الآية "٥٨ +٥٩ " .

[٣]- السعداوي نوال ، الأنثى هي الأصل ، مرجع سابق ، ص ٧٩.

السعداوي . " اضطهاد المرأة لا يرجع إلى الشرق أو الغرب أو الإسلام أو الأديان . ولكنه يرجع أساساً إلى النظم الطبقية الأبوية في المجتمع البشري كله " [١] .

فعفاف في رواية " امرأة غير واقعية " تعاني من التمييز الحاد بين الذكر و الأنثى ، في مجتمع يعتبر بول الذكر نوعا من الكولونيا. " لكنه ولد، و الولد صح، وأنا بنت و البنت غلط" [٢]. و الولد محبوب " ويهتفون "ولد ، ولد " [٣]. الولد يبول كالونيا " وهللت القابلة " كولونيا يا بنات الكولونيا " . وفتحنا أكفنا الصغيرة نتلقى الكولونيا ونمسح بها الروؤس و الجباه و العيون حتى دمعت " [٤]. فهي تشعر بالتمييز الحاد بين الذكر و الأنثى "وربما لأنني لم أكن من الجنس الذي يتبول عطراً " [٥].

هـ- قضية اكراه البنت على الزواج :

تسعى المجتمعات الشرقية، - بشكل عام – إلى تزويج الفتاة ؛ لأن الزواج هو الشكل الشرعي و القانوني و الأخلاقي الذي يمكن الفتاة من العيش، ويحميها من الناحية الاجتماعية و الاقتصادية ، فليس من السهل أن ترفض الفتاة الزواج ، بل نجدها تسعى إليه لتحقيق الأمان و الاستقرار، ومن النادر أن ترفض الزواج، وإذا رفضت الزواج فإنها تكره عليه، للمحافظة على سمعتها وعلى سمعة العائلة، فالبنت البالغ غير المتزوجة ينظر إليها في المجتمعات الشرقية بنوع من الرهبة و الخوف .

" ونادراً جداً ما ترفض المرأة الزواج، بل إنها تسعى إلى الزواج، لأنه الشكل الوحيد الرسمي و الشرعي و القانوني و الأخلاقي الذي يمكن من خلاله أن تعيش اقتصادياً – إذا لم يكن لها عمل أو إيراد – وتحمى اجتماعياً – المرأة غير المتزوجة متهمة دائماً – وترضى جنسياً، لا يسمح للمرأة أن تمارس الجنس خارج الزواج إلا إذا كانت مومساً، بالإضافة إلى أن الزواج اكتسب نوعاً من الحماية الدينية و أصبح شبه مقدس، ولم يعد من السهل لأي امرأة أن ترفضه أو تنقده "[٦] .

---

[١]- السعداوي نوال ، الوجه العاري للمرأة العربية ، مرجع سابق ، ص٧ .
[٢]- خليفة سحر ، مذكرات امرأة غير واقعية ، ص١٩ .
[٣]- الرواية ، ص١٩ .
[٤]- الرواية ، ص٢٠.
[٥]- الرواية ، ص ٣٤.
[٦]- السعداوي نوال، الأنثى هي الأصل ، مرجع سابق ، ص ١٦٥.

ولأنهم اكتشفوا مع عفاف رسالة حب وغرام زوجوها بسرعة ، حتى لا يفضح الأمر ، "اكتشفوا رسالة بين يّدي – رسالة غرام – وقاحة . خلال شهرين كانت الدنيا قد انقلبت عاليها سافلاً. حبست في الدار، قدمت امتحان التوجيهي كدراسة خاصة، بالكاد نجحت، لم يبق لدي أيّ مبرر لرفض الزواج من رجل يملك مال قارون ووسامة كمال الشناوي. تزوجت، تعذبت، حملت، فقدت سرّ استمراري في بيئة تعتبر النسل أهم مبرر من مبررات وجود المرأة " [١].

وهو زوج متغطرس يتباهى بضرب أخواته البنات، يشتمها ويضربها ويتعامل معها بشكل مذل وهو سكير ومقامر " زوج كريه لامرأة عقيم ومن أنا ؟ امرأة اعتاد وجودها رغم العقم، تنظف بيته، تطبخ له، تستسلم لنزعاته البهيمية و السادية ، ولا تلوم أو تعاتب بعد أن اعتادت ويئست " [٢] . كان هذا الزوج يضرب أخواته البنات في الماضي ، وذلك بسبب التربية الأسرية التي تجعل من البنت مخلوقاً لا قيمة له " وكانت رفسة شلوت مميزة يمارسها مع أخواته الصغيرات . وكان يباهى وهو يستعيد تلك الذكريات ويتعمد ذكرها أمامي ليثبت لي أنه كان حمشاً منذ الطفولة " [٣].

و- قضية حرمان البنت من الميراث:

من المعروف أن البنات يحرمن في كثير من المجتمعات العربية من الميراث لصالح الأخوة الذكور ، استنادا إلى العادات والتقاليد الموروثة ، وخصوصا في المجتمعات الريفية ، التي تعتبر توريث البنت – وخصوصا إذا كانت متزوجة في عائلة أخرى - نوعا من العار لأن الأرض يجب أن تبقى في العائلة ، ومن العيب أن تخرج إلى الغريب ويجب المحافظة عليها . والويل كل الويل للبنت التي تقاسم أخوتها الذكور في ميراث الأب ، فيناصبها الأخوة الذكور العداء ، ويقطعونها ولا يصلونها ويعتبرونها مجرمة في حق العائلة .

فقد حرمت عفاف من ميراث أبيها وقسم على إخوتها الذكور ، " ولم يبقوا لنا نحن البنات من الميراث إلا اسم العيلة ووجاهة الأصل الطيب " [٤] . فالمرأة حسب رأي

---

[١]- خليفة سحر ، مذكرات امرأة غير واقعية ، مصدر سابق ، ص ٣٩+٤٠ .
[٢]- الرواية ، ص٤٥ .
[٣]- الرواية ، ص٤٨.
[٤]- الرواية ، ص٦٦ .

الست زكية عيب أن تقاصر أخاها في ميراث والدها " قال حسام : خذي تعويضاً عن حصتك، قالت بعفاف : عيب أن تلفظ مثل هذا الكلام ! عيب أن تقاصر الأخت أخاها " [١]. فالمرأة لا تعطى حقها من الميراث ، وتربى على ذلك ، فتبقى عاجزة من الناحية الاقتصادية .

ثالثاً : القضية الوطنية :

عالجت سحر خليفة القضية الوطنية في رواياتها المختلفة، ابتداءً من روايتها الثانية " الصبار"، مروراً بروايتها الثالثة "عباد الشمس "، وروايتها الخامسة " باب الساحة " ،وروايتها السادسة " الميراث "، وروايتها السابعة " صورة وأيقونة وعهد قديم "، وانتهاءً بروايتها الثامنة "ربيع حار " . وبذلك نجد أن الكاتبة قد عالجت القضية الوطنية، في ست روايات من رواياتها من أصل ثماني روايات، فتكون هذه القضية قد شغلت حيزاً كبيراً واسعاً وجوهرياً من رواياتها. فعرضت في هذه الروايات الممتدة على فترة زمنية مهمة ومفصلية من تاريخ القضية الفلسطينية، قضايا مهمة وحساسة .

وقد بدأت بعرض هذه القضية في ثاني رواياتها " الصبار "، التي نقلتنا فيها إلى رؤية واقعية – كما أشرنا سابقاً – لم تكن موجودة في روايتها الأولى " لم نعد جواري لكم " . " فالصبار " تتحدث عن الاحتلال وما أحدثه في المجتمع الفلسطيني من تغيير بعد النكسة عام ١٩٦٧م . فهزيمة حزيران غيرت المفاهيم، وخلخلت القيم و العلاقات السائدة بين الناس على المستوى الاجتماعي و الاقتصادي و السياسي .

وتلفت هذه الرواية إلى قضية مهمة ، وهي قضية العمل و مشاكل العمال ، في المصانع الإسرائيلية على حساب العمل في الأرض الفلسطينية، التي أصبحت بوراً، وتشير إلى فعل المقاومة ومحاولة منع العمال العرب من دخول المصانع الإسرائيلية، فأسامة الكرمي يطلق النار على الحافلات التي تنقل العمال العرب إلى المصانع و المزارع اليهودية ، فالإنسان الفلسطيني أصبح يعيش في حالة من التمزق ما بين لقمة

---

[١]- خليفة سحر ، باب الساحة . دار الآداب ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٩ ، ص ٤٩.

العيش، و ذل الحاجة الذي يدفعه إلى العمل في إسرائيل، و التمزق ما بين وطن مهزوم وأرض مهجورة ومخربة بسبب الترك والإهمال.

إن العمل في المصانع الإسرايئلية، واستهلاك البضائع الإسرايئلية، هو المحور الذي تدور حوله الرواية، فالعمال الفلسطينيون يعانون المر، ويدفعون الضرائب و التأمين، وليس لهم حقوق، فهم عمال من الدرجة الثانية، يعانون من الاضطهاد و التمييز العنصري و الطبقي ما بينهم وبين العمال اليهود، فأبو صابر الذي تقطع يده، لا يسعف ولا ينقل إلى المستشفى؛ لأنه لا يملك إذن عمل .

وتعرض الرواية لمعاناة المناضلين الفلسطينيين، فهناك هدم المنازل وتدمير القرى، و السجن فالمناضل صالح الصفدي في رواية " الصبار " يؤمن بالاشتراكية و الحب الرومانسي، يبقى قابعاً في السجن، يحلم بالخروج والزواج من نوار الكرمي، وتنتهي الرواية بعقد الأمل على الشباب في التغيير، فهم الصبار الذي يثبت في الأرض ولا يتنازل عنها.

وتستمر القضية الوطنية في روايتها الثالثة "عباد الشمس " ، فإذا كانت رواية " الصبار" تمثل الحلم و الأمل، فإن رواية "عباد الشمس " تتغلغل في الواقع الفلسطيني وتعريه، وتتحدث عن الاحتلال الجاثم فوق الصدر، الاحتلال الذي طال، واستشرى فعله القاسي بين الناس، فتظهر الرواية المزاوجة و الازدواجية ، ما بين قضية المرأة وقمعها على المستوى الشخصي ، وما بين قضية الوطن الذي يقاتل معوقاً دون نصير، فتعري الرواية المثقفين وتشير إلى الانفصام في قناعاتهم ومواقفهم من المرأة ، المرأة التي تعاني من الاضطهاد و القمع من قبل الرجل وهي نصف المجتمع، فلا تحرير للوطن دون تحرير نسائه .

ويجتمع هؤلاء المثقفون في المجلة، ويناقشون قضايا الاحتلال، ويحاولون الوصول إلى الشارع الإسرائيلي، قبل الوصول إلى المرأة و التعرف إلى مشاكلها، و تحرير المرأة هو السبيل إلى تحرير الوطن قبل التفاوض مع اليهود كما تقول رفيف : " وصلوك يا خضرون قبل أن يصلوني . آمنوا بك قبل الإيمان بي . يحاولون الوصول

إلى شارعك قبل الوصول على دهاليزي ويقولون لك الشعب ،وأنا نصفه . فهل قالوا لك عن النصف المعتم ؟ "[١] .

فالاحتلال انعكس سلباً على التركيبة الاقتصادية في المجتمع الفلسطيني، فهذه الرواية كما هو مكتوب على غلافها الأخير تتحدث عن فترة حرجة من حياة شعبنا الفلسطيني في الضفة، الفترة التي تلت حرب تشرين سنة١٩٧٣، وتتناول بصدق وجرأة علاقات المجتمع وحياة الأفراد لتذكر بأن الهزات التي تصيب الشعوب ، إنما تطيح بالأبنية المهترئة لتنهض بعدها علاقات وأفكار جديدة، فالناس في الأرض المحتلة يعانون الحصار ، و الاختناق ، وسلب الأرض ، و السجن ، والعقوبات و الغرامات، فكانت الرواية رصداً لهذه المواقف وتعبيراً عن الأفكار و القضايا الوطنية السائدة في تلك الفترة .

وتبرز هذه القضية بشكل جلي في رواية " باب الساحة " ، وهي رواية الانتفاضة، أو رؤية نسوية للانتفاضة، ومن هنا تظهر أهمية الإنتاج الروائي للكاتبة، حيث تنطلق من اللحظة التاريخية الحرجة، وتتساءل، وتضع يدها على الجرح. فالانتفاضة و التغيرات التي طرأت على وضع المرأة، و الجاسوسية و الدعارة هي محاور هذه الرواية، فالكاتبة تنطلق من لب الحدث، وتتحدث عن الانتفاضة الأولى " ١٩٨٧- ١٩٩٣ "، فالرواية تركز على " تصوير العلاقة بين الانتفاضة و أوضاع المرأة وأحوالها ورؤية المجتمع للمرأة في ظل الانتفاضة، ولهذا يمكن القول إن الرواية تصور موضوعاً مهماً هو " الانتفاضة و المرأة "، وبعبارة أخرى أكثر دقة تجسد رؤية نسوية لمنظومة القيم في ظل الانتفاضة" [٢]. فرؤية الرواية تدور حول أوضاع المرأة في ظل الانتفاضة، مشاكلها، همومها، مكانتها، نظرة الرجل إليها . ويظهر ذلك من خلال الاستبيان الذي تعمله الباحثة سمر، خريجة جامعة النجاح، وسؤال الاستبيان المحوري هو " ما التغيرات التي طرأت على المرأة خلال الانتفاضة ؟ ". ويأتي الجواب قاسياً من الست زكية الملقبة " بأم الشباب " ، " همها زاد وقلبها انحرق قولي

---

[١]- خليفة سحر ، عباد الشمس ، مصدر سابق ، ص١٢٠.
[٢]- الماضي شكري ، الرواية و الانتفاضة ، مرجع سابق ، ص٤٠.

الله يكون لها النسوان معين " [١]. وبذلك نجد أن المرأة لم تكن سلبية بل كانت فاعلة في ظل الاحتلال، اشتركت في الانتفاضة وقاومت المحتل، وكانت تعاني من هم مزدوج، هم الاحتلال، وهم الرجل.

وبعد سبع سنوات، تصدر الكاتبة رواية " الميراث " ، التي تحكي عن حياة زينب حمدان، أو زينة، وهي فتاة ولدت في أمريكا، من أب فلسطيني وأم أمريكية، مشكلتها الرئيسية هي مشكلة الانتماء والإحساس بالعائلة، فتعود إلى فلسطين وبالخصوص إلى " وادي الريحان " بحثاً عن العائلة التي تحقق الجذر و الانتماء و الهوية .

تنقسم الرواية إلى ثلاثة أقسام : القسم الأول " بلا ميراث "، يتحدث هذا القسم عن حياة زينب حمدان في أمريكا، وعن المعاناة التي يعانيها المهاجرون هناك، فهم يعانون من الاغتراب، و الازدواجية ، فهم أمريكيون من الناحية المدنية، ولكنهم في الأعماق عرب وشرقيون . وفي القسم الثاني من الرواية " هذا الميراث " تعود زينب حمدان إلى الضفة الغربية، عندما تصل إليها رسالة من عمها، يخبرها فيها أن والدها على وشك الموت، ويطلب منها أن تعود بسرعة حتى تحصل على حقها في الميراث . وفي " وادي الريحان " يدور صراع مرير على ميراث محمد حمدان، بين ابنته زينة وبين زوجته فتنة الشايب، التي تتلقح تلقيحاً صناعياً في مستشفى هداسا، حتى تنجب ولداً ذكراً يكون له الحصة الكبرى في الميراث .

تدور أحداث هذه الرواية بعد حرب الخليج الثانية بالتحديد، وتوقيع اتفاقية أوسلو" ويعكس العالم الروائي التمزق و التبعثر و الإحباط وخيبة الأمل . وتبدو الشخصيات نماذج محبطة مهزومة تعاني من غياب الهدف على الصعيدين الفردي الحياتي و العام الوطني. وتبدو الشخصيات منفعلة بالأجواء السائدة حيث القيم الاستهلاكية مستشرية و المشاريع الوهمية و الأحلام المنكسرة . ويخيم الماضي

[١]- خليفة سحر ، باب الساحة ، مصدر سابق ،ص ٢٠.

بتناقضاته وثقله وقيمه القديمة فوق صدور الشخصيات فيزيد من حدة أزماتها ولا سيما النسائية منها " .[١]

فالرواية تعرض لهم وطني كبير، وتتحدث عن معاناة الأرض، بعد اتفاقية أوسلو، فالحواجز قائمة، الحواجز العربية و الحواجز الإسرائيلية وكلها من أجل الأمن و الأمان، والمستوطنات ما زالت منتشرة مثل الطفح الجلدي، وهناك الطرق الالتفافية، ويقال للناس هناك هذا هو الحل، هذا هو السلم، هذا هو التحرير، أي حل وأي تحرير هذا ؟ .

وفي الجزء الثالث من الرواية وعنوانه " ثم التركة " ، يصبح الميراث هو الإرث التاريخي الطويل، إرث الآباء و الأجداد من الأرض و العادات و التقاليد الذي يتعرض إلى الاستلاب و السرقة و التهويد، ومحاولة التشويه و التغيير .

و في القلعة التاريخية، يقيم مازن حمدان المناضل القديم الملقب بـ" جيفارا " حفلا ، يحضره المحافظ ، ولكن الحفل ينقصه التنظيم ، فتتعرض فتنة لحادث وتبدو عليها علامات الولادة، تحمل فتنة في سيارة الإسعاف وتلد على الحاجز، فتنة التي تلقحت من مستشفى هداسا، وحملت حملاً " بندوقاً " نصفه فلسطيني ونصفه الآخر يهودي، تموت على الحاجز ؛ لأن سيارة الإسعاف لا تقدر على اجتياز الحاجز، فأي تحرير هذا ؟ وأي سلم ؟ الذي تحقق في الشارع الفلسطيني بعد أوسلو، وتنتقد اتفاقية أوسلو التي لم تحقق السلام و الآمان للإنسان الفلسطيني.

وفي روايتها السابعة " صورة وأيقونة وعهد قديم " تتحدث الرواية عن مريم الفلسطينية، مريم التي تعني القدس، القدس التي تتغير ملامحها يوماً بعد يوم، وتنقسم الرواية إلى ثلاثة أقسام : القسم الأول " صورة " وتدور أحداثه حول حب مستحيل بين شاب مسلم اسمه إبراهيم، وبين فتاة مسيحية جاءت من البرازيل اسمها مريم أو ماري أيوب، حيث تحمل مريم من إبراهيم، ويهرب بعد ذلك، لأن إخوتها يعارضون هذا الحب، ويحاولون قتله، و تدور أحداث هذا القسم من الرواية في حواري القدس وكنائسها ومساجدها .

---

[١]- الماضي شكري ، الرواية العربية في فلسطين و الأردن في القرن العشرين مع ببليوجرافيا ، دار الشروق ، عمان ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٣، ص ٨٧ .

وفي القسم الثاني، " أيقونة " أخذ إبراهيم ينتقل بين العواصم و التنظيمات و الشركات شركات البترول، واستقر به المقام في الخليج، فأخذ يجلب الحجارة و العمال من الضفة، وهناك أخذ يعوم في بحر من الدولارات، وخصوصاً بعد تزويد الجيش الأمريكي بالمناشير و الجرافات في حرب الخليج الثانية، لحفر الخنادق و شق الطرق، فصار من الأغنياء، وفتح مؤسسة ترعى الأرامل و الأيتام في فلسطين، وبعد سنوات عاد إلى فلسطين، وأخذ يبحث عن مريم، وعن ابنه، وعندما وجد ابنه لا يعترف به، فهو ولد يؤمن بالطاقة والأرواح .

وفي القسم الثالث من الرواية، " عهد قديم "، يتابع إبراهيم بحثه عن مريم التي ضيعها، وبعد بحث شاق ومضنٍ يجدها في الدير، ولكن لا يجد فيها ذلك الحب، وذلك العنفوان، وذلك الشوق، فقد غيرتها السنين، فمريم في هذه الرواية رمز للقدس التي خذلها ذلك العاشق القديم، القدس التي تتعرض للاستلاب و التشويه و التهويد يوماً بعد يوم، فتفقد معالمها العربية و الإسلامية .

فالرواية تعرض لقضية القدس التي تتهود يوماً بعد يوم، وهي قضية وطنية مهمة، " هذه رواية عن القدس العربية التي تقترب من الأفول "[١] . وتكشف هذه الرواية عن الفساد و العنجهية الصهيونية، وعن الهوان و الذل العربي، " غير أن في زمن الرواية المسكون بالفساد، وحدوده اتفاق أوسلو ومطلع القرن الحادي و العشرين و الغطرسة الصهيونية و الهوان العربي " [٢] .

وفي روايتها الأخيرة " ربيع حار " تتابع سحر خليفة حديثها عن القضية الوطنية، ولكن في سياق مختلف وهو سياق الانتفاضة الثانية ، بعد اجتياح القوات الإسرائيلية ، لمناطق السلطة الوطنية الفلسطينية ، حيث جلب هذا الاجتياح الخراب والدمار على الشعب الفلسطيني ،في المدن والقرى والمخيمات .

وقد جاءت الرواية في جزأين، الجزء الأول: يتحدث عن شخصيات واقعية، بينما كان الجزء الثاني: إعادة صياغة لمذكرات الصحفي رشيد هلال أحد المرافقين للرئيس عرفات ، فتذكر الكاتبة في الصفحة الأخيرة من الرواية أنها قد استعانت

---

[١]- من مقدمة فيصل دراج لرواية "صورة وأيقونة وعهد قديم " ص٦ .
[٢]- مرجع سابق ، ص٧ .

بكتابات وشروحات رشيد هلال المرافق الصحفي للرئيس، فجاءت الفصول مستمدة ومستوحاة ومستعارة من تجربة رشيد هلال ، التي نشرها في صحفية الوطن الكويتية .

وجاءت هذه الرواية على شكل مقاطع، وكل مقطع يشكل هاجساً من هواجس شخصية أو شخصيات في هذه الرواية، فحادث الاجتياح على ضخامته وهوله أحدث صدمةً عظيمة في الشارع الفلسطيني، وناقشت الكاتبة مقولة مهمة في روايتها، وهي مقولة الفساد في السلطة، وأشارت إلى مواضع الخلل و الفساد، وتحدثت عن القادة الوصوليين الذين يحاولون الوصول على أكتاف الشعب الفلسطيني .

فالمرأة لم تكن سلبية أبدا عند سحر خليفة ،فقد اصطلت بنار الوطن ، الوطن الذي يحترق أمام أعيننا دون أن نفعل شيئا ، وطن يحترق وتشل قواه عن الحركة ، ويحكم على أبنائه بالسقوط والضياع والتهجير ، وتدمير المنازل وتجريف الحقول ، وكل أشكال التمييز العنصري " إذا كانت مأساة هذا العصر هي التفرقة العنصرية ، فإن كارثة فلسطين وقيام إسرائيل ،من أبشع معالم هذه المأساة . فالدعامة الأساسية التي أنشئت عليها دولة الاغتصاب هي الفكرة العنصرية . ومن هذه النقطة تصبح جراحنا القومية في فلسطين جراحاً إنسانية شاملة لأعمق ما في الضمير البشري من نبضات كارهة بطبيعتها لعصور البداوة والظلام . ولقد عرف اليهود قيمة التعبير الوجداني عما دعوه بقضية " أرض الميعاد " فكانت لهم جولات عديدة في مجال الرواية القائمة على الفكرة الصهيونية في لغات عالمية كثيرة "[١].

فالشعب العربي الفلسطيني يعاني من التمييز و العنصرية، وذلك واضح في رواية "الصبار"، من خلال المعاملة التي يتلقاها العمال الفلسطينيون، فهم يعاملون بمعيار مختلف تماماً عن المعيار الذي يعامل به العمال اليهود، فهم الأقل أجرة، و الأكثر دفعاً للضرائب و التأمين، ومن هنا تظهر خطورة القضية التي تعبر عنها الرواية، فالتمييز والعنصرية والمعاملة اللاإنسانية ، كانت من المحاور الأساسية في الرواية .

[١] - شكري غالي ، أدب المقاومة ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٠ ، ص ، ١٢٩ .

ومن هنا كان هذا الدور البارز في روايات سحر خليفة، حيث " لم تقف المرأة الفلسطينية موقف المتفرج من أحداث الأمة العربية الجسام، بل خاضت غمارها بالقول و الفعل و الكلمة، فقادت المظاهرات وشاركت فيها، كما انضمت إلى الأحزاب الوطنية وكان صوتها المميز، ومشاركتها الفاعلة. ناهيك عن دورها السياسي و النضالي فقد قامت بمساندة المجاهدين في فلسطين إبان الانتداب البريطاني، وثورة عام ١٩٣٦ خاصة، كما قامت بمساعدة الجرحى، ونقل الماء و الزاد إلى الثوار وقد ازدادت مشاركة المرأة ... في ميدان العمل القومي، وكان لتلك الهزات التي أصابت الأمة العربية دورها في هذه المشاركة، كما أن التغييرات السياسية و الاجتماعية التي أحدثتها الثورات العربية أوجدت مجالات كبيرة وجديدة للتعبير و الكتابة أمام قاصاتنا، فلم يقفن تائهات عاجزات عن الفعل و المشاركة وإبداء الرأي، بل تجاوبن مع هذه الأحداث و عبرن عنها في قصصهن وأدبهن بعامة... فقد أسهمت الأديبة العربية في تصوير مأساة فلسطين، وبطولات أبنائها، وتناول أحداثها، كما أنحين باللائمة على المتخاذلين و العملاء الذين خانوا وطنهم وأمتهم وتاريخهم، كما وصفن اللاجئين وحالهم وما يعانون منه، . .. ووصفن شوقهم وحنينهم إلى وطنهم المغتصب الذي عاثت فيه طيور البغاث واستنسرت ! " [١].

فالمرأة الفلسطينية لم تقف موقفاً سلبياً من أحداث الأمة الجسام، بل شاركت فيها وكانت عنصراً فاعلاً، بالفعل وبالكلمة، ومن هنا كان هذا الدور البارز الذي لعبته الكاتبة سحر خليفة في رواياتها المختلفة ، حيث واكبت المرأة الفلسطينية " الحركة النضالية، منذ انطلاقة الشرارة الأولى لقيام الثورة الفلسطينية، ضد الانتداب البريطاني سنة ١٩٢٠، وبصورة منظمة منذ سنة ١٩٢٩، حيث اجتمع المؤتمر النسائي الأول، الذي ضم نحواً من " ٣٠٠٠ " امرأة فلسطينية في بيت المقدس، مقتصراً على الصفوة من النسوة اللاتي حصلن على قسم من التعليم و الثقافة، وممن سمحت لهن ظروفهن العائلية من الطبقة الوسطى بالتحرك بحرية نسبية، وظل نشاط المرأة على هذا المستوى يتنامى حتى حرب ١٩٤٨، وتطور هذا النشاط مجاوزاً التظاهرات، وتشكيل

[١]- شهاب أسامة ،القصة النسوية المعاصرة في الأردن وفلسطين ، مرجع سابق ، ص ٣٧ .

اللجان و المؤتمرات أو تشجيع الإضرابات ،إلى نقل السلاح إلى المحاربين، وإلى عناصر عديدة من المقاومة السرية و الأعمال الفدائية خلال المرحلة الثالثة منذ سنة ١٩٦٧، وتلقت المرأة بعد ذلك تبعات تلك النكبات، إلى جانب الرجل، فتشردت وسكنت المخيمات وتعرضت للتعذيب في سجون الاحتلال .. مما عزز الروح الثورية لديها فتطوعت في صفوف المقاتلين، وانخرطت في الأعمال الفدائية، وأسهمت في التوجيه العقائدي ، ورعاية أسر الشهداء، وفي فتح المدارس لليتامى من أبناء الشهداء، وفي تكوين الكوادر النضالية والفدائية إلى جانب ممارسة التمريض و الرعاية الصحية و التعليم " [١].فالمرأة الفلسطينية ليست عاجزة ، فقد قاومت المحتل منذ بدايات الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، وقامت بالقتال والنضال والدفاع عن الوطن ، بالسلاح والكلمة ، وقد سجلت الكاتبة ، هذه المواقف النضالية ، ولكنها لم تنس أن تحرير الوطن بحاجة إلى تحرير نسائه أولاً .وبرز دور المرأة في حرب حزيران فبعد " نكبة ١٩٦٧ نجدها تناضل عن وطنها فاستشهدت ، وسجنت ، و أبعدت كثيرات منهن ، وما زلن يلاقين كل ألوان الظلم والتعسف من السلطات المحتلة . لقد وصلت المرأة المناضلة في فلسطين قمة التفاعل مع الهمّ الجماعي متجاوزة المستويات الدنيا من العمل الاجتماعي ، والثقافي ، والخيري ، وغيرها ، فوصلت في وعيها إلى السياسة والنضال ، والأحزاب السياسية . لكنها بقيت مقيدة بنظرة متخلفة أعاقت وصولها إلى مركز قيادي يتناسب وتضحياتها وظل عمل المرأة السياسي محكوماً بسقف الحواجز الكثيرة ، التي تفرض عليها ، و بقي دورها هامشياً رغم التضحيات التي قدمتها " [٢]. فالمرأة قدمت الكثير في سبيل الوطن ، ولكنها لم تجن ثمار عملها ، وذلك بسبب النظرة الدونية المتخلفة لها .

و " رصدت سحر خليفة مقاومة الأطفال الفلسطينيين بالحجر .فعندما صودرت الأرض رشق أولاد الفلاحين في " عباد الشمس " الحجارة ، وبنت أبو سالم رشقت في المظاهرة بالحجر ضابطاً إسرائيليا ففتحت نافوخه ، والمقاليع لعبة الشباب والأطفال ، فهل كان ذلك نبوءة الكاتبة... الفعل المقاوم المدني ، أي : الانتفاضة ؟ الحجر ، هذا

---

[١]- مريم جبر فريحات ، شخصية المرأة في القصة القصيرة في الأردن ، اربد ، دار الكندي الطبعة الأولى ، ١٩٩٥، ص ٨١.
[٢] - عبيدات أروى ، صورة المرأة في الرواية الأردنية ، مرجع سابق ، ص ، ٣١ .

السلاح البدائي للأعزل ، والذي فجر قريحة الشعراء والصحافيين والكتاب ، منذ صار عنوان الانتفاضة "[١] . وبذلك تكون نبوءة الكاتبة قد تحققت، في الانتفاضة الأولى " ١٩٨٧- ١٩٩٣ " وفي الانتفاضة الثانية، انتفاضة أو ربطت الكاتبة في رواياتها المختلفة بين قضية المرأة وقضية تحرير الوطن، الذي نادى به المفكرون من القدم، فقد نادى به قاسم أمين في كتابه تحرير المرأة حيث " يربط بين قضية المرأة وقضية الوطن وارتقاء الأمم " وبالجملة فإن ارتقاء الأمم يحتاج إلى عوامل مختلفة متنوعة ، من أهمها ارتقاء المرأة . وانحطاط الأمم ينشأ من عوامل مختلفة متنوعة أيضاً ، من أهمها انحطاط المرأة ، فهذا الانحطاط في مرتبة المرأة عندنا هو أهم مانع يقف في سبيلنا ليصدنا عن التقدم إلى ما فيه صلاحنا " [٢] . ومن هنا يرتبط تحرر الوطن بتحرر المرأة ، حيث توصلت الكاتبة إلى نتيجة مفادها بأن المرأة هي التي يجب أن تحرر المرأة ، وأن تحرير المرأة هو السبيل الوحيد إلى تحرير الوطن؛ لأن الرجل وحده سيبقى عاجزاً ومعوقاً دون مساندة المرأة حيث " أقامت سحر خليفة مشروعها الروائي ، على ثنائية : المرأة – الوطن ، حيث لا سبيل إلى تحرير الوطن دون رجل حرّ يعترف بكيانيّة المرأة دون شروط . ولذلك بدت المرأة ، في أكثر من رواية، مجازاً عن وطن يقاتل معوقاً، لأن قيوده الذاتية تمنع عنه الحركة الطليقة " [٣]

إذن لا سبيل إلى تحرير الوطن دون تحرير المرأة وهذا ما يدلنا عليه التاريخ كما تقول نوال السعداوي : " التاريخ يدلنا على أن الثورات الاشتراكية وحروب التحرير تسرع بعملية تحرير المرأة في الشرق أو في الغرب، وقد ساهمت حرب التحرير الجزائرية في كسر كثير من قيود المرأة بالجزائر ، كذلك تسهم حركة التحرير الفلسطينية في تحرير المرأة الفلسطينية ، مما يربط بين قضية تحرير الشعب ككل وقضية تحرير نسائه " [١]. وتظهر هذه الفكرة في قول عفاف في "مذكرات امرأة غير واقعية " عفاف جزء من ثورة المرأة الفلسطينية والثورة الفلسطينية هي جزء من

---

[١] - نبيل سليمان ، فتنة السرد والنقد ، اللاذقية ، دار الحوار ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٠ ، ص ، ١٩٨ .
[٢] - أمين قاسم ، الأعمال الكاملة ، تحرير المرأة ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٦ ، ص ، ٩٧ ، دراسة وتحقيق الدكتور محمد عمارة .
[٣] - فيصل دراج من مقدمته لرواية ، صورة وأيقونة وعهد قديم ، ص٥ .

الثورة العالمية " [٢]. وعند رفيف في رواية "عباد الشمس "إذ تعتبر تحرير المرأة هو السبيل الوحيد إلى تحرير الوطن قبل التفاوض مع اليهود .

ومن الأمثلة النسوية البارزة التي قدمتها الكاتبة سحر خليفة على قضية النضال الوطني، شخصية سمر في رواية "باب الساحة "، و شخصية سعاد في رواية "ربيع حار" ،وقدمتها عن طريق الرمز مثل : شخصية مريم في رواية "صورة وأيقونة وعهد قديم " . وقد توصلت إلى نتيجة مفادها أن تحرير الوطن لا يمكن أن يتم إلا من خلال تحرير المرأة .لأن الوطن لا يمكن أن يتخلى عن نصفه ويقاتل وينتصر .

فالكاتبة تطرح قضية المرأة من زاويتين مختلفتين ، المرأة في مواجهة الرجل ، والمرأة في مقاومة الاحتلال ، " حتى باتت سحر تؤطر بين ثنائيتين هما : المرأة في مواجهة الرجل. والإنسان الفلسطيني في مواجهة جندي الاحتلال. هاتان الثنائيتان المترافقتان والمتلازمتان في معظم رواياتها حتى أصبح من الصعب الفصل ما بين النضال ضدّ المحتل الغريب والنضال ضدّ ظلم الرجل والمجتمع للمرأة، والاقتناع أنّ تحرّر الوطن من رَق الاحتلال لا يكون كاملا وناجحا إذا لم يُرافقه تحرّر المرأة من قيود المجتمع والرجل "[٣].

وطرحت الكاتبة قضية النضال الوطني من خلال عدة شخصيات ، وجعلت شرف الدفاع عن الوطن أكبر من أي شرف " بعد شرف البلد و الأرض لا قيمة لأي شرف "[٤] .

و طرحت سحر خليفة قضية النضال الوطني من خلال شخصية سمر في رواية "باب الساحة "، فسمر التي تقاوم جنود الاحتلال في الانتفاضة وتدافع عن الحي ، لا تستطيع أن ترد القهر والظلم الذي تتعرض له من قبل الأخ والأب " قالت سمر وهي تحمل خشبة : " نطو على دار الست زكية . عليهم يا ستات " [٥] . " فسمر التي تنشد تحرير الوطن وتحرير الذات معا ، تشعر أنها " كلما فهمت أكثر ناءت أكثر

---

[١]- السعداوي نوال، الوجه العاري للمرأة العربية ، مرجع سابق ص٨ .
[٢]- خليفة سحر ، مذكرات امرأة غير واقعية ، مصدر سابق ، ص٩٦.
[٣] - منذر نبيه ، نجحت سحر خليفة منذ روايتها الأولى ،-http://www.ibn-rushd.org/forum/Hakam-Sahar.htm
٢٥/ ١٠/ ٢٠٠٥ .
[٤] - خليفة سحر ، الصبار ، مصدر سابق ، ص ٤٩ .
[٥] - خليفة سحر ،باب الساحة ، مصدر سابق ، ص ٦١ .

وخافت أكثر " . وفهمها هنا هو الوجه الآخر لوعيها برسوخ القيم وصلابة العلاقات الاجتماعية والوعي الاجتماعي السائد . فسمر حين ضربها جند الاحتلال " قاومت ورفعت يدها بالخشبة وبأي شيء يصلح للقذف " أما ضربات أخيها صادق – الذي يؤمن بأن المظاهرات والدفاع والمقاومة من شأن الرجال – فتحس بأنها " ليست أكثر من قارب تتقاذفه الأمواج والأنواء . وإحساس بالخجل العارم والانسحاق التام ، والتفاهة والذل وعدم القيمة " [١] .

إذن سمر تقاوم من أجل تحرير الوطن ولكنها لا تستطيع المقاومة على الصعيد الداخلي ، فتبقى عاجزة أمام الأخ الذي يكيل لها الضربات فهي تتعرض لقمع اجتماعي غير القمع السياسي الناتج عن الاحتلال . فـ " القمع الصهيوني هو في حقيقته " كذا " أقل ثقلا من اضطهاد الرجل للمرأة – كما تقول الرواية " - حين تصف الرواية حالة سمر أثر العنف الذي وقع عليها من الأب والأخ نقرأ " : وانطلق الآذان فجأة فأحسست بالموت ، فلا الاحتلال و لا الجيش ، ولا كل عفاريت الأرض ، أقدر على سحقها مما سحقت " تظل المرأة في الوضع الذي كانت فيه ، لأن الوعي الذكوري الذي يتعامل معها ظل في مكانه أيضا ، حتى نكاد نعتقد أن الانتفاضة تتحرك بفعل بشر يتم وعيهم بالسكون ولا يعرف الحركة " [٢].

وتتحدث الكاتبة عن النضال الوطني من خلال شخصية سعاد ، فهي تقاوم من أجل فلسطين ولن تقبل بظلم الرجل واضطهاده ولو كان حبيبا " وأعيش لأتلقى ضرباتك وإهاناتك ، وأقول فلسطين عاشت حرة وأنا المرأة أرسخ في الذل ولا أقوى على رد الظلم وأنت الظالم ، أنت القاسي، وما كنت تكون جلادي لولا خضوعي وما كنت عليه .أنا لن أخضع فانفرط العقد ".[٣] إذن فالمرأة الفلسطينية تسهم في مقاومة العدو على الصعيد السياسي ، وتدافع عن الوطن ، و تعمل في الهلال الأحمر وتسعف الجرحى من المقاتلين ولكنها ، مقموعة على الصعيد الاجتماعي فيجب تزويجها والخلاص منها ومن العار التي تلحقه بالأهل ، فهم البنات كما يقولون إلى الممات .

---

[١] -الماضي شكري ، الرواية والانتفاضة ، نحو أفق أدبي ونقدي جديد ، مرجع سابق ، ص ٤٦ .
[٢] - دراج فيصل ، دلالات العلاقة الروائية ، مرجع سابق ، ص ٢٤٣ .
[٣] - خليفة سحر ، ربيع حار ، مصدر سابق ، ص ٢٩٩ ، ٣٠٠ .

الفصل الثاني :
النماذج النسوية في روايات سحر خليفة

أولاً : المرأة المثقفة

ثانياً : المرأة الأم

ثالثاً : المرأة العاملة

رابعاً : المرأة المناضلة

خامساً : المرأة المومس

سادساً :المرأة الزوجة

سابعاً : المرأة الرمز

الفصل الثاني :
النماذج النسوية في روايات سحر خليفة

قدمت الكاتبة سحر خليفة مجموعة من الشخصيات النسوية في رواياتها الثماني، وكان لكل شخصية من الشخصيات صورتها الخاصة وقضيتها الخاصة، فقدمت لنا صورة للمرأة المثقفة، وصورة للمرأة الأم، وصورة للمرأة الزوجة، وصورة للمرأة الرمز، وصورة للمرأة المناضلة، وصورة للمرأة المومس، وصورة للمرأة العاملة .

وفي روايتها الأولى " لم نعد جواري لكم " قدمت فيها مجموعة من الشخصيات النسائية المختلفة ، وخاصة الشخصيات المثقفة و الغنية فهناك ،سامية المثقفة التي أحبت عبد الرحمن المثيلوني الفنان الكبير،وتركته بعد أن اعتقل ، وتزوجت وذهبت مع زوجها إلى أمريكا وبعد عشر سنوات عادت إلى رام الله – بعد موت زوجها – وافتتحت هناك مكتبة كانت مسرحاً لأحداث الرواية .

وهناك أختها نسرين التي كانت دائماً تحلم بالعودة إلى أمريكا ؛ لأنها لم تستطع التأقلم مع الحياة في رام الله ،وهناك ايفيت ابنة الحسب و النسب ،ايفيت الجميلة زوجة شكري ،امرأة ساذجة استطاع فاروق خريج أكسفورد صديق زوجها ، خداعها بحيث أصبحت تحبه وتحاول الفرار معه ولكنها ندمت في النهاية عندما تغرق ابنتها في البحيرة .

وهناك سميرة مدرسة اللغة الإنجليزية ،خريجة الجامعة الأمريكية ،سميرة المكافحة التي حصلت على بعثة من أموال الوكالة وساندت ابن عمها – خطيبها – في دراسته في إنجلترا ولكنه تعلق بفتاة إنجليزية وتركها وعاد إلى إنجلترا .

وهناك الفنانة سهى بركات ، الرسامة الحالمة المتناقضة مع نفسها ، ذات الأفكار السريالية و الأفكار الصوفية ،حيث تحاول الخلاص من قيد الجسد ، ولكنها تعود فتتخبط في دنسه راغبة في الحياة عازفة عنها .

وقد قدمت الكاتبة هذه الشخصيات النسائية المختلفة " لتصوير مجتمع يقوم على الاغتياب و القال والقيل ، لتبين تفاهة وفراغ وكسل أفراده – وعلى الخوف على السمعة الذي يبيح الانحطاط والفساد، طالما أن مغامرات الشخصيات يحيطها التكتم

والسرية ولا يعرفها الناس " [١]. فالرواية تكشف زيف وتفاهة المجتمع البرجوازي ، الذي يدعي الثقافة والمعرفة ، وينظر إلى أبناء عامة الشعب نظرة ازدراء ، لأنهم – حسب زعمهم - يحقدون على الأغنياء وأصحاب القرار .

وقدمت لنا الكاتبة سحر خليفة ، في روايتها الثانية " الصبار " مجموعة من الشخصيات النسوية المميزة ، التي استطاعت من خلالها أن تقدم لنا قضية المرأة بأسلوب جديد وطرح جديد. وكان لكل شخصية من هذه الشخصيات قضيتها الخاصة وطريقتها في العيش . ومن أهم هذه الشخصيات : سعدية أرملة زهدي ، وأم أسامة الكرمي ، وأم صابر ، ونوار الكرمي ، ولينة أخت صالح الصفدي ، وقدمت من خلال هذه الشخصيات دلالات جديدة ، بعد أن انتقلت إلى الأفق الواقعي ، فهذه الشخصيات النسوية تمثل نوعين مختلفين من النساء ، فسعدية وأم صابر وأم أسامة ، تمثل النموذج التقليدي للمرأة العربية ، الذي يقبع في البيت ، وليس لها من عمل سوى ، الإنجاب وتربية الأطفال والطبيخ وتنظيف البيت ، أما النوع الثاني ، نوار الكرمي ولينة أخت صالح الصفدي ، فتمثل الجيل الجديد ، الذي يرفض المسلمات القديمة ويسعى لمقاومة الاحتلال.

وفي روايتها الثالثة "عباد الشمس "، استمرت في الرواية مجموعة من الشخصيات النسوية ، وهي : سعدية أرملة زهدي ، وأم أسامة الكرمي ، وأم صابر ، ونوار الكرمي ، وظهرت شخصيات جديدة ومهمة، وهي شخصية المومس خضرة ، وشخصية الصحفية رفيف ، وفي هذا الجزء يطرأ تطور مهم على شخصية سعدية - بعد استشهاد زوجها - فتتحول من الصورة التقليدية إلى صورة المرأة العاملة التي تسعى بكل طاقتها إلى تأمين حاجات بيتها وأولادها، ويطرأ تطور آخر على شخصية نوار الكرمي التي تمل حالة الانتظار، بينما تبقى شخصيات أم أسامة وأم صابر على نمطيتها التقليدية، أما بالنسبة إلى الشخصيات الجديدة خضرة و رفيف، فإنها تقدم صورة جديدة ومهمة من صور المرأة، فخضرة المومس تفضح المجتمع وتعريه وتبين زيفه والتفاوت الاقتصادي فيه، وأما الصحفية رفيف فهي نموذج للمرأة المثقفة التي

---

[١] - العدوان أمينة ، لم نعد جواري لكم ، نقد وتحليل ، **مجلة أفكار** ، عدد (٢٣ " ، حزيران ١٩٧٤ م .

تحاول أن تحل مشاكل المجتمع من خلال عملها في المجلة ، وإشرافها على تحرير زاوية المرأة .

وفي روايتها الرابعة، " مذكرات امرأة غير واقعية "، قدمت فيها شخصية نسوية بارزة هي شخصية عفاف . عفاف التي تعاني من تسلط الرجل ،أباً ، وزوجاً ، وأخاً . أباً حين يقمعها ويمنعها من ممارسة أبسط أنواع الحرية ، وأخاً حين يحرمها من ميراث الأب . وزوجاً حين يعاملها كما يعامل السيد العبيد، فهي كقطعة الأثاث في المنزل تقوم بدورها دون مشاعر.

وعفاف تكره زوجها فحين تحبل منه تسقط الطفل وتصبح امرأة عاقراً ، فتزداد نقمتها على الحياة، يسمح لها زوجها بزيارة أهلها بشرط أن يسافر إلى أوروبا، وفي عمان تلتقي بحبيبها السابق وتقضي معه أوقاتاً ممتعة، ولكنه لا يستطيع أن يتحرر و أن يطلق زوجته ، وهي أيضاً لا تستطيع أن تتحرر وتطلق لأن كل منهما مرتبط بالعائلة، تحاول صديقتها نوال تخليصها بتوجيهها نحو العمل؛ لأن العامل الاقتصادي عامل مهم في تحرير المرأة، فالمرأة التي تعتمد على الرجل في حياتها المادية لا تستطيع أن تتحرر من سلطانه.

لكن المرأة التي تملك العمل، و بالتالي المال تستطيع أن تعتمد على نفسها وتتخلص من سلطان الرجل ،و تعود عفاف إلى أمها وتتذكر الماضي وتتحدث عن هم المرأة من خلال حكايات النسوة المجتمعات في بيت أمها، النساء اللواتي يجعلن من كل شيء قسمة ونصيباً، دون أن تكون هناك إرادة للإنسان. وتنتهي الرواية بحلم عفاف بالكلمة الحلوة اللطيفة التي كانت تبحث عنها منذ الصغر في مجتمع يعتبر بول الذكر نوعاً من الكولونيا، فهي صورة للزوجة المقموعة التي تعاني من الإحساس بالغربة وعدم القيمة .

وفي روايتها الخامسة " باب الساحة " قدمت نماذج جديدة ومهمة من الشخصيات النسوية، شخصيات نسوية تعاني من قمع الرجل " سمر ، نزهة ، سكينة أم نزهة ، الست زكية ، سحاب أم حسام ، أم عزام " ، فسمر خريجة جامعة النجاح التي تقوم بعمل استبيان حول التغيرات التي طرأت على المرأة خلال الانتفاضة، تتعرض

للضرب و الإهانة من أخيها، ونزهة المومس التي دفعها المجتمع إلى البغاء تعاني من قمع المجتمع ولكنها تعريه وتكشف زيفه وخداعه، وسكينة أم نزهة، التي يذبحها الملثمون ؛ لأنها جعلت من بيتها مكاناً للدعارة و الجاسوسية، تلك الأرملة الفقيرة التي دفعها الفقر إلى الانحراف و السقوط .

وهناك الست زكية الملقبة بأم الشباب، التي يسلبها أخوها ميراثها فلا تملك إلا الصمت و السكوت، وسحاب التي لا نلحظها إلا من خلال شريط الذكريات الذي يمر في ذاكرة حسام، فهي ترفض عالم الرجال ، الذي يرفض أن يعاملها كإنسانة، وأم حسام التي تهرب من بيتها ومن زوجها البخيل شقيق الست زكية، لأنه يضربها بالرغم من مرور ثلاثين سنة على زواجها، فهي تمثل النموذج المقموع و المستلب الراضخ لتسلط الزوج وإرادته، كل هذه الشخصيات النسوية المقموعة و التي تعاني من تسلط الذكر، هي العنصر الفعال في مقاومة الاحتلال .

وفي روايتها السادسة " الميراث " تقدم الكاتبة شخصيات نسوية جديدة ومهمة " نهلة ، زينة ، فيوليت ، أم فيوليت ، الست أميرة ، فتنة ، زوجة أبي سالم وبناته " ، فهذه الشخصيات " تعاني من الحرمان العاطفي و العلاقات غير السوية . فالشخصيات النسائية ومعها الرجالية أيضاً ضحايا اللحظة التاريخية التي تضم في أحشائها الحاضر و الماضي و الموروث معاً . فهناك انهيار سياسي واقتصادي واجتماعي أيضاً " [١] .

وفي روايتها السابعة " صورة وأيقونة وعهد قديم " ، تقدم شخصيات نسوية جديدة ومهمة فهناك مريم التي تشكل شخصية رئيسية ومحورية في الرواية، فهي رمز للقدس العربية التي تعاني من التهويد و التغيير، وهناك شخصيات نسائية أخرى مثل سكينة المرأة الفلاحة التي تعاني من قمع الرجل ،وجميلة الراهبة التي تربي ابن إبراهيم ومريم .

وفي روايتها الثامنة " ربيع حار " تقدم الكاتبة شخصيات نسوية جديدة ومهمة ، فهناك شخصية ميرا الفتاة اليهودية – وهي أول شخصية يهودية تظهر في روايات الكاتبة – وشخصية سعاد الفتاة المثقفة، وشخصية أم سعاد، وجدة مجيد " الجنكية "، و

[١]- الماضي شكري ، الرواية العربية في فلسطين و الأردن في القرن العشرين ، مرجع سابق ، ص ٨٧.

لورا الواشمي التي أحبت مجيد . وبذلك نجد أن الكاتبة قد قدمت في رواياتها صوراً مختلفة ومتعددة للمرأة، عالجت فيها قضايا المرأة ومشاكلها، وقدمتها بأسلوب جديد وكانت لها رؤيتها الخاصة في هذه القضايا ، وسنعرض في هذا الفصل صور المرأة ونناقشها ونحللها .

أولا : المرأة المثقفة :

قدمت سحر خليفة صوراً متعددة و مختلفة للمرأة المثقفة في رواياتها ، حيث قدمت لنا شخصية سهى بركات في رواية " لم نعد جواري لكم "، وشخصية الصحفية رفيف في رواية "عباد الشمس "، وشخصية سمر وسحاب في " رواية باب الساحة " ، وشخصية زينة في رواية "الميراث "، وشخصية لورا الواشمي في رواية " ربيع حار" .

وهذا التعدد لا يعني التكرار ، فقد فرضت رؤية الرواية وتطور صورة المرأة هذا التعدد ، ففي روايتها الأولى " لم نعد جواري لكم " كانت سهى بركات تمثل المرحلة الوجودية الأولى عند الكاتبة ، حيث كانت مهتمة بالكتابات الوجودية وتبحث عن الحرية الفردية ، فكانت سهى تمثل الفكر الوجودي ، الذي يبحث عن الحرية فهي نموذج " للفنان البوهيمي أو " الهيبّي " يمكن أن نجده في الحي اللاتيني في باريس ".[١]

وبعد أن انتقلت إلى الأفق الواقعي قدمت الكاتبة لنا الصحفية رفيف ، في رواية "عباد الشمس " ، رفيف التي كانت تساعد المرأة في حل مشاكلها من خلال عملها في مجلة البلد ، فقد كانت مسؤولة عن تحرير زاوية المرأة ، فهي تمثل المرأة المثقفة الواعية الساعية إلى لعب دور مهم وفاعل في المجتمع ، من خلال تنمية ثقافتها وشخصيتها مما يجعلها ندا للرجل في الثقافة والمعرفة ، وترى أن تفوق الرجل عليها إنما كان بسبب تغليبه العقل على العاطفة .

وقدمت لنا شخصية سمر وسحاب في رواية " باب الساحة "، سمر خريجة جامعة النجاح ، التي تسعى إلى البحث العلمي ، وتقوم باستبيان فيه سؤال جوهري ومهم ، ما التطورات التي طرأت على المرأة خلال الانتفاضة ؟ ولكننا لن نقدم سمر مع

---

[١] - أبو نضال نزيه ، تمرد الأنثى ، مرجع سابق ، ص ، ٦٣ .

نموذج المرأة المثقفة ، حيث سنقدمه في نموذج المرأة المناضلة ، لأن الدور النضالي لها كان أبرز ، وهناك شخصية سحاب التي تظهر من خلال ذكريات حسام فهي امرأة مثقفة وواعية . وقدمت لنا شخصية لورا الواشمي في رواية " ربيع حار" ، لورا التي عملت مراسلة تلفزيونية بسبب نفوذ والدها وجنسيتها الأمريكية ، لورا التي أحبت مجيداً وأحضرته إلى بيتها عندما أصيب ، وأبقت عليه حتى تعافى ، هذه نماذج مختلفة من صورة المرأة المثقفة قدمتها الكاتبة في فترات زمنية مختلفة للتعبير عن قضايا ورؤى مختلفة .

١- : سهى بركات " الرسامة " في رواية لم نعد جواري لكم :

صورة للمرأة المثقفة و الفنانة المبدعة ، كانت تبحث عن حريتها الشخصية ، فاختارت عبودية الفن على عبودية الرجل، وحاولت أن تحيا حياة متمردة خارجة على شرط المجتمع ، وترى أنت الفنان نصف إله يترفع عن البشر العاديين .

تحاور في المسائل الفنية والفلسفية المعقدة، وحاولت الإجابة على السؤال المعقد ، هل الألم هو الذي يخلق معظم الفنانين الخالدين ؟ فهي تشعر بعبثية الوجود ولا جدواه فهي تبحث " عن كل شئ، وعن لا شئ ! "[١] .

اعتقدت أن الحرية في الجنس والحياة البوهيمية ، ولكنها شعرت بعبثية ذلك " فقالت بحدة : " نعم كنت أشتهيه، ماذا، ألا يحق لي أن أشتهيه ؟! "[٢] ، فهي لم تجد السعادة في الجنس واعتقدت أن الحرية في تعاطي المخدرات ، فجربت عدة أنواع من المخدرات محاولة للهروب من الواقع " أنا لا أتعاطى نوعاً محدداً، كي لا يدمنه جسمي، فأنا أتعاطى شتى الأنواع، كل الأنواع، أي نوع يصادفني أو أستطيع الحصول عليه ! "[٣] .

وهي في صراع حاد بين نداء الجسد ونداء الروح ،فأزمتها الحقيقية تشبه أزمة " بجماليون " الذي صنع التمثال وعندما دبت فيه الروح حطمه ، لأن الفن خالد والحياة زائلة ، فهي دائمة الألم و الحزن في بحثها المتواصل عن الحرية والسعادة ، تمثل

---

[١] - خليفة سحر ، لم نعد جواري لكم ، مصدر سابق ، ص ١٦٩ .
[٢] - الرواية ، ص ١٢٠ .
[٣] - الرواية ، ص ١٦٩ .

شخصية الفنان بنشوته وحزنه واكتئابه وضياعه ، الفنان المتناقض مع نفسه ، فكانت شخصية مأزومة، تبحث عن حريتها من خلال الجنس و المخدرات و الفن ، ولكنها لم تستطع الوصول إلى هذه الحرية وعادت إلى سوريا .

٢- : الصحفية رفيف في رواية عباد الشمس :

صورة للمرأة المثقفة المتعلمة ، فهي تحرر زاوية المرأة في مجلة البلد ، تحب عادل الكرمي وسعت من خلال ثقافتها و معرفتها إلى التحرر من التبعية للرجل ، وحاولت أن تبني شخصية مستقلة ، تتصف بالعناد و القوة و التحدي . فهي " تسعى من خلال وعيها الثقافي المتقدم إلى لعب دور فاعل في محيطها الاجتماعي و الوطني ، كما تسعى إلى تنمية قدراتها الشخصية وتطوير ذاتها .. بما يجعلها صنوة للرجل في ثقافته وقدراته الذهنية ومعارفه العامة، فهي تعتقد أن ما يميز الرجل ويجعله أكثر تفوقاً هو تغليبه العقل على العاطفة على عكس المرأة " [١].

تحاول الخروج على سلطان الرجل " أسير معك كند لا كتابع " [٢]. تبحث عن " الرجل – المثال ، المتسق أيديولوجيا، أي الرجل القادر على تحقيق المصالحة في ذاته، بين ممارسته وقناعاته السياسية من جهة، وممارساته وقناعاته الأيديولوجية مع المرأة بالتحديد، وترى أن الرجل العربي ما زال مريضاً، منفصماً منقسماً يرغب في شيء ويطبق آخر ... هو ضحية كالمرأة تماماً، لكن مرضه أخطر لأنه الأقوى و المتجبر "[٣] .

فهي بسيطة ومحبة للحياة " تعجبه بساطتها، يعجبه حبها للحياة ، تلك الشهوة الغريبة للأشياء لكنه يخافها يخاف سطوتها وتسلطها " [٤]. تكتب الشعر الوجودي المتمرد . "قصائدها مازالت تحمل الطابع الوجودي المتفرد ،لكنها صادقة، عنيفة في

---

[١]- أبو نضال نزيه ، تمرد الأنثى ، مرجع سابق ، ص ١١٧.
[٢] - خليفة سحر ، عباد الشمس ، مصدر سابق ، ص ١١ .
[٣] - الشنابلة نسرين ، روايات سحر خليفة ، مرجع سابق ، ص ٧٧ .
[٤] - خليفة سحر ، عباد الشمس ، مصدر سابق ص ١٥ .

صدقها وتوقدها "[١] . ولها القدرة على الحوار والحديث والمناقشة ، " أنتم مشعوذون مهرجون مخصيون ، أنتم مخصيو العقيدة و الفعل و العواطف "[٢] .

وتتعرف أكثر إلى مشاكل المرأة من خلال عملها في زاوية المرأة ، وترى أن سلطة الرجل على المرأة وقوامته مستمدة من الدين ، والموروث الثقافي و القبلي ، والثقافة الذكورية في المجتمعات الشرقية . وتطرح قضية الجنس وترى هذه القضية مرتبطة بالعهر والزنى والسقوط ." و الجنس في الوعي العربي مقترن بالعهر و الزنا و السقوط إذا كان خارجاً عن الإطار .وإذا كان داخل الإطار فانكحوا ما طاب لكم من النساء، و الرجال قوامون على النساء، و للرجل مثل حظ الأنثيين و النساء ناقصات عقل ودين . معنى هذا أنا ثورة المرأة ... ضد نظام اجتماعي اقتصادي ديني أخلاقي "[٣] .

و تطالب بنصف المجلة لأنها ترفض العمل في مجلة " يقطف ثمار مغانمها الرجل "[٤].

وشرحت وجهة نظرها " إن الزاوية تمر بمشاكل المرأة مرور الكرام دون أن تتوغل فيها وتحاول نبشها بشكل جدي ،وبذلك اتخذت الزاوية طابع المهدئ و الرشوة بدل أن تتخذ طابع التثوير و التوعية "[٥] . وتطرح مشروعاً جديداً تطالب فيه بنصف المجلة وهو " لنصف الشعب الحق في نصف المجلة "[٦] . فنجد أن شخصية رفيف تشكل نموذجا حيا للمرأة المثقفة الواعية بما يدور حولها ، المطالبة بالتغيير ، من خلال مكان عملها كصحفية تعمل على تحرير زاوية المرأة .

٣- سحاب في رواية باب الساحة :

تظهر هذه الشخصية من خلال التذكر والاسترجاع ، ولا تظهر بشكل مباشر ، فهي صورة للمرأة المثقفة التي تمتلك رؤية سياسية وخبرة في الحياة ، حيث عملت في صفوف المقاومة في لبنان ، أحبها حسام وكان يكتب فيها الشعر ، وهي التي دفعته إلى

---

[١] - الرواية ، ص ١٥ .
[٢] - الرواية ، ص ١٥ .
[٣] - خليفة سحر ، عباد الشمس ، مصدر سابق ص ، ٢١١ .
[٤] - الرواية، ص ، ٢٠٦ .
[٥] - الرواية، ص ، ١٤٢ .
[٦] - الرواية، ص ١٤٧ .

القراءة والمطالعة ، " فسحاب لها رؤية نقدية : للأدب والشعر الذي يتخذ المرأة رمزاً، وللحب، و الذكورة و الأنوثة، و المواقف الاجتماعية لقادة العمل السياسي النضالي قبل الانتفاضة و في أثناء الانتفاضة" [١] . فسحاب هي المعلمة الأولى لحسام وهي أكبر منه وقد أحبها ، " حين التقاها لأول مرة أحس بزلزال في بدنه . صعقة كهربية أشعلت في قلبه هبات نار امتدت وانداحت في رأسه.وقفز الدمع إلى عينيه بدون مبرر ، فلا حزن هناك، ولا ألم أو خوف . لكن الدمع غباش مفاجئ . كانت كبيرة ، وهو صغير . كانت معلمة في مدرسة على الدرج العريض ، وكان مازال صبياً ، ولهذا حاول أن يكبر " [٢]

.

وهي مثقفه ومتعلمة وعلى قدر من الوعي والإدراك، " تدرس العلوم و الأحياء ، تخرجت في الجامعة الأميركية في بيروت بعد أن نالت منحة ، كانت من العشرة الأوائل . فهي إذن ذات عقل وفهم . الجامعة الأميركية و الأحياء ؟ يا رب السماء ! فليقرأ إذن كتب العالم ! "[٣]

وهي ترفض أن يعاملها الرجل كزوج الجرابات ، ينتقي كل يوم زوجاً وكل يوم لوناً ، فهي تقف موقفاً سلبياً من القادة الذين يستغلون المرأة لحاجاتهم الشخصية ، حيث" تعبر سحاب عن رؤيتها لموقف القادة الكبار ، قادة العمل النضالي من المرأة ، بوضوح وصراحة ، فهؤلاء ينظرون إليها شيئاً من الأشياء لا أهمية له ولا قيمة ".[٤]

وترفض أن تكون الرمز ، فهي تريد أن تعامل كإنسانة لها حقوقها وكيانها المستقل " بل الفكرة . يا ابني يا شاطر في الأول أنا كنت الأم ، و الآن، أنا كنت الأرض، وغداً، طبعاً ،أكون الرمز . اصح يا شاطر أنا لست الأم ولست الأرض ولست الرمز ، أنا أنسانة ، آكل أشرب أحلم أخطئ أضيع أموج و أتعذب وأنا زي الريح . أنا لست الرمز ، أنا المرأة "[٥] .

فحسام يريد أن يعاملها رمزاً ونموذجاً وصورةً ومثالاً " أحس من الثانية الأولى ما عدت الأرض، ما عدت الرمز، ما عدت الشمس ، بل الإحساس " قال : "

---

[١]- الماضي شكري ، الرواية والانتفاضة ، مرجع سابق ، ص ، ٥٠.
[٢]- خليفة سحر ، باب الساحة ، مصدر سابق ، ص ٥٢.
[٣]- الرواية، ص٥٣.
[٤] - الماضي شكري ، الرواية والانتفاضة ، مرجع سابق ، ص ، ٤٩ .
[٥]- خليفة سحر ، باب الساحة ، مصدر سابق ، ص ٧٦.

إذن هذا هو السر ، إن مات الرمز يبقى الإحساس " قالت : " فعلاً ، إن مات الرمز يبقى الإحساس " مد يده ليودعها وتمتم : " يا خسارة ، يا خسارة ! " وقالت : " يا خسارة ، يا خسارة ، هذه هي الدنيا هذا هو القائد و الفنان ، في دنيا بعيدة مهجورة و الناس بعاد ، و القائد ايده على قلبه خايف الشمعة تطفيها هبات البرد . في زمن الحرب ، ينتصر الموت على الإحساس ؟" [١] .

وتحاضر في الجمعية عن الحضارة والمنطق ، فهي ترفض أن تكون بضاعة " لكن الحضارة وعي ومنطق ، بدون الوعي لا تكون حضارة " [٢] . " لسنا بضاعة " صاحت هذه ، وتفننت تلك ، وخرجنا من الجمعية يهتفن ، فامتلأ الشارع على الصفين صف الذكور وصف الجنود ، و النسوة يتلقين الضرب " [٣].

وحسام يشعر بأنه لم يعد يفهم سحاب ، فهو العاشق ولكنه لا يستطيع أن يفهم بأن العشق مساواة وحرية وليس انجرافاً وراء العواطف ، فكانت سحاب صورة للمرأة المثقفة المناضلة في ظل الانتفاضة التي ترفض أن تكون تابعة للرجل ولو كان قائداً سياسياً .

٤- زينة في رواية الميراث :

" وفي الميراث، ١٩٩٧، توقفت سحر خليفة من خلال بطلة روايتها " زينة " لترصد الوقائع الفجائعية التي أعقبت " أوسلو" وقيام السلطة الفلسطينية بهوية وطنية زائفة، ممهورة بالأحرف العبرية، وبإدارة الحاكم العسكري الصهيوني، وحيث كل شيء يتشظى ويتآكل على أسنة الاحتلال ومصالح الأفراد وامتيازات أغنياء الثورة وملحقاتهم "[٤].

وزينة أو زينب هي فتاة أمريكية من أصل فلسطيني ، تعود إلى الضفة بعد مرض أبيها وتقوم بدور الراوي ،زينب تعاني من تمزق نفسي رهيب ، تعيش في أمريكا وتحمل الجنسية الأمريكية ، ولكن أحلامها هناك في وادي الريحان ، حيث تحلم بالحنان والحب والأسرة ." ابتدأت القصة في نيويورك حين جاء الوالد من القرية

---

[١]- الرواية ، ص ١٧٧ .
[٢]- الرواية ، ص١٨٢ .
[٣]- الرواية، ص ١٨٢.
[٤]- أبو نضال نزيه ، تمرد الأنثى ، مرجع سابق ،ص ٥٠.

وتزوج امرأة أمريكية ، طبعاً أمي، وحصل على البطاقة الخضراء، ثم الطلاق كالعادة، ثم البقالة و الزوجات، وجيش عريض من الأطفال. قبل البقالة كان أبي بائع خردة يحمل الأشياء على ظهره ويدور بها بين البيوت. كان يبيع البضائع من أي مكان في العالم على أنها منتوجات مقدسة من الأراضي المقدسة "[١].

تدور أحداث الجزء الأول من هذه الرواية " بلا ميراث " في أمريكا ، حيث تعيش زينة مع أبيها وعندما تكبر يحاول أبوها أن يقتلها ؛ لأنها حملت من شاب هناك ، فتهرب إلى جدتها وتعيش معها ، وبعد أن تلد تسلم الطفل إلى مركز للتبني ، وتستمر في تعلمها حتى تصبح مؤلفة معروفه في علم الإنسان " وجئت أنا لأرث كل هذا وذاك، فأصبحت مؤلفة تذكر في علم الإنسان و الحضارات، أي أنثروبولوجست . لكن قبل أن أصبح ما صرت عليه كان علي أن أستفيد من حيل الوالد" [٢]. فهي عالمة في علم الإنسان ومطلعة على الحضارة الغربية . وتحلم بالعودة إلى الوطن ، فهي تعاني من مشكلة فقدان الهوية وضياع الوطن . "- راجعين للبلاد و الله العظيم . سمعته بأذني ، روحي اسمعيه " [٣]. وهي صورة للإنسان الذي يشعر بالضياع ، الإنسان الفاقد للهوية ، الإنسان الذي يعيش في بلد وأحلامه في بلد آخر ، جسده هنا وروحه هناك ،" تبحث زينه الأمريكية ذات الأصول العربية عن زينب الفلسطينية بالارتداد إلى المكان / الذاكرة و الأهل في وادي الريحان . و المهم هنا ليس بالعثور على الجذر/ الميراث ، كما لدى اليكس هاليي .. بل المهم هي عملية البحث عن ذاتها التي تتعرف من خلالها على الوطن .. على الناس .. على ذاتها وبالتالي اكتشاف مدى قدرتها على الانسجام و التناغم مع هذا الجذر.. الآخر " [٤] .

فالإنسان بلا جذر أو لغة أو هوية أو انتماء لا قيمة له ، فالإحساس والحب والأشواق الروحية عند الإنسان ، لا تكون إلاّ في الوطن – الرحم الذي انبثق منه الإنسان – وبين الأهل ، " قبل ضياعي، لغتي ضاعت، هويتي ضاعت، وكذلك اسمي وعنواني . كان اسمي بالأصل زينب حمدان، ثم مع الوقت ، أصبح زينة. كان الوالد،

---

[١] - خليفة سحر ، الميراث ، دار الآداب ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧ ، ص ١١ .
[٢]- الرواية ، ص ١٤ .
[٣] - الرواية ، ص ١٦ .
[٤]- أبو نضال نزيه ، تمرد الأنثى ، مرجع سابق ، ص ٥٣.

محمد حمدان، ثم مع الوقت، صرت بلا محمد أو حمدان . أصل الوالد : وادي الريحان، وأنا ولدت في بروكلين. فزينة إذن بين البينين و اللغتين و المفعولين، مفعول بروكلين والضفة، مفعول الجدة و الوالد، ثم بلا فاعل أو مفعول "[١]، إحساس الإنسان بالضياع يولد لديه حزناً عميقاً داخل النفس ،وإحساساً بالتشظي بين حياته التي يعيشها ، وبين أحلامه ودفقات قلبه التي تشعره بأن مكانه الصحيح ليس هنا ، بل هناك وراء البحار .

فهي تحلم بالعودة إلى الوطن ، وتتمنى أن تعيش فيه ،" وهكذا ، ليس باستطاعتي الإدعاء بأن طفولتي كانت تعيسة، بل كانت مليئة بالإثارة و المرح و الأكل الزاكي ... وباستثناء زوجات الوالد، وحلم بالعودة إلى الوطن لم يتحقق، وأمل باستلام تلفون من أمي في لوس أنجلوس لم أستلمه "[٢]. عاشت على الطريقة الأمريكية ، لكن عادات الشرق لاحقتها ، فأراد الوالد أن يقتلها عندما علم بأنها حامل .

" فقد كنت خائفة أن يكتشف أبي حملي فيقتلني كما كان يهدد، وقد حاول. لكني هربت من بروكلين ولجأت إلى الجدة في واشنطن وعشت حياة طبيعية، أو بلا حياة على الإطلاق فرق كبير بين هذا وذاك، أقصد ، في الواقع، و المحسوس، فرق كبير بين بروكلين و بين الحياة في واشنطن، أو بالأحرى. بين الحياة مع الجدة، و بين الحياة مع الوالد "[٣]، ولم تستطع أن تنسى والدها بعد أن عاشت مع جدتها ؛ لأنها تحبه ومتعلقة به ، ولكنها أخطأت في لحظة طيش فطلبت العفو ، ولكن عادات الشرق كانت أقوى منها .

" وأنا كذلك لم أنسه عشت مع جدتي سنوات وسنوات، ونسيت أمي ونسيت ابني، لكني أبداً لم أنس منظره وهو يقطع الممر: ذراعه مربوطة إلى عنقه، وظهره محني تحت وطأة عار تراكم منذ آلاف السنين. صحت بأعلى صوتي : " بابا سامحني ."[٤]

عاشت مع جدتها وكانت حياتها معها سريعة ، وحدث معها عند جدتها أمران مهمان : الأول تسليم ابنها إلى مركز للتبني ، والثاني مقابلة أمها ، " حياتي مع جدتي

---

[١] - خليفة سحر ، الميراث ، مصدر سابق ، ص ١٨ .
[٢] - الرواية، ص ١٩ .
[٣] - الرواية ، ص ٢١ .
[٤] - الرواية ص ، ٢٥ .

كانت سريعة، وكذا الأحداث تتراكض لا أستطيع أن أذكر التفاصيل باستثناء حادثتين لازمتاني ليل نهار. الأولى حين سلمت ابني إلى مركز للتبني، و الثانية حين قابلت أمي لأول مرة "[١] . فزينب لا تشعر بالانتماء لتلك الأرض ، فهي لا تشعر بحنان أمها ، ولم تشعر بحاجتها للطفل الذي هو فلذة كبدها ؛ لأنه ولد غير شرعي .

حاولت أن تثبت ذاتها عن طريق النجاح ، ولكنها فقدت الإحساس بالناس ، " كنت أظن أن نجاحي سوف يجعلني أقوى وأقدر على استرداده، لكن ما حدث هو أنني كل ما أصبت نجاحاً طلبت المزيد. النجاح كان أن أثبت ذاتي، ففقدت الإحساس بالآخرين " [٢]. فالنجاح لم يعوضها عن حنان الوالد ، فأحست ببرود المشاعر من الداخل ، فأصبحت نفسها كصحراء من جليد لا يهزها شيء " لم أعد ألهو وأضحك، وما عدت أحب الأكل مع الآخرين. تعلمت أكل الساندويشات و أنا أركض، تعلمت أن أحتمل الصمت وأنا أمضي الأيام بدون رفاق . تعلمت أن أجلس بالساعات في الجمعات بدون أغان وبدون طرب" [٣].وهي تشعر بالضياع وفقدان الهوية ، وعدم المقدرة على العيش مع الناس ، فقد فقدت الأسرة ، وصارت كاليتيمة ، وبدون أمل .

فقدت الإحساس بالجماعة والأسرة والانتماء ، فهي لا تشعر بأن جذرها في هذه الأرض بل هناك شيء ما في الأعماق يشدها إلى هناك " وكانت " نحن " تؤلمني، فما معنى نحن ؟ ومن نحن ؟ نحن الأمريكان ؟ أنا لست أمريكية. " من أنت إذن ؟ " سألتني يوماً حين كررت ذاك القول . لم أقل عربية لأني لست كذلك من أنا إذن ؟ بالرغم من جنسية أمي، شهادة ميلادي، شهادة مدرستي، كتبي، لهجتي، ملابسي وكل حياتي، لست أمريكية حقاً. وفي الأعماق، لست أمريكية حقاً. تلك الأعماق المسكونة برؤى وصور [٤]".

ولم تشعر بأمها حين قابلتها ، فليست الأم التي تحمل وتلد ، ولكن الأم هي التي تربي وتعلم وتفيض مشاعرها الدافئة على الأسرة . " وكدت أفقد أعصابي، وأخيراً

---

[١] - الرواية، ص ، ٢٦ .
[٢] - سحر خليفة ، الميراث ، مصدر سابق ، ص ، ٢٦ .
[٣] - الرواية، ص ، ٢٧ .
[٤] - الرواية ، ص ، ٢٨ .

صحت : " يا ستي أرجوك قولي لي، كيف أحبك وأنا لا أعرفك ؟ "[١]. و بعد موت أمها أصبحت من الأغنياء فهي فتاة مرهفه تملك كل شيء إلاّ الإحساس بدفء الأسرة ، فكأنها لم تملك شيئاً " ماتت أمي فورثت أنا . باتت لدي شقتان إحداهما في واشنطن، والأخرى في سان دييجو. صارت لدي سيارتان وأحضر حفلات اليخوت و السفارات و برك السباحة . بت عضوة في ثلاثة نواد وأمارس " الإيرو بكس " و أتنعم بالجيكوزي و المساج و الساونا . لكن على الرغم من كل ذاك الترف، كنت أحس بالحرمان . وبهذا الصدد كانت جدتي تردد : " ماذا ينقصك ؟ ألم تنجحي ؟ "[٢].

لم يعوضها النجاح على الصعيد المادي ، حرمان العاطفة ،و لم تشبع روحها العطشى إلى الحب ، " نجحت ، نجحت ، وأي نجاح! نعم حصلت على جائزة أفضل دراسة في الجامعة، وصرت رئيسة دائرة في علم الإنسان ، ولكن، ثم ... ماذا بعد ؟ أنا الآن في الثلاثينات "[٣]. ففقدان الهوية والإحساس بالذات أدى إلى فقدان المعتقد ، فلم تؤمن بالمسيحية كما كانت أمها ، ولم تؤمن بالإسلام كما كان أبوها ، ففقدت الإيمان ، " لم أذهب إلى الكنيسة ولن أذهب . أنا لست مسيحية، ولست مسلمة أيضاً . وفي المقابل كانت جدتي تقول: " أنت بحاجة إلى عقيدة ، أنت بحاجة إلى إيمان "[٤] . أصبحت من الداخل كلوح الثلج ، إنسان بلا مشاعر ، لا تهزه نسمة الريح ولا يحركه خرير الموج " وكان هذا سر نجاحي، إني لا أبكي أو أنهار "[٥]. فلم تستطع أن تكون إنساناً بلا مشاعر فبحثت عن الماضي " مع الأيام، صارت الفجوة أوسع تعبت من الوحشة وبت أحن إلى الماضي بدون لف أو دوران. إيجاد ذاتي من خلال البحث ما كان إلا بديلاً، أما الإحساس، أما ما كسر في الداخل، فجرح قديم لا ينزف، لكن الندبة في الأعماق ما زالت تذكر بالماضي وأنين الروح "[٦] .

فكانت الرسالة القادمة من عمها هي المخرج الوحيد لأزمتها النفسية ، فعادت إلى البلد الذي كانت تحلم بأن تعود إليه " ثم وصلتني رسالة من عم لي يقول فيها ما

---

[١] - الرواية ، ص ، ٢٩ .
[٢] - الرواية ، ص ، ٣٠ .
[٣] - خليفة سحر ، الميراث ، مصدر سابق ، ص ، ٣٠ .
[٤] - الرواية، ص ، ٣١ .
[٥] - الرواية، ص ، ٣١ .
[٦] - الرواية، ص ، ٣١ .

معناه : " عجلي قبل أن ينقطع الخيط ويسقط حقك في الميراث " . ولم أضع وقتاً طويلاً في التفكير، بل اتخذت قراري بلا تردد ، إذ أحسست ساعتها أني أقف أمام نافذة خلف ستائرها تكمن ملامح البلد الذي طالما حلمت برؤيته، وحنان الأهل الذين فقدتهم منذ الطفولة، ودفء الانتماء إلى جذور بحثت عنها بلا طائل وعليه، فقد جمعت أشيائي وسافرت. أخذت إجازة مفتوحة بعد أن أفهمت العميد أني لن أعود إلى واشنطن قبل أن أعرف أهلي وأعيد الجذر المقطوع "[١] .عادت إلى وادي الريحان ، ومما زاد في حزنها بأن الأطفال اعتقدوا بأنها يهودية . " صاح الأطفال " شالوم ، شالوم " . فأحسست بحزن وبغربة " [٢] ، ولكن الصدمة الحقيقية هي عندما رأت الوالد الغائب عن الوعي ، فالواقع لم يكن كالأحلام بدفء الأسرة وعودة الجذر المقطوع " كنت محرجة ومرتبكة ، كان إحساسي متبلداً وفكري مشتتاً . وما كنت أعرف ما أقول وكيف أتصرف وما أقول ، فوقفت مكاني أتأمله بصمت وجمود . ولم يلح في وجه الوالد أنه رآني واستوعب معنى وجودي ، فبقيت واقفة اتأمله بلا إحساس ولا حركة " [٣] .

حاولت أن تعيد الصلة بالماضي وأن تعمق ارتباطها بالناس والأرض ، عن طريق تعلم اللغة فحاولت أن تتعلمها " وبما أن لغتي مكسورة، أو منقوصة ولا تفي بالغرض المطلوب، اشتريت كتباً وكاسيتات وبدأت أتعلم لغتي. بدأت طبعاً بالفصحى، ثم انتقلت إلى الأخرى حتى أفهم لغة الشارع " [٤]. ونتيجة لعدم الإحساس بالانتماء إلى هؤلاء الناس ، ولفقدانها الأسرة لم يبكها موت الوالد كما لم يحركها مجيء الأم " ولهذا حين أبلغني الخبر المشؤوم وقال بحزن :

" يسلم راسك مات الوالد " ، لم أبك قط ، لم أتحرك ، فوضع يديه على كتفي وحدق إلي حتى يعرف إن كنت أفهم ما اسمع ، فاستدرت بوجهي بعيداً عنه حتى لا يعرف أني أفكر ، فقد تفكر. كنت أفكر أني فوجئت بما أشعر . لم أشعر قط ! أذاك الرجل هو فعلاً أبي ؟ " [٥] .

---

[١] - الرواية ، ص ، ٤٣ .
[٢] - الرواية ، ص ، ٤٤ .
[٣] - خليفة سحر ، الميراث ، مصدر سابق ، ص ، ٥٣ .
[٤] - الرواية، ص ، ٧١ .
[٥] - الرواية، ص ، ٧٢ .

وفي نهاية المطاف عادت إلى أمريكا ، مع قرار بالعودة لأنها وجدت نفسها في هذا البلد وجدت جذرها ، وجدت روحها وجدت الإحساس بالأسرة. " أوصلني عمي إلى المطار وقال بعتاب :

- معقول تروحي وتتركينا ؟ .

مسحت دموعي لأول مرة منذ سنوات، لأني وجدت إحساسي ، وقلت بحنان :

راجعة ، راجعه ، و الله راجعه . . .هززت رأسي بدون تعليق ، ومشيت نحو الطيارة "[1]. فزينة تمثل أزمة الإنسان الفاقد لهويته ، الإنسان الذي لا يعرف جذوره وهويته وعقيدته ، إنسان على الورق ، يملك شهادة ميلاد ومكان إقامة ولكن ليس هناك أدنى صلة بينه وبين هذا المكان وبين هذه الأشياء ، في أعماقه حزن دفين ، وجد نفسه فجأة في مكان ليس بينه وبينه أية صلة ، فهو فاقد للغته وهويته وجذوره ، إنسان مأزوم غير منسجم مع نفسه ومع الآخرين ، بحث عن جذوره الأولى فوجدها فعادت إليه مشاعر الإنسان ، فقد بكت زينة منذ سنوات لأن الإحساس بالوطن حرك فيها المشاعر .

٥- **لورا الوشمي في رواية ربيع** حار :

فتاة جميلة ومتعلمة وتجيد اللغات وتعمل بالصحافة ، فأمها كندية ، وأبوها يحمل الجنسية الأمريكية . فهي نموذج للمرأة المثقفة، ابنة أحد الأثرياء الذين اغتنوا بطريقة غير مشروعة، وأخذوا امتيازات من اليهود على حساب الشعب الفلسطيني، قتل أبوها واتهم مجيد بقتله، مجيد ذلك الفنان الشاب الذي يدرس معها في الجامعة، عندما كان يسكن عندهم مقابل اعتنائه بالحديقة، تدفعه الأحداث خلال الانتفاضة الثانية " انتفاضة الأقصى "، إلى الانضمام إلى التنظيمات، حيث أصبح بعد إصابته واتهامه وهربه أحد القادة الذين تخلوا عن مبادئهم، وحاولوا الوصول إلى السلطة على أكتاف الآخرين، فهو نموذج للقائد الوصولي ، الذي يحاول الوصول إلى الوزارة على أشلاء الشعب الفلسطيني ، " مرت لورا وقالت : مجنون ! يحلم بوكيل لوزارة ثم وزارة ! أرأيت

---

[1] - الرواية ، ص ، ٣١٧ .

قيادة في الدنيا مثل هذه ؟ وهو مطلوب، وهو محاصر، وهو المحبوس خلف الجدران و القناصة .. يحلم بوزارة وسفارة ! "[١].

ولورا التي تعمل بالصحافة و التلفزيون، استفادت من نفوذ أبيها ومن جنسيتها الكندية الأمريكية ، حيث عاشت وقتاً صعباً بعد مقتل أبيها " وقضت الاثنتان وقتاً صعباً وهما تحاولان التأقلم مع ذاك الوضع ... وبدأت تدعو، وبحذر شديد، بعض الزوار من الأجانب والصحفيين لشرب الشاي و النسكافيه . وبذا دخلت الصحافة إلى ذاك البيت، وأضحت حفيدتها صحافية "[٢] .

وحاولت أن تغطي أحداث الانتفاضة و الاجتياح الإسرائيلي الذي دمر ممتلكات الشعب الفلسطيني، فلم يبق حجراً على حجر، فأية دولة تلك ؟ وأي سلام هذا ؟ وأي استقلال ناله الشعب الفلسطيني ،حيث تقوم الدبابات الإسرائيلية باجتياح المدن و القرى و المخيمات وقتل الناس،" صاحت لورا : هذه تعويض عن ماذا ؟ عن نسف البيوت ؟ عن خراب المدن ؟ عن صف طويل من الشهداء يصل جهنم ؟ اسمعي هذا "[٣] .

لم تكن لورا انعكاساً لشخصية والدها ووصوليته، بل كانت كأي فرد من أفراد الشعب الفلسطيني ذات قلب نظيف تحب الجميع ، وتبحث عن مجيد المصاب وتحاول الوصول إليه، " وجدتهم لورا كما وصفا تحت الزيتون . لم تر مجيداً لأنه مخبوء داخل كهف. وحين بكت وهزت يدها في وجه سعاد وقالت بمرارة وحرقة قلب : " أنا قلبي نظيف ، " أدخلتها تلك لعمق الكهف فرأت وجهه. وجهه ذكرها بماضيها قبل أشهر أو قبل سنة "[٤] .

وتحاول المساعدة وتعرض خدماتها على أم سعاد " - هذا الكرت فيه عنواني و التلفونات. سلمي على سعاد وإذا احتجتم شيئاً ، أي شيء، أنا بالخدمة "[٥]. ولم تتخل عن مجيد بعد إصابته وعالجته ونقلته من الكهف إلى بيتها ، ولم تهتم بتحذيرات جدتها حول إيواء متهم في قضية، وفارّ من القوات الإسرائيلية ، حيث فجر قنبلة وهرب أسلحة " وادعت البنت أنها لا تفهم ما الورطة. وكانت تفهم، تفهم جداً . تفهم أن وجود الشاب في

---

[١] - خليفة سحر ، ربيع حار ، مصدر سابق ،-ص ، ٢٩٨ .
[٢] - الرواية ، ص ، ١٩٥ .
[٣] - الرواية ، ص ، ٢٩٨ .
[٤] - الرواية ، ص ، ١٩٤ .
[٥] - الرواية، ص ، ١٩٠ .

حوزتهم فيه خطورة. فهم رغم براءته من دم أبيها إلا أنه – كما قيل لها – قام بأعمال رهيبة : فجر قنبلة على الحاجز وهرب أسلحة وذخيرة وزرع الألغام "[١] .

فلم تقبل باعتراض جدتها على معالجة مجيد في بيتها ، لأن مجيد ضعيف ومصاب والواجب يحتم عليها إنقاذه ، " انفعلت لورا وقالت بغيظ : في هذا الوقت ! وهو المسكين مصاب وضعيف ؟! قالت جدتها بتحفز : بل أنت المصابة وضعيفة ، قلبك ضعيف عقلك ضعيف، ولا تعرفين أن أي حب في الدنيا يذبل ويموت بمرور الوقت. همست لورا كالمصعوقة : وماذا عن حب المحترمات ؟ ! "[٢] . وبذلك نجد أن لورا امرأة مثقفة ومتعلمة ، لم تقبل بالشائعات ، وبقيت على حبها لمجيد وساعدته في أصعب الأوقات ، ولكن مجيد تخلى عنها لأنه أصبح يحلم بالوزارة والشهرة .

ثانياً : المرأة الأم :

الأم هي محور الأسرة وسر استمرارها ، ولذلك لعبت دوراً بارزاً في المجتمعات منذ القدم ، فكانت رمزاً للمحبة والحنان والتضحية ، ورمزاً للأرض والكاهِنة والعرّافة في المجتمعات القديمة ، فهناك علاقة مشيمية بين الأرض والأم ، فلها من المنزلة والمكانة بحيث لا تتساوى بها أية منزلة أخرى، وقد شغلت صورة الأم حيزاً واسعاً في روايات سحر خليفة، حيث قدمت نماذج متعددة لها، ولم تكتفي الكاتبة بتقديم الصورة النمطية للأم، وهي الصورة المشرقة التي تمثل التضحية و الصبر و العطاء، حيث قدمت صوراً سلبية للمرأة الأم، مثل : صورة ايفيت زوجة شكري في روايتها الأولى " لم نعد جواري لكم "، وصورة سكينة " أم نزهة " في رواية " باب الساحة " .

وايفيت زوجة شكري، هي نموذج للمرأة البرجوازية الساذجة، التي تعاني من فراغ عاطفي، وتبحث عن متعتها الشخصية، تفقد طفلتها في نهاية الرواية غرقاً في أحد المستنقعات، نتيجة لإهمالها ولا مسؤوليتها . وقدمت لنا الكاتبة نماذج أخرى لشخصية الأم، حيث قدمت لنا شخصية نمطية تقليدية لصورة الأم في روايتها الثانية "

---

[١] - خليفة سحر ، ربيع حار ، مصدر سابق ،ص ، ١٩٧ + ١٩٨ .
[٢] - الرواية، ص ، ٢٢٠ .

الصبار "، وهي شخصية أم أسامة الكرمي ، التي تمثل نموذجاً تقليدياً للمرأة البسيطة المؤمنة بالقضاء و القدر، و التي تسعى وتحلم بأن تزوج ابنها أسامة من نوار الكرمي.

وقدمت الرواية صورةً نمطية أخرى للأم، وهي صورة أم صابر المرأة الساذجة التي تؤمن بالعين و الحجاب و الشبة، ومع ذلك فهي وفية تبقى إلى جانب زوجها، وتقوم بدورها الكامل زوجة وأماً مضحية فتبيع ذهبها من أجل إطعام أطفالها .

وقدمت رواية " باب الساحة " أكثر من صورة للأم مثل صورة سكينة " أم نزهة " ، وصورة أم عزام " أم المناضل حسام "، وصورة الست زكية . قدمت الرواية صورة سكينة "أم نزهة "، تلك الأرملة الفقيرة التي تذبح على أيدي شباب الانتفاضة ؛ لأنها حولت بيتها مركزاً للدعارة الجاسوسية، فحاربها المجتمع ولم يسأل لماذا حولت بيتها مركزاً للدعارة والجاسوسية ؟.

وهناك صورة أم عزام " أم حسام " المناضل الذي يصاب ويدخل بيت نزهة، فأم عزام امرأة تقليدية، لا تتدخل بالسياسة ، ولكن تسعى إلى إرضاء زوجها وخدمته، يضربها زوجها التاجر أحد وجهاء الحارة، وتطرد من بيتها، وتلجأ إلى الست زكية، فهي صورة للمرأة المقموعة و المستلبة و الخاضعة لزوجها بلا مقاومة .

وتقدم رواية " الميراث " أكثر من صورة للأم، فهناك صورة الأم المثقفة المحافظة على العادات و التقاليد وتمثلها الست أميرة أم فتنة، والصورة الثانية صورة المرأة المسيحية التي تعيش في المجتمع الفلسطيني، بنوع من الخصوصية مثل شخصية أم فيوليت، وهناك صورة ثالثة للمرأة التقليدية، التي تمثل القاع في المجتمع الفلسطيني، وهي شخصية زوجة أبي سالم، وكل هذه الشخصيات النسوية ، " تعاني من الحرمان العاطفي و العلاقات غير السوية . فالشخصيات النسائية ومعها الرجالية أيضاً ضحايا اللحظة التاريخية التي تضم في أحشائها الحاضر و الماضي الموروث معاً . فهناك انهيار سياسي واقتصادي واجتماعي أيضاً "[١] .

وقدمت رواية " ربيع حار" صورة جديدة لشخصية الأم، فهناك جدة مجيد الجنكية " أم شهيرة " التي تمثل صورة المرأة الغجرية التي تغني في الأفراح و

[١]- الماضي شكري ، الرواية العربية في فلسطين و الأردن في القرن العشرين ، مرجع سابق ، ص٨٧. .

المناسبات، وهي امرأة ذات ثقافة تقليدية، كبيرة في السن تتحدث عن الماضي وتحن إليه وإلى أيام الصبا و الحب. وهناك صورة أم سعاد " أم الحارة " التي تمثل صورة الأم المضحية الصابرة، ذات الشخصية القوية التي تعمل وتثابر وتربي وتساند زوجها وهو في السجن .

ومن خلال هذا العرض السريع، نجد أن الكاتبة قدمت صوراً متعددة ومختلفة للأم ، ولم تقف عند الصورة النمطية للأم، التي تمثل التضحية و الصبر و العطاء، بل قدمت صوراً سلبية للأم ، لأنها إنسانة تعيش في المجتمع، وتتعرض للظروف و المواقف المختلفة، فقدمت لنا هذه الشخصيات بقوتها وضعفها وانكسارها ، وسنقف الآن عند هذه الصور بالتفصيل .

١- ايفيت زوجة شكري في رواية لم نعد جواري لكم :

هي نموذج للمرأة البرجوازية الجميلة الساذجة قليلة الثقافة، تعاني من فراغ عاطفي حيث استطاع، فاروق صديق زوجها أن يستغلها من خلال كلامه المعسول . حيث كان يكثر من الإطراء عليها و الحديث معها و التغزل بها .

فهو المثقف الدارس لعلم النفس، خريج أكسفورد . يعرف بأن هذه المرأة تعاني من فراغ عاطفي فاستغل هذه النقطة من أجل الوصول إلى غايته الجنسية. وهي " فتاة برجوازية ولكنها محدودة الثقافة و المعارف إلا أنها تدعي عكس ذلك، مما يسقطها بين براثن الانتهازي فاروق صديق زوجها " شكري " الذي يدفعها نحو الانحراف و الخيانة عن طريق إعارتها بعض الكتب الجنسية المتحررة من نوع " عشيق الليدي تشاترلي " [١] .وقد قدمتها الكاتبة على أنها امرأة جميلة ساذجة " إيفيت الجميلة، برفقة زوجها شكري، وكانت ملتفة بالصوف من رأسها حتى أخمص قدميها. وصاحت بمرح : " ما هذا أصواتكم وصلاتنا ونحن في الشارع ! " [٢] .

[١]- أبو نضال نزيه ، تمرد الأنثى ، مرجع سابق ، ص ٦٣.
[٢] - خليفة سحر ، لم نعد جواري لكم ، مصدر سابق ، ص ، ١٧ .

وهي شخصية " مهزوزة، مخفقة، مدمرة ... ، هذه المرأة الرومانتيكية الحالمة،ضئيلة الثقافة، تحلم بالحب، و لا تطيق زوجها شكري ! وتصور الخيانة الزوجية نتيجة الزواج المصنوع على المصلحة و النفاق " [١].

وقد استغل فاروق حاجتها إلى الحب - بسبب انشغال زوجها بالتجارة- محاولاً الوصول إلى هدفه الجنسي مما جعلها تتغير بشكل مفاجئ وحاد فأصبحت متعلقة به بالرغم من أنها متزوجة وأم لطفلين ، " وقالت بسذاجة : "سأظل على حبك حتى الممات ، هكذا كتب علينا : أن نشقى، وان نتعذب .. ولكن في سبيل من نحب، يهون الشقاء ويهون الألم . وفي سبيل أطفالي تهون التضحية ! " [٢] .

و يحدث هذا التغيير على شخصية إيفيت عندما خدعها فاروق وأوهمها بأنها امرأة ذكية، ونصحها بقراءة الكتب ولكنه عن قصد كان يختار لها الروايات التي تثير الغرائز الجنسية، أكثر مما تثقف العقل مثل : كتاب الليدي تشارلي وظهر هذا التغير من خلال اختلاف أسلوب حوارها مع شخصيات الرواية " قالت إيفيت : " استعمال العقل يمدني بالتعاسة .. واستعمال، أو بالأحرى الانسياق وراء الغريزة يمدني بالسعادة، وهدف الإنسان الأول بالحياة هو البحث عن السعادة . فمن الطبيعي و المنطقي أن أندفع وراء الغريزة لأنها توفر السعادة " [٣] .

وهي امرأة عديمة المسؤولية فلا تهتم بالبيت أو بالأطفال الذين تربيهم الخادمة خديجة وتنساق وراء الغريزة، وتحاول الهرب مع فاروق وتشير عليه بذلك . " لمَ لا نهرب ؟ سنذهب إلى إيطاليا أو إلى استراليا ونعيش معاً، ولن تتركني بعد ذلك، ألا تريد هذا ؟ " [٤].

وتصر على علاقتها بفاروق الذي يقترح عليها أن يظهر مع امرأة أخرى حتى يبعد عنها الشكوك ؛ لأن سيرتهم أصبحت على كل لسان تقول لفاروق : " ولكني لا أطيق هذا ، لا أطيق رؤيتك مع امرأة أخرى ! "[٥] .

---

[١]- شهاب أسامة ،القصة النسوية المعاصرة في الأردن وفلسطين مرجع سابق ، ص ٣١١.
[٢] - خليفة سحر ، لم نعد جواري لكم ، مصدر سابق ص ، ١٠٣ .
[٣] - ا لرواية ص ، ١٤٣ .
[٤] - خليفة سحر ، الصبار ، مصدر سابق ، ، ص ، ١٥١ .
[٥] - الرواية، ص ، ١٧٥ .

٢- أم أسامة الكرمي في رواية الصبار :

من الشخصيات الثانوية الثابتة في الرواية. صورة للأم البسيطة التي تحلم بأن يتزوج ابنها وتصبح له ذرية،وهي " نموذج الأم / الزوجة التقليدية ... التي تحيط ابنها بالبسملات و التبريكات في حله وترحاله، وترجو له الراحة و الاستقرار الزوجي السعيد "[١]. تصور لنا الكاتبة مشهد اللقاء بين الأم وابنها ." - أمي ...
وارتمى على الصدر المترع بالبركة. وقبلات وبسملات ومرحبات . وكيف الصحة وما أخباركم و ماذا طبخت ؟ وصرت عريساً يا أسامة و البنات الجميلات يملأن البلد . وابنة خالك نوار أصبحت منورة .طويلة. شعرها أملس بدون تمليس. و الشباب يلحقونها كل يوم من باب الدار حتى كلية النجاح. وكل يوم تقوم القيامة في دار خالك أبو عادل. أنت تعرف طبعه. الرجل معه حق يخاف على عرضه " [٢] .

فهي شخصية بسيطة وغير مثقفة . " - لا تقولي سيحلها كيسنجر يا أمي . سنجر ! ألا تزال في البلد ماكينات خياطة أجنبية ؟ماكينات خياطة كلها إسرائيلية الآن . وماكينتي هي السنجرة الوحيدة في البلد "[٣] . و بسيطة تؤمن بالقضاء و القدر ." ويمكن الصحفيين الأجانب الذين يزورون خالك يؤثرون على أميركا .وأميركا تقول لإسرائيل انسحبي فتنسحب . أرأيت كيف أن الأمور ليست صعبة كما تتصور ؟ ألم أقل لك بكرة يحلها الحلال ؟ "[٤] .

و تتحدث عن الماضي وما حلّ بها في غياب ابنها . " كيف رحلت من طولكرم . وكيف ودعت جارات الحي ... وكيف وقف عادل إلى جانبها و... " [٥] . أمية لا تعرف القراءة و الكتابة . " أمي لا تقرأ أو تكتب . تبصم ، لا أقل ولا أكثر. أمي تبصم . "[٦] . تدعو على اليهود عندما جاءوا يبحثون عن ابنها" أشكوكم لله يا مجرمين . ستأخذون ابني ! أين ذهب ابني ؟ " [٧] .

---

[١]- أبو نضال نزيه ، تمرد الأنثى ، مرجع سابق ، ص ١١٤.
[٢] - خليفة سحر ، الصبار ، مصدر سابق ، ص ، ٢٩ .
[٣] - الرواية ، ص ، ٢٩ .
[٤] - الرواية ، ص ، ٣٠ .
[٥] - لرواية ، ص ، ٣٥ .
[٦] - خليفة سحر ، الصبار ، مصدر سابق ، ص ، ٣٦ .
[٧] - الرواية، ص ، ١٤٣ .

فبكت عندما جاء اليهود يبحثون عن أسامة ، حيث لا تتصور أن يكون ابنها أحد المناضلين " وذرفت أم أسامة الدمع السخين ... ابني ، حبيبي ، يا ترى أنت فين يا أسامة يا روح أمك ؟ معقول تكون عملتها يا أسامة ؟ معقول يا ملاك "[١] . فهي صورة تقليدية للأم البسيطة التي لا تتدخل في السياسة ، فكل همها هو أن تزوج ابنها وترى ذريته ، فالحل حسب وجهة نظرها لا بد أن يأتي من الخارج من أمريكا أو غيرها ، " - لم أفرح به يا عادل يا ابني، كنت أنوي أن أزوجه من نوار، لكنه عملها وكسر قلبي "[٢] .

وبذلك نجد أن هذه الصورة هي نموذج للمرأة التقليدية غير المتعلمة ، التي لا هم لها سوى البحث عن عروس لولدها ، أما الوطن والاحتلال ومقاومة العدو فليس لها دخل فيه ، فالحل لابد أن يأتي من الخارج وليس من الداخل ، ولذلك حاربت الرواية هذه الصورة النمطية للمرأة غير المتعلمة التي تبقى قابعة في البيت ، وليس لها علاقة في الأمور التي تحدث خارج بيتها ، فالمرأة نصف المجتمع ، ويجب أن تشارك في صنع القرار فيه .

٣- أم صابر في رواية الصبار:

يعمل زوجها أبو صابر في إسرائيل من غير تصريح وتقطع يده اليمنى، وبعد ذلك يوكل القضية إلى محامٍ من أجل المطالبة بالتعويض . وهي من نساء الحارة التي يتغير حالها وتصبح كثيرة الكلام بالباطل على سعدية زوجة زهدي ." لطمت أم صابر صدرها وصاحت :

- إيده اليمين ؟ يا كسرة قلبك يا عيشة . ... ومن أين نأكل ؟ ... ومسحت دموعها بكفيها فتلألأت الأساور الذهبية في معصميها وخشخشت . حملقت في الذهب وندبت :
- بكرة ينباع " [٣] .

---

[١] - الرواية، ص ، ١٤٤ .
[٢] - الرواية ، ص ، ١٤٥ .
[٣] - الرواية ، ص ، ٥٢ .

شخصية ساذجة وغير مثقفة وتؤمن بالثقافة التقليدية ، وهي نموذج للمرأة التقليدية التي تلتزم البيت ، وتقوم بدور المرأة المعتاد ، من طبخ وغسيل وتنظيف وتجتمع مع الجارات وتكثر من القال والقيل دون أن تؤثر في حركة المجتمع . " إذا سألت عني أم بدوي قوليلها تعمل استخارة خليها تشوي شبّة وتطلع العين اللي طرقت أبوك وإذا كانت فاضية خليها تروح عند السامريين تكتب له حجاب "[١] ." ولهذا لا يكون غريباً على نموذج أم صابر أن تنسب أسباب المصائب التي تلحق بأسرتها إلى العين الشريرة فتقاومها " بالاستخارة " و " شي الشبه " . ولكن إلى جانب ذلك تقوم أم صابر بدورها الكامل كزوجة وأم مضحية ، فتبيع ذهبها لإطعام أسرتها، ولدفع مصاريف المحامي للحصول على التعويضات التي أنكرها عليه مسؤول المصنع " [٢] .

وتشعر مع المرأة و الطفلة اليهودية في حادثة قتل الضابط الإسرائيلي . " وفخذا الصبية المكشوفان حتى العورة . ذكراها بأفخاذ ولاياها وكل الولايا . خلعت المنديل عن رأسها دون وعي وجللت به الفخذين العاريين . وتمتمت وهي تنحني فوق الصبية المغشي عليها .. يا حسرتي عليك يا بنتي "[٣] . فهي إنسانة في داخلها لا تحمل الحقد على أحد ، وتتعاطف مع الطفلة اليهودية وتحاول مساعدتها ، فهي كامرأة وأم تعرف الشعور بالثكل ، وقد جربت الحزن عندما قطعت يد زوجها ، فكيف يكون الشعور بقتل إنسان .

" ومدت أم صابر يدها نحو المرأة المولولة بالعبرية . ولمست كتفها برفق وهتفت .. بعينك الله يختي. بعينك الله " [٤] .

٤- سكينة "أم نزهة " .

سكينة " أم نزهة " نموذج جديد للأم تطرحه الكاتبة في رواية "باب الساحة "، وفي سياق مختلف هو سياق الانتفاضة ، فسكينة يعاقبها شباب الانتفاضة بالقتل ، لأنها فتحت بيتها مركزا للدعارة والجاسوسية ، فعاقبها المجتمع بالنتيجة ولم يسأل عن الأسباب . " سكينة ، والدار المشبوهة ، وسقوط المرأة والبيئة ؟ ومن المسؤول

---

[١] - خليفة سحر ، الصبار ، مصدر سابق ، ص ، ٥٣ .
[٢] - أبو نضال نزيه ، تمرد الأنثى ، مرجع سابق ، ص ١١٤.
[٣] - خليفة سحر ، الصبار مصدر سابق ، ص ، ١٣٣ .
[٤] - الرواية ، ص ، ١٣٣ .

عن البيئة ؟ من المسؤول عن التعهير؟ سكينة الشقراء المغلوبة أم الحاج إسكندر والمربوط ؟ من منهم لم يدل بدلوه؟ ".[١]

في البداية كانت سكينة مثلها مثل نساء الحارة امرأة مستورة ومحتشمة ،جاءت إلى الحارة واشترت عائلتها بيتا قديما وقامت بترميمه ، كانت متزوجه من رجل كبير في السن ، وكانت جميلة . " فالرجل كبير و المرأة صغيرة ، وهو مريض وهي قوية ، وحلوة وشاطرة ، ولها عينان زرقاوان "[٢] . " فالمرأة مستورة ومحتشمة منزوية ،لا تزور ولا تزار "[٣] .

مات زوجها وترك لها مجموعة من الأولاد ، فلم تقدر على تربيتهم والإنفاق عليهم ، لأنها أرملة فقيرة وغير متعلمة فسقطت ، " كان الزوج في أواخر الخمسينات ، أما زوجته فما زالت في العشرينات . وحين التوى وانطوى كانت ما تزال صغيرة ،وجميلة ،وبناتها كفلقات الأقمار " [٤] . فحاولت حل مشكلتها عن طريق العمل ، بالخياطة والتطريز ، ولكنها لم تفلح لأنها لا تتقن هذا العمل ، فحاولت أن تبحث عن عمل آخر مثل دق العود ، فسقطت ووقعت في الدعارة والجاسوسية ،" وانشغلت عن كل ذلك بالخياطة و التطريز، ثم دق العود فالأصوات و اللهجات الغريبة ، فالروائح الغريبة ، فالوجوه الغريبة "[٥] .

أصبحت الأم سكينة عميلة . " وهناك عيون وجواسيس، وهناك آذان تتسمع ، وهناك دولارات وشواقل "[٦] . فكانت النتيجة أن قتلت وعوقبت بالنتيجة دون أن تسأل عن السبب " فقد تم قتل سكينة ولكن لم يتم التعامل مع الظروف والعوامل التي أدت إلى انحرافها وسقوطها ، فقد تعاملوا مع النتيجة وعافوا الأسباب " [٧] . " وهناك على درجات الجامع وسط الساحة وجدت سكينة وفي صدرها مقبض سكين " [٨]. فسكينة نموذج للأم تطرحه الكاتبة وهو غير النموذج التقليدي النمطي للأم ،

---

[١] - خليفة ، باب الساحة ، مصدر سابق ، ص ١٧١ .
[٢] - الرواية ، ص ،٣٧ .
[٣] - الرواية ، ص ، ٣٧ .
[٤] - خليفة ، باب الساحة ، مصدر سابق ، ص ، ٣٨ .
[٥] - الرواية ، ص ، ٣٨ .
[٦] - الرواية ، ص ، ٣٨ .
[٧] - الماضي شكري ، الرواية والانتفاضة ، مرجع سابق ، ص ، ٥٥ .
[٨] - خليفة سحر ، باب الساحة ، مصدر سابق ، ٣٩ .

فرؤية الرواية وسياقها الاجتماعي قد فرض هذا النموذج وهذه الصورة غير التقليدية للأم .

٥- أم عزام " أم حسام " في رواية باب الساحة .

هي نموذج جديد للأم ومغاير في الرواية نفسها تطرحه الكاتبة ، " أم عزام ، نموذج صارخ للزوجة المقموعة والمستلبة والراضخة بلا مقاومة لتسلط زوجها وتحقيره لها ".[١] وهي زوجة مقموعة يضربها زوجها ويتورم جفناها من كثرة البكاء لأنها تدافع عن أولادها " - قلت له ولادي مش عاطلين ، أنت العاطل، وإن كان هربوا ،منك هربوا ، وأنا رح أهرب . صار يصيح زي المجنون ولطشني بإبريق الشاي ، ولما طلع صوتي بدأ يضربني، ع وجي ع رأسي ع ظهري ع بطني " [٢].

فأم عزام " امرأة تقليدية لا تتدخل في السياسة ولا تبدي رأياً في ما يجري، فهمها الأول إرضاء زوجها وخدمته وتنفيذ أوامره، لكن أوضاعها تبدو بائسة قبل الانتفاضة، وأكثر بؤساً وقسوة في ظلها " [٣]. فأم عزام بعد أن استقر ابنها عزام في أمريكا، وأصبح حسام مطارداً مع شباب الانتفاضة، تعاني من هزة عصبية بسبب غياب الأولاد وقسوة الزوج، وسوء الأحوال خلال الانتفاضة. تنصحها الست زكية بترك بيت نزهة و العودة إلى منزلها، لأنها طول عمرها صابرة وليس لها من مملكة إلا بيتها، يعيرها زوجها بخلفتها " ولا كأنك خلفت يا فالحة ! " هذا ما يردده وجيه بدل المرة عشرين مرة . ابنك الكبير مش سائل ومشلط و الثاني داير بين الرعيان " [٤] .

تطلب أم عزام من الست زكية العمل معها لأنها وجدت نفسها بعد هذه السنوات بدون سند وبدون نصير " والآن، حين احتاجت لملاذ يأويها لم تجد في جيبها ولا نص دينار " [٥]. وبذلك نجد أن الرواية قد طرحت نموذجاً جديداً للأم ، وهو نموذج الأم المقموعة التي تعاني من الحرمان القسوة ، بالرغم من وجود أبنائها وزوجها ، فالتسلط والقمع وقع عليها من الداخل ولم يقع عليها من الخارج .

---

[١] - أبو نضال نزيه ، تمرد الأنثى ، مرجع سابق ، ص ، ١١٩ .
[٢]- خليفة سحر ، باب الساحة ، مصدر سابق ، ص١٦٥.
[٣]- الماضي شكري ، الرواية و الانتفاضة ، مرجع سابق ، ص٥٧.
[٤]- خليفة سحر ، باب الساحة ، مصدر سابق ،ص١٦٢.
[٥]- الرواية ، ص١٦٢.

٦- الست أميرة " أم فتنة في رواية الميراث "

هي نموذج للمرأة المتعلمة المثقفة، التي تعرف اللغات الأجنبية، ولكنها في الوقت نفسه تحافظ على العادات و التقاليد و الهوية الثقافية، بحيث لا تريد الانصهار بالآخر فهي من دار الشايب حملة مفاتيح الأقصى، كان أبوها أحد الثوار الذين ثاروا ضد الإنجليز مع أمين الحسيني.

" إذ إن الست أميرة ، بسبب مرضها وهشاشة العظم في ساقيها ، تمشي ببطء وحذر شديدين ولا تخرج إلا ما ندر أو مضطرة، وعليه فلم تذهب لعزاء الوالد . لكن زيارتها للديوان أمر لا تستغني عنه لأنه من وجهة نظرها لربط العيلة وحفظ التقاليد "[١] . ذكية ومتعلمة وتعرف لغات ، ومتمسكة بالتقاليد العائلية .

اكتسبت موقفها النضالي من والدها، الذي ساند أمين الحسيني، وثار ضد الإنجليز . ومن سماعها لمقالات هيكل في الستينات ، من إذاعة صوت العرب ،" فهي كامرأة ذكية ، وذات شخصية قوية ، وشهادة ومترك من صهيون – أيام العز – وتطرز وتشتغل كروشية وتجيد عزف " Moon light sonata " على البيانو ، تحب أن تظل على صلة بما يدور في الأوساط من أحاديث . فأبوها كان من الثوار ، ضد الإنكليز ثم شارك مع الحاج أمين في الثورة . . . وكانت تستمع لمقالات هيكل من صوت العرب في الستينات ، وأسمت ابنها "عبد الناصر " كدليل قوي على الإيمان بالقومية وتبني أفكار التحرير .

وعليه فالست أميرة ، أم فتنة ، رغم زواجها من رجل فقير في العيلة ، ورغم سكناها في دار وقف في المصرارة، ورغم الذل الذي ذاقته من الشياب ... ظلت تحتفظ بكرامتها و تواظب على الحضور للديوان بوجود البيك أو عدمه "[٢] .متكلمة وتناقش في الأمور العامة ولها شخصية قوية .

تغيرت أحوال ابنها عبد الناصر، وأصبح غنياً، بعد زواج فتنة من محمد حمدان، حيث فتح محلاً في باب الخليل، " ذكرتنا الست أميرة بصوت قوي لا يتناسب وبنيتها الضامرة وعظمها الهش أن كلاماً جريئاً مثل هذا يجب ألا يقال في الديوان في

---

[١] - خليفة سحر ، الميراث ، مصدر سابق ، ص ، ٨٣+ ٨٤ .
[٢] - خليفة سحر ، الميراث ، مصدر سابق ، ص ، ٨٤ .

حضرة النسوة و الأطفال "[١] ." أما الست أميرة فلم ترمش وظلت تتحين الفرصة لتثبت للآخرين أن إحضار حفيدها إلى الديوان ليس دليلاً على انخفاض مستوى عيلة الكنة أو تأثراً بحياة الفقر و المصرارة ، لأن ابنها عبد الناصر، حمداً لله ، أضحت أحواله فوق الريح و محله الواسع بباب الخليل عن محلين أو ثلاثة "[٢] .

وهي تحافظ على القيم و الشرف، ولم تقبل من ابنتها فتنة عملها الشائن حين ذهبت وتلقحت بمستشفى هداسا، وحملت حملاً صناعياً " لأن أمها ، على شطارتها ، موضة قديمة ومتعصبة جداً لأمور الشرف وتخاف الله . والحبل الملقح في هداسا ليس منافياً للأمرين الجليلين المذكورين فقط ، بل مناف لما اعتنقته الست أميرة طول حياتها في رحاب القدس وفي سبيله أسمت ابنها عبد الناصر فيا ويل فتنة من غضب الأم حين تعرف، فأمها عصبية مجنونة وحين تغضب تقيم القيامة وتهز الأرض " [٣].

وتقف إلى جانب نهلة، وترى أن من أبسط حقوقها أن تتزوج ويكون لها بيت، ولذلك تحاول أن تحل المشكلة بين دار حمدان ودار السمسار، " لكن أميرة وقد سمعت بالموضوع وجاءت تستفهم عما جرى، أبت إلا أن تقوم بالواجب وتقف مع دار آل حمدان في محنتهم، فأول على آخر كتب الكتاب كان لديها، وعلى يديها تزوجت نهلة ذاك السمسار . " إذن هيك تركها وهرب بجلده " . وبدا عليها التأثر وأحست بتأنيب الضمير " [٤] .

فلذلك تحاول التوسط بين دار حمدان ودار السمسار، عن طريق محاولة إعادة الأسهم و الممتلكات إلى دار السمسار، وإعادة نهلة إلى بيت أهلها بعد أن اختطفها أولاد أبو سالم، " انطلقت الست أميرة تحكي بوضوح وبدون لف أو دوران أن الزيارة هي في الأصل حتى يسترجع كل طرف حقه، أولاد أبو سالم يسترجعون الأسهم و الأرزاق، ودار أبو جابر يسترجعون البنت وليتهم "[٥] . وترفض المرور من مستعمرة كريات راحيل لتصل إلى المستشفى في نابلس ؛ لأنها لا تعترف بحق اليهود في الأرض، وتدعو إلى انسحاب إسرائيل من الأرض العربية ، " رفضت الست أميرة

---

[١] - الرواية، ص ، ٨٥+٨٦ .
[٢] - الرواية ،ص ٨٦ .
[٣] - الرواية، ص ، ٨٦ .
[٤] - الرواية ، ص ، ١٧٠ .
[٥] - خليفة سحر ، الميراث ، مصدر سابق ، ص ، ١٧٩ .

ركوب باص القناصل و الصحفيين . رفضت بشدة ، وبشكل قاطع ، فكرة المرور من كريات راحيل لتصل إلى المستشفى في نابلس " [١] .فهي تحافظ على موقفها الرافض للاحتلال ، وبضرورة انسحاب إسرائيل من الأرض الفلسطينية ، وبذلك تكون الست أميرة صورة للمرأة المثقفة الواعية لما يدور حولها ترفض الاحتلال ، وتدعو للمحافظة على القيم والعادات والتقاليد .

٧- أم جريس "أم فيوليت " في رواية الميراث :

إذا كانت الست أميرة نموذجاً للمرأة المثقفة المحافظة على العادات و التقاليد و الشرف، الرافضة للاحتلال، فإن أم جريس تمثل نموذجاً للأقليات في المجتمع الفلسطيني، فهي امرأة مسيحية تحاول الظهور بنوع من التميز و الاختلاف عن الفلسطينيات الأخريات، فتظهر بتأنق شديد وتحلم بالذهاب إلى أمريكا عند ابنها ،لتعيش باقي حياتها هناك، لأن الحياة في وادي الريحان أصبحت مزعجة ومملة لا تناسب أم جريس وابنتها فيوليت . " أم جريس جارتهم وابنتها فيوليت الحلاقة ، و زميلة نهلة وصاحبتها ، أي أنها معلمة سابقة في الكويت ومطرودة طبعاً مع التعويض " [٢] . فأم جريس تشعر بالرقي والتميز والاختلاف عن النسوة في وادي الريحان ، فلذلك تحاول الظهور بالمظهر الراقي المتميز ،" وبقيت أم جريس تتململ ، ،أنا أتابع الحركات والإشارات كي أفهم . أم جريس امرأة بيضاء مربوعة بشعر قصير تصبغه بأفتح من لونه. تلبس فستاناً بأكمام قصيرة وحزاماً أبيض وقبة أميركانية شديدة النظافة بدون حزوز . كل شيء فيها أنيق مرتب و محسوب حسابه بالميلي . وبدت وسط بقية النسوان راقية ومرتبة "[٣].

فأم جريس وابنتها تحاول الظهور هي وابتنها بمظهر مختلف ، لتبين أنهما راقيتان وأكثر تميزا من باقي النسوة في وادي الريحان " ولكن، رغم أناقة الاثنتين ، أحست بهما مختلفتين، أو فيهما شيء زائد ، لطف زائد ، ترقق زائد ، في نطق الأحرف و

---

[١] - الرواية، ص ، ٢٧٩ .
[٢] - الرواية ، ص ، ٤٨ .
[٣] - الرواية، ص ، ٥٠ .

الكلمات يكاد يبلغ حد التكلف . لم أستطع وضع إصبعي بالتحديد على سر اختلافهما ، ولكني أحسست بهما مختلفتين " [١] .

٨- جدة مجيد الجنكية " أم شهيرة " في رواية ربيع حار :

جدة مجيد الجنكية " أم شهيرة "، هي نموذج للمرأة الغجرية التي تغني في الأفراح و الموالد، امرأة طاعنة في السن تعود إلى الماضي عن طريق الأحلام و الذكريات، تزوج أبو مجيد من ابنتها شهيرة وأنجب منها ابنه مجيد، وبعد وفاتها تزوج أم أحمد، التي تعامل مجيد مثل ابنها، بعد إصابة مجيد أثناء المقاومة، و تصر " الجدة " على أنه لم يمت وإنما هو غائب عن الوعي. فهي ذات ثقافة تقليدية تؤمن بالعين و الاستخارة مثل أم صابر، ولكنها تختلف عنها في الانفتاح و التبسط في مسألة الحب، فقد أحبت أكثر من رجل في حياتها وناقشت لورا في أمور الحب، و تؤمن بعدالة القضية الفلسطينية فقد غنت لأبي عمار، وهي تمثل نساء الجيل القديم الذي عرف بيارات حيفا ويافا . " لأن شهيرة وأم شهيرة كانتا تغنيان في الأفراح و الليالي الملاح وتنقران الدف و الطبلة كالجنكيات " [٢] .

وبعد إصابة مجيد تصر على أن مجيد لم يمت " كلها يومين أو ثلاثة و يصحى على طول. يا الله ندلك ظهره ورجليه. يا الله يا ستي وبدأت تدلك وتغني بصوت أجش : يا ريتني طير لطير حواليك "[٣] . وتطلب من عيسى صديق أحمد أن تهرب بمجيد قبل الاجتياح حتى تنقذه " قالت الجدة :

- اسمع يا ستي يا عيسى. أنت وأحمد تحملوا مجيد ونخرج من نابلس بنص الليل قبل الهجوم " [٤]. وهي ذات ثقافة تقليدية وتؤمن بالقضاء والقدر " و الجدة تبسمل وتحوقل وتقول لها : الله معانا، أوعى تخافي "[٥] . وتتناقش مع جدة لورا في أمور الحب والغناء " قالت الحجة بتودد :

---

[١] - الرواية ، ص ، ص ، ٥٠ .
[٢] - خليفة سحر ، ربيع حار ، مصدر سابق ،ص ، ١٨ .
[٣] - الرواية، ص ، ١٧ .
[٤] - الرواية ، ص ، ١٧٢ .
[٥] - الرواية، ص ، ١٧٩ .

 رسومك حلوة، ما شاء الله، كأنها مطبوعة بالكربون " [١] .

و تعود إلى الماضي عن طريق الذكريات ، فهي من الجيل الذي عرف بيارات حيفا ويافا " واصلت الحجة مرنمة بصوت أجش وهي تتأمل النجف المدلى من أعلى السقف :

 يا سلام يا سلام على أيامنا، أيام العز. كان كريستال حيفا ويافا زي الألماس. وليالي الأنس والتجلي بالبيارات زي الجنة ! في البيارات ياما عملنا وياما سهرنا لطلوع الصبح. وأنا كنت صغيرة وسنيورة زي اللعبة، وصوتي يلعلع ولا أم كلثوم "[٢] . وتتحدث عن ذكرياتها في الحب ، وكيف كانت تغني في الماضي .

" ومرة واحد قعد لي على الأرض وقال لي يا ست، أنت يا ثومة، فشرت أسمهان وأم كلثوم . ولما سمعني عبد الوهاب قعد يترجى ويستعطف أني أمثل معه في السينما زي ليلى مراد وأم كلثوم "[٣] . و تؤمن بعدالة القضية الفلسطينية وبأن الأرض سوف تعود لأصحابها " قالت الحجة بحماس :

 بلدي وبلدك غصب عنهم وغصب عنك و اللي مش عاجبه يشرب البحر . إحنا صامدين زي الجبل ما تهزه الريح" [٤] .

وقد غنت لأبي عمار " - طبعاً غنيت، ولما سمعني قال لي يا سلام ، يسلم هالصوت ! " [٥]. وعادت للذكرى و الأحلام، وكيف سمعها عبد الوهاب وأشاد بها ، ولما سمعها قال لها : "برافوا، أنت ولا اجدع أم كلثوم . لازم تيجي تمثلي معنا أدوار الحب زي ليلى مراد وأم كلثوم" بس أنا رفضت " [٦] .

وهي تمثل عودة يائسة للماضي لأن ما مضى لن يعود فلم تبق لها إلاّ الذكريات " فهذه امرأة في الثمانينات، وربما في التسعينات، وما زالت تحن لماضيها، ماضٍ مليء بالأحلام و الخيالات و المسرة. فما كان كان ولن يرجع. كانت صبية وجميلة وكان لها

---

[١] - الرواية ، ص ، ١٩٦ .
[٢] - خليفة سحر ، ربيع حار ، مصدر سابق ، ص ، ٢٠١ .
[٣] - الرواية، ص ، ٢٠١ .
[٤] - الرواية، ص ، ٢٠٢ .
[٥] - الرواية، ص ، ٢٠٤ .
[٦] - الرواية، ص ، ٢٠٤ + ٢٠٥ .

صيت واسع وكانت أيامها في يافا أيام عز . و اليوم لا يافا ولا صيت ولا عز ولا مستقبل. وهذا محزن، فعلاً محزن. وساد الصمت بضع لحظات لكن الحجة استمرت وعادت تسرح:

كان ابن البيك، وكنت صغيرة، حلوة وسنيورة وقمورة ولما قال لي " أنت عمري" فرحت وصدقت . كان ابن البيك . وكان شكله قمر وعيونه زرق وشعره أشقر. كان يجنن. رحت انجنيت وحبلت منه " [١] . " - أقصد يا حجة قبل البيك من حبيت ؟ قالت بحيرة وتلعثم :

حبيت كثير ." - لأ يا حجة ، لأ، مش ممكن، لازم يكون واحد أحلى . قالت بجدية وبدون ابتسام :

كل واحد بوقته يكون أحلى " [٢] .

فهي ترى أن الحب يتعدد ولا يكون محصوراً بواحد ، وحصر الحب بواحد هو تفكير الإنسان عن الحب وليس الحب ، بينما رأت جدة لورا أن التعدد هو شهوة وليس حبا وأيدتها سعاد في ذلك " قالت الحجة بصدق وثقة ومن دون أن تنتبه من قال هذا ومن قال ذاك :

لأ طبعاً حب . صاحت المدام بحقد وغضب :

هذا مش حب، هذا شهوة " [٣] .

" قالت سعاد تناقشها :

لأ يا حجة . الحب الكبير يعيش على طول . و لا يمكن يموت إلا بموتنا . هزت الحجة رأسها وقالت بصدق :

لأ يا بنتي، هذا مش حب، هذا تفكيرك عن الحب " [٤] . وبذلك نرى أن هذا النموذج هو نموذج جديد عن الأم الغجرية الطاعنة في السن ، وبالرغم من كبر سنها فإنها مازالت تحن إلى الحب .

٩- : أم سعاد في رواية ربيع حار :

---

[١] - الرواية ، ص ، ٢٠٦+ ٢٠٧ .
[٢] - الرواية، ص ، ٢١٢ .
[٣] - خليفة سحر ، ربيع حار ، مصدر سابق ، ص ، ٢١٢ .
[٤] - الرواية، ص ، ٢١٦ .

هي نموذج لا تقليدي للمرأة الفلسطينية، فرضت صورتها رؤية الرواية ، المتعاطفة مع المرأة ، فالراوية تقدر دور المرأة على الصعيدين الاجتماعي والنضالي ، فعلى الصعيد الاجتماعي ، نجد أن العمل قد غيرها فأصبحت عنصراً فاعلاً في المجتمع ، بعد سجن زوجها فهي أم للجميع ، وتحب الجميع ويحبها الجميع ، وتطعم الجميع ، ربت أبناءها بعد سجن زوجها وعلمتهم ، وحملت مصاريف الدار والأولاد والمحامي مثل الرجال ، كانت تعمل في النسيج والخياطة ، تزوج أبناؤها وكل واحد أصبح في مكان ، ولم يبق عندها إلا سعاد ولذلك يناديها الناس أم سعاد ، بالرغم من وجود أبناء ذكور عندها . " التصق أحمد بأم سعاد . فالنسبة له ،كانت تعويضاً عن أمه وأجواء البيت. كانت من نوع يحبه فهي صلبة، وكذلك حنونة وسخية. كانت تحب أن تطعمه كلما جاء لزيارتها. فهذا سمبوسك وهذه مناقيش وأصابع زينب وعوامة. وحين علمت بعيد ميلاده صنعت له كعكة جميلة وزوقتها بورق الليمون و الفراولة " [١].

وعلى الصعيد السياسي والنضالي ،كانت مصدر قوة للحارة ، فالجميع يعتبرها مثل أمهم ، لأنها قوية وصلبة لم يزحزحها الاجتياح ،" فهو يعرف عن ماضيها وعن حاضرها وزوجها السجين وابنتها سعاد، لكنه خجل وابتلع السؤال. فهذه المرأة تجعله يحس أنها أمه، مع أنها ليست أمه، بل هي نقيض لأمه، فهي قوية، وصلبة وبحبوحة وذات لسان مثل المبرد، ولها ضحكة ذات أصداء تهز الحارة. امرأة قوية وسخية وتحب الضحك وصوتها عال مثل المدفع وتنادي الخضرجي و الفران وبياع الشومر و النعنع "[٢] .

فهي لم تقبع في المنزل تبكي حظها العاثر، بعد سجن زوجها ، بل كافحت وعملت في الخياطة، وطورت عملها وشغلت عندها مجموعة من البنات، فقد غيرها العمل وجعلها تتحمل المسؤولية . " فضحكت أم سعاد وقالت للبنات: يا الله اشتغلوا، مالكم واقفين ؟ كانت تريد تسليم الشغل وقبض الثمن قبل بدء الهجوم، فهي المسؤولة عن فتح البيت وهي المسؤولة عن المشغل وأجور البنات. مذ فارقها وقبع في السجن صارت امرأة قوية. في البداية ، ككل النسوان، قبعت في البيت تطبخ وتنفخ وتحبل وتلد

---

[١] - الرواية ، ص ، ٢٣٨ .
[٢] - خليفة سحر ، ربيع حار ، مصدر سابق ، ص ، ٢٣٩ .

مثل القطط والأرانب. ففي كل سنة ولد في البطن وولد في الحضن وولد يلتصق بركبتها حتى طفحت أركان الدار، وما عادت تتسع لفقس جديد، فجاء اليهود ورحموها. وأخذوا المحروس فقاس البيض وتركوا الدجاجة و الصيصان. صاحت ناحت وشدت الشعر ثم انتفضت وبدأت تعمل . باعت أسواره مبرومة واشترت ماكينة لحبك الصوف. ثم أخرى، ثم أخرى فامتلأت الدار بالماكينات " [١] .

فهي امرأة لا يتميز عنها الرجل بشيء ، بل هي أفضل من الرجل لأنها هي التي تحملت المسؤولية ، مسؤولية الأولاد ومسؤولية الزوج القابع في السجن ، " وأبو الأولاد لم يورثها إلا القلق و الهم والغم ومصروف الدار ومصاريفه فهذا للمحامي، وهذه مصاريف الزيارة، وهذا مصروف لدخانه وأكله وشربه حين تزوره " [٢] . يطلب منها أحد أبناء غزة جرزاية صوف لأن برد رام الله شديد وهو لا يتحمل البرد، فهي تعتبر الجميع أبناءها وتساعدهم .

" فقالت له : أنا ادفيك ، وبإيدي أحيك لك جرزاية يا ابن غزة . وها هي تسرع كي تفي بالوعد لأبن غزة ، للعريس الجديد وحيد أمه بين سبع بنات ، قبل بدء الهجوم " [٣] . وأم سعاد امرأة مؤمنة لا تخيفها الدبابات و الطيارات و الصواريخ، لأنها صاحبة حق ، وقفت في الاجتياح الإسرائيلي خلال انتفاضة الأقصى إلى جانب الرجال، فكانت تطهو الطعام للمقاتلين، وتحيك لهم اللباس، وتحثهم على الصبر و الإيمان وهي لا تخاف من اليهود، وتشعر مع أم الغزاوي لأنها أم تعرف مدى تعلق الأم بولدها ، وخصوصاً إذا كان ولداً وحيداً فلذلك بكت عليه بكاءً مراً بعد أن قتل بصاروخ.

وتتحدث مع أحمد وتحثه على الإيمان ، وتعتبر أن الاجتياح الإسرائيلي هو نوع من الامتحان . " - وله يا مجنون وحد الله . الله ابتلانا بهذا البلا حتى يمتحنا بإيمانا . هذا اختبار . هذي حكمة .جايين يتشطرو علينا بالدبابات والطيارات والصواريخ ؟ بس بالأيمان احنا أقوى" [٤]

---

[١] - الرواية، ص ، ٢٤١ + ٢٤٢ .
[٢] - الرواية ، ص ، ٢٤٢ .
[٣] - الرواية ، ص ، ٢٤٧ .
[٤] - خليفة سحر ، ربيع حار ، مصدر سابق ص ، ٢٥٦ .

فهي أم للجميع، تلبس الغزواي جرزة سعاد وتفرش له ليستريح. " وفرشت له حصيرة وطراحة وقالت: نم، الدنيا ليل ولازم تنام. فهز برأسه وقال بحسرة : مين اللي ينام ؟ أنا من يومين مش قادر أنام " [١]. وتطلب من ابن غزة عدم القتال لأنه وعد أمه بذلك ووعد الأم دين " فقالت بحزم : الوعد دين يا ابن غزة، أوعى تقاتل، ولازم تسمع كلام أمك. فهز برأسه، لكنه ظل مثل الضائع، حائراً وعصبياً ويدخن "[٢] .

وبعد أن كبر الأولاد تركوها ورحلوا وأصبح كل واحد في مكان ، لأن الأولاد لهم هناك مستقبل ، " أولادها باتوا في الغربة وهو أيضاً متغرب عن أمه من ٣ سنوات . لو أنه يعود إلى أمه ويعود سعيد واخوته له، لكن الحظ، و الرزق، و النصيب و المستقبل . هناك الأولاد لهم مستقبل . أما هنا، ماذا يجدون؟ ما يجده الآن ابن غزة ؟ " [٣].

وبعد قتل ابن غزة بصاروخ ، بكت عليه بحرارة لأنه مثل ابنها . " بعد دقائق سمعت صاروخاً هز الحوش، فخرج أحدهم وعاد يصرخ : هذا المسكين ابن غزة ! فخرجت حافية مكشوفة الرأس تتعثر فوق الأوساخ و الزجاج و الوحل ووجدته هناك متناثراً مفغور البطن كل قطعة بواد، فأخذت تلطم وتصيح بهستيريا : عريس جديد، أول عمره ! الله يساعدني ع هالمنظر . يا حسرة أمك يا مسخم. وأخذت تلطم وتبكي وتهتز كالمجنونة " [٤] .

كانت أم سعاد نصيراً للرجل فبعد أن تحررت هذه المرأة اقتصادياً عن طريق العمل ، أصبحت نداً للرجل، تستطيع أن تواجه الاحتلال، وكانت هذه المرأة هي النموذج الذي تنشده سحر خليفة ليقاتل إلى جانب الرجل حتى يتحرر الوطن .

وأم سعاد محبوبة من كل الحارة : " الصبر ما ملكتنا يا ست الكل يا أم الحارة يا مختارة يا أحلى أم " [٥]. لم تصرخ على أبي رامي كما صرخت على الغزاوي. كان الاجتياح قتلاً لكل اتفاقيات السلام وقتلاً لاتفاقية أوسلو ، لأنه كان تخريبا للبنية التحتية

---

[١] - الرواية، ص ، ٢٥٧ .
[٢] - الرواية، ص ، ٢٥٨ .
[٣] - الرواية، ص ، ٢٥٩ .
[٤] - الرواية ، ص ، ٢٦٠ .
[٥] - الرواية ، ص ، ٢٦٤ .

للدولة الفلسطينية الناشئة. " لم يبق شيء من أوسلو . قتلوا أوسلو ضربوا القيادة وضربوا أوسلو " [١].

وبعد أن تحررت أم سعاد اقتصادياً ، رفضت أن تعيش ابنتها بشكل تقليدي كما عاشت هي تحبل وتلد وتربي ، أما إذا أرادت سعاد أن تعيش حياتها حرةً صاحبة رأي مستقل، فيجب ألا ترتبط بهذا القائد، فهي تقف موقفاً سلبياً من القادة الذين يسخرون النضال لمصالحهم الخاصة .

فتقول لابنتها سعاد " قالت الأم :

شوفي يا بنتي ، إذا كنت ناوية تعيشي معه مثل ما عشت أنا مع أبوك، روحي له اليوم قبل بكرة لأن الزواج لابد منه، ستر وولاد وأمومة وظل الرجل ولا الحيط لكن إذا ناوية تعيشي حياة، حياتك أنت، حياة بلا حسرة وبال مشغول، شوفي لك واحد مش مربوط . هذا الرجل زي أبوك ويمكن أمر لأنه قائد "[٢] .

وفي حديثها مع ابنها سعيد، كانت واقعية تتعامل مع الواقع من لب الحدث، ترفض الحلول الفردية والرومانسية التي تدعو إلى القتال وعدم التسليم ، فلا بد أن يكون هناك حل جماعي. "- اسمع يا سعيد . جاي من عمان ورأسك حامي ومش عاجبك شي . شوف لقولك . هذا الرجال ... " وأشارت لأبو مجيد " هذا الرجال خربوا بيته وشتتوا ولاده كل ولد بواد. وهذا الولد ... "وأشارت إلى أحمد " هذا الولد الاجتياح طير عقله ومن يومها وهو داير حيران مثل الضايع . وهذا الرجال ... " و أشارت إلى زوجها المعلول المنهك " هذا الرجال ضيع عمره وصحته وشبابه وأعصابه وخرج من السجن نص بني آدم . وهذه البنت ... " وأشارت إلى سعاد " هذه البنت شافت الموت بعينيها وما قالت أخ . وأنا يا سعيد يا سند ظهري ، أنا أمك وأمها وأم الكل، أنا بصراحة تعبانة لأني انهديت. فاهم شو بقول ؟ أنا انهديت " [٣] .

وبذلك نجد أن الكاتبة قد طرحت نماذج متعددة لصورة الأم في رواياتها المختلفة، من أجل تصوير تيار الحياة الواقعية المعيشة ، بكل ألوانها وأطيافها، إضافة إلى تجسيد

---

[١] - الرواية، ص ، ٢٧٤ .
[٢] - خليفة سحر ، ربيع حار ، مصدر سابق ، ص ، ٣٠٧+٣٠٨ .
[٣] - الرواية ، ٣٤٦ + ٣٤٧ .

قيمة التعدد و التنوع، فصورة الأم لا تنحصر في نمط واحد، بل أنماطها متعددة متنوعة ، منها الجيد ومنها الرديء، فلم تكتف بطرح النموذج التقليدي النمطي للأم ، الذي يمثل الكفاح والصبر والتضحية ، بل طرحت نماذج سلبية للمرأة ، مثل إيفيت وسكينة وخضرة ، وحاولت أن تبين الأسباب التي تدفع المرأة الانحراف ، وقدمت نماذج رائعة للأم ، مثل أم سعاد وسعدية ، الأم التي تربي وتصبر وتضحي وتكافح ، من أجل الوطن والأبناء.

ثالثاً : المرأة العاملة :

إن مطالبة الكاتبة بحرية المرأة، فرض عليها اختيار نماذج متعددة من صور المرأة العاملة، لأن العامل الاقتصادي مهم في تحرير المرأة، واستقلال شخصيتها، فخروج المرأة إلى ميدان العمل ومشاركتها للرجل، ينمي شخصيتها ويجعلها أكثر حرية واستقلالية، وخصوصاً عندما تساهم في مصروف البيت ونفقاته و بذلك تكون نداً للرجل.

وهناك مجموعة من العوامل التي تدفع المرأة إلى العمل، منها موت الزوج، فموت زوج سعدية دفعها إلى العمل، من أجل الإنفاق على الأسرة وتعليم الأطفال، فزواجها من شحادة لم يكن بالحل المناسب، وعمل سعدية جعلها أكثر تحرراً، وأكثر قدرةً على التعامل مع المجتمع، " إن الاستقلال الذاتي للمرأة والتحرر الكامل لما ورثته من اضطهاد مكثف لكل ما نالته البشرية من ظلم ، لا يمكن إلاّ " بالتحرر الاقتصادي " أي بالعمل "[١].

وهناك فيوليت الحلاقة، التي تعاني من القهر و الاستلاب، فالشباب في المجتمع يطمعون بها ويحاولون إقامة علاقة سهلة معها ؛ لأن المجتمع ينظر إلى عمل المرأة في التجميل وصالونات الحلاقة، بنوع من الريبة وخصوصاً إذا كانت العاملة فتاة فقيرة، فلذلك عندما ثارت في وجه عبد الهادي بيك قالت له " - يعني أنت بدك شرموطة، شرموطة نظيفة وظريفة وكمان ببلاش " [٢] .

---

[١] - وادي طه ، صورة المرأة في الرواية المعاصرة مرجع سابق ، ص ، ٣٦٣ .
[٢]- خليفة سحر ، الميراث ، مصدر سابق ، ص٢٥٣.

وهناك نموذج للمرأة المتعلمة العاملة، وهو نموذج نهلة المغتربة في الكويت، نهلة معلمة قضت سنوات طويلة من عمرها في الكويت، من أجل الإنفاق على العائلة وتعليم الأخوة، ولكنها عندما عادت وجدت نفسها بدون حب وبدون أسرة وبدون عائلة، فهي تعاني من الاغتراب و الوحدة و الحرمان العاطفي، وسنعرض الآن لصور المرأة العاملة بالتفصيل .

١- سعدية في روايتي الصبار وعباد الشمس :

شخصية سعدية هي نموذج للأرملة العاملة في ظل الاحتلال ، التي تعاني من المجتمع حولها فلا هو يساعدها من أجل تربية الأبناء ولا هو يتركها لشأنها ، فهي تمثل " وضع المرأة من حيث الاستلاب، فهو استلاب قومي وطبقي وجنسي، فسعدية وخضرة تعيشان التجربة اليومية، وحركة التغيرات الحاصلة في صلب المجتمع الفلسطيني بعد هزيمة عام١٩٦٧" [١] . وشخصية سعدية من الشخصيات المهمة في جزأي الرواية ، في البداية كانت امرأة تقليدية تعمل في الطبخ و الكنس و الجلي وتحس بالخجل عند محادثة الرجال . و تتغير شخصيتها بعد موت زوجها ودخولها سوق العمل، فتعمل في الخياطة وتربي الأولاد وتحلم في الخلاص من الحارة حيث لا تكف ألسنة السوء عن سيرتها بالباطل.

في بداية حياتها عندما سجن زوجها وجدت الحل في بيع الأساور لتنفق على المنزل ، "وحين غاب زهدي وخرجت إلى الدنيا الواسعة اكتشفت كم هي صعبة حياة الرجال . وأصعب الصعب أن تحاول امرأة أن تعيش هذه الحياة " [٢]

وبعد استشهاد زهدي مع أسامة الكرمي تغير حالها ، وتغيرت نظرة الجيران لها ولم يعد يسأل عنها أحد ، فلم يعد بيع الأساور كافياً ، فسعدية امرأة غير متعلمة ، وبحاجة إلى المال من أجل العيش والإنفاق على الأسرة ،" حتى أبو صابر ما عاد يسأل ولا يطل . لكن أنت سيد الكل يا أبو الشباب . تعمل مثل أبو صابر . والله ما أقبلها منك ولا عليك " [٣] .

3- شهاب أسامة ، القصة النسوية المعاصرة في الأردن وفلسطين مرجع سابق ، ص٣٢٥.

[٢] - خليفة سحر ، عباد الشمس ، مصدر سابق ، ص ، ٣٠ .

[٣] - الرواية، ص ، ٢٣ .

ولم تكن تتحرج من العمل مع شحادة بالرغم من ألسنة السوء في الحارة ، لأن شخصيتها قد نمت نموا حقيقيا من خلال العمل ، وأصبحت أكثر قدرة على التعامل مع المجتمع بعد عملها ." قوم يا رشاد وافتح لعمك شحادة ، يمكن جاب الجلبة الجديدة .. أطلت رزمة من القمصان محاطة بذراعين طويلين معروقين، فصاحت سعدية يا جمال تحرك وساعد عمك " [١] .

وقد وجدت أن الخلاص من هذا الوضع عن طريق الزواج بشحادة ليس حلا ؛ لأنها بذلك لن تحافظ على أسرتها وأولادها ، بالرغم من أن شحادة كان راغبا في الزواج منها " أخص على الدنيا و الناس و الرملة .. أنا أفكر بهذا السخل حتى أتقي شرهم ؟ " [٢] " شحادة .. ؟ لا .. لا .. مستحيل سيقول الناس " يا بادلة النخلة بسخلة " فأين زهدي وأين شحادة " [٣] .

وكان شحادة يرغب في الزوج بها " لو ترضى به زوجاً لحمل همومها وهم أولادها على رأسه ولجعل حياتها جنة " [٤] .

ترفض سعدية لهجة شحادة في مخاطبتها ؛ لأن شخصيتها قد تطورت ونمت فصارت نداً للرجل ، بعد أن أصبحت صاحبة مصلحة ، " من ايمتى تناديني سعدية حاف يا شحادة ؟ ناديتني سعدية أول مرة وبلعتها ، ويمكن لأني بلعتها أول مرة تماديت، ونسيت حدك . أولاً أنا أم حمادة ومش سعدية وثانياً أنا مش حرمة أنا مثلي مثلك، أنت صاحب مصلحة وأنا صاحبة مصلحة وثالثاً ما حدا مسؤول عني غير الله ونفسي، مفهوم " [٥] .

فالعمل غير نظرتها إلى الحياة " الدار لا تطعم و لا تسمن وهي ما عادت امرأة فقط فهي الأم وهي الأب وهي الشقيانة بين الدار وتل أبيب " [٦] .

" وتملأ أكياساً ورقية ضخمة بكل ما كانت تحلم بأكله حتى في أيام زهدي. وتعود إلى الدار وعتال ضخم يتبعها وترى النسوة في الشبابيك اللعينة يرمقنها بحسد

---

[١] - الرواية، ص ، ٢٥ .
[٢] - الرواية ، ص ، ٣٠ .
[٣] - الرواية، ص ، ٣٤ .
[٤] - الرواية ، ص ، ٦٧ .
[٥] - الرواية ، ص ، ٧٣ .
[٦] - الرواية، ص ، ٦٦ .

وغيرة . وتحس بأنها باتت رجلاً أو نصف رجل " [١] . فما الذي غير شخصية سعدية ؟ وما الذي جعلها تحس بأنها رجل ؟ إنه التغير الاقتصادي الذي قلب الموازين في شخصية المرأة .

ويحدث تطور آخر مهم على شخصية سعدية عندما تلتقي بخضرة في الدبل كابين، وتركب معها الباص إلى تل أبيب ، فتتعرض إلى المشاكل فبعد أن سرقت خضرة الباص ، تذهب معها إلى التحقيق ، وتبيت معها ليلة في المخيم وتتعرف إلى الثوار و الملثمين ." مما يجعلها تغادر ظرفها الشخصي وتنخرط في النضال الوطني العام ضد المحتلين، بل إنها تدفع أولادها وتحرضهم على مقاومتهم "[٢] ، في الحمام حاولت سعدية أن تنكر خضرة " نظرت خضرة إلى سعدية تستنجد بها، فغضت سعدية النظر وغابت في ملكوتها . " بدك أقول إني بعرفك ؟ بدك أقول : إني بعرف وحدة بطاله ما ناقصها إلا الرخصة ؟ " [٣].

ولكنها في النهاية ساعدت خضرة بعدما تعرضت للضرب في الحمام من قبل النسوة "وأخيراً تمكنت من الوصول إلى خضرة ، فارتمت عليها تدرأ عنها الضرب وتصيح : - قومي يا خضرة قومي .. "[٤] . وبذلك نجد أن شخصية سعدية التي كانت في البداية لا تعرف سوى الدور التقليدي للمرأة ، الغسيل والطبيخ والتنظيف ، قد طرأ عليها تطور مهم بعد موت زوجها ، وانخراطها في العمل ، بالرغم من أنها امرأة غير متعلمة ، فالعمل غيرها وجعلها نداً للرجل ، فهي شخصية نامية تتفاعل مع الأحداث والظروف المحيطة ، ونموها وتطور مواقفها تسهم في تجسيد رؤية الرواية .

٢- فيوليت في رواية الميراث :

فيوليت هي فتاة مسيحية تعيش في وادي الريحان ، تعمل حلاقة شعر ، إنسانة حالمة ورومانسية أقامت عدة علاقات غرامية ولكنها فشلت ؛ لأن الجميع يريد منها علاقة سهلة و بدون مقابل ، فالمجتمع ينظر إلى عمل المرأة في التجميل بنوع من الريبة . وتفشل في علاقتها مع مازن الرجل الثوري الذي كان في لبنان ، وتتحرر من

---

[١] - خليفة سحر ، عباد الشمس ، مصدر سابق ، ص ، ٣٥ .
[٢] - أبو نضال نزيه ، تمرد الأنثى ، مرجع سابق ، ص ١١٦.
[٣] - خليفة سحر ، عباد الشمس ، مصدر سابق ، ص ، ١٩٦ .
[٤] - الرواية ، ص ، ١٧٢ .

علاقتها به لأن ذلك القائد حاول استغلالها لغاياته الخاصة ، " لأ مش حالل . حملقت إلى وجهه بحقد شديد ، فهو يتسلى بغضبها . حتى مساء الأمس كانت له في نفسها بعض بقايا . أما وقد حدث ما حدث ، فهو لا شيء ، مجرد لا شيء " [١].

و فيوليت امرأة مستلبة ومقهورة ، على المستويين النسوي والطبقي ، لأن الجميع يريد إقامة علاقة سهلة معها ،" فيوليت الحلاقة ، وعازفة الجيتار التي تفشل في كل مشاريعها وعلاقاتها العاطفية ، رغم أنها جميلة ومثقفة وفنانة مبدعة .. ولعل السبب كما تقول هي لأنها مجرد حلاقة يطمع الشباب بها لإقامة علاقة سهلة معها لا تكلفهم استحقاقات علاقة متوازنة تنتهي إلى الزواج ... فهي تمثل صورة مركبة لقهر المرأة واستلابها بالمعنيين النسوي والطبقي " [٢]. و امرأة حالمة ورومانسية ، تحاول الهجرة إلى أمريكا عند أخيها ، لأنها تريد التخلص من هذا الجو الموبوء" - أنا بدي أهرب لأميركا حتى أنسى كل هالأجواء ومش بس مازن " [٣]. ولم تعد تتمسك بمازن الذي كانت تعتقد أنه يحبها ، وهو في الحقيقة لا يحبها ولا يحترمها بل يستغلها ، من أجل الوصول إلى أغراضه الشخصية ، مثل الشرب وسماع الغناء .

فتاة عاطفية ، تحب الحب ، وبعد فشلها وإخفاقها في الحب ، قررت الهجرة إلى أمريكا والعيش مثل الأمريكان ، بدون عواطف ، " لكن فيوليت ليست للعشق، ولا عشيقة، وإن كانت تحت فلأن الحب شيء يعدها بالطيران عبر المدى و الموسيقى و شذى نيسان. لكن الرجل لا يفهم. هذا الرجل أو ذاك الرجل، سواء كان جيفارا أو هذا البيك. وهكذا باتت تحن إلى الهجرة حتى تصبح مثل الأمريكان بلا عواطف أو على الأقل تجد لنفسها موضع قدم في أرض تعيش بلا أحلام أو أوهام . إن كان الحب للإذلال وسحق القلب، فلا كان الحب ولا كان الرجل ولا كانت . وإن كان البلد لا يمنحها فرصة البحث وتحقيق الذات فلماذا إذن تقعد فيه ؟ " [٤] .

وتحاول تعليل سبب تحرش عبد الهادي بيك بها ؛ لأنها حلاقة وبنت ممرضة وأبوها موظف بريد ، فهي في نظرهم من طبقة فقيرة ، ينظر إليها أصحاب النفوذ

---

[١]- خليفة سحر ، الميراث ، مصدر سابق، ص٢٥٩.
[٢]- أبو نضال نزيه ، تمرد الأنثى ، مرجع سابق ، ص ، ٦٠ .
[٣]- خليفة سحر، الميراث ، مصدر سابق ، ص ١٣٥ .
[٤]- الرواية ، ص ٢٢٢ .

كشيء سهل يحاولون الوصول إليه ، ومن ثم تركه بعد قضاء الحاجة منه ، فهو لم يفكر بها كزوجة . " ربما كان السبب الوجيه أنها حلاقة وبنت ممرضة وأبوها كان موظف بريد . لو لم تكن أمها ممرضة لو لم تكن هي حلاقة! لو لم تكن بنت موظف انتقاه اليهود قبل غيره ! لو لم تكن تحمل اسماً يحمل دعوه . لو كان اسمها فاطمة محمد هل كان الكلب يتمادى ؟ لو كانت مهنتها محترمة هل كان يعاملها بهذا القبح لو كانت أمها مثل أميرة ذات نهرة وصوت واثق واسم جبار هل كان يحركها بكوعه كوعه ! كوعه ؟ ذاك الحيوان ، ذاك الدرفيل ، ذاك الخنزير، هي بكوعه " [١].

وتقارن نفسها بفتنة التي باعت نفسها لرجل بعمر أبيها ، وحملت بطريقة غير مشروعة من هداسا ، ولكن فتنة لم يتعرض لها أحد ؛ لأنها ابنه حسب ونسب ، وهي من طبقة مرموقة ، لا يمكن لأحد أن يعتدي عليها " هي صحيح أمها ممرضة وحلاقة لكنها أشرف منهم ، أشرف من فتنة أم فتنة لأنها تأكل لقمتها بعرق الحلال ولم تبع نفسها لرجل غني بعمر أبيها ولم تحبل حبلاً مدروساً مدسوساً . دار الشايب ؟ ابن الشايب ؟ ها ابن الكلب ! " [٢] . تحاول بيع الصالون والخلاص من هذا الجو المريض، " ايمتى رح أخلص من هالصالون وأخلص من هالبلد وبلاويها ؟ " [٣].

" أصابها قرف طاغ حتى كادت أن تتقيأ، فبقيت صامتة لا تعلّق لأن حشاشتها ماتت تحت الصقيع ونظرت إليه نظرة خاطفة سريعة وعادت تشيح بوجهها وبعينيها وهي تهمهم : " يا لطيف يا رب ! " [٤] .

وقد كانت حساسة ومرهفة ولكنها تثور مرة واحدة ، وتصبح عنيفة ،" لكنها كانت تفاجئهم بعناد بغلة تهب فجأة لترفس وتعنفص وتلقي براكبها على الأرض خلال ثوان تحت الرجلين. ومن حسن حظ البيك أنه تراجع وانكمش في آخر لحظة ولهذا هدأت حدتها قبل أن تصل الذروة وتنقلب عليه " [٥] . " - يعني أنت بدك شرموطة، شرموطة نظيفة وظريفة وكمان ببلاش " [٦].

---

[١]- خليفة سحر ، الميراث ، مصدر سابق ، ص ٢٢٧.
[٢]- الرواية ، ص٢٢٨ .
[٣]- الرواية، ص٢٤٤.
[٤]- الرواية، ص٢٤٥ .
[٥]- الرواية ، ص٢٥٠ .
[٦]- الرواية، ص٢٥٣.

و يتغير حال فيوليت مع مازن ، وفي النهاية تتحرر من تعلقها به ، ذلك القائد الوصولي الذي يحاول استغلالها، " هبت فجأة وقد طفح بها الكيل :

طيب وقصدت، شو اللي عندي ؟ حلّ عن ديني ، أنا ناقصتك ؟ يا أخي مالك متقصدني ؟ كل كلمة بقولها حدوتة ! لا بدي تفهم ولا افهم ، حلّ عن ديني " [١] .

٣- نهلة في رواية الميراث :

هي صورة للمرأة العاملة المنتجة المغتربة المستلبة لأبسط حقوقها في الزواج والعيش بحرية وكرامة ، فهي تشبه الدجاجة البياضة ، محبوبة ومحمودة مادامت تنتج البيض ، فإذا ما هرمت وتوقفت عن إنتاج البيض فليس لها إلاّ الذبح والاستفادة النهائية من لحمها، هذه هي صورة نهلة كما نستشفها من الرواية ." إنها النموذج الكامل للمرأة العربية المحرومة من أبسط حقوقها الأولية بأن يكون لها رجل / زوج ، فلا أحد من ذكور أسرتها يعبأ بما تعانيه من حرمان ، ما يهمهم فقط هو أن السمسار / الزوج لا يليق بعائلة حمدان "[٢].

وقد ضيع الاغتراب أيام شبابها إذ كانت تعمل على إعالة العائلة ، وتعليم الأخوة في الجامعات ، فهي تعاني من الاغتراب ، والوحدة ، والإحباط العاطفي ، " كانت معلمة في الكويت ثم طردت مثل كل الناس بسبب الحرب، ولهذا تتفشش بالتطريز وشغل الصوف و الشطف و المسح" [٣].

فكان جزاؤها الحرمان والإهمال بعد أن أدت واجبها تجاه الأسرة ، " هذا اللي نلته من عمري ، وهذا اللي ضيعت شبابي في الغربة عشان أناله ! هذا اللي نلته من عمري ، هذا اللي صرفت عليه من شقى عمري وعرق الكويت عشان ألقاه ؟ " [٤] . " وأنا في الكويت زي البقرة أحلب وأعلم واربي وهم دايرين ومش سائلين . كل واحد عنده عر ولاد ومرة وثنتين وأنا قاعدة هون زي التيسة أداري الرجال المجلوط " [٥] .

لقد استغلها الجميع في العائلة ، دون أن يشعر بها أحد " شاطر يكتب لي هالشيكات من غير رصيد ، وأنا اللي اسدد شيكاته مثل ما عودتهم طول عمري . طول

---

[١]- الرواية، ص ٢٥٩.
[٢] - أبو نضال نزيه ، تمرد الأنثى ، مرجع سابق ، ص ، ٥٩ .
[٣] - خليفة سحر ، الميراث ، مصدر سابق ، ص ، ٤٦ .
[٤] - الرواية، ص ، ٧٠ .
[٥] - الرواية، ص ، ٧٠ .

عمري أسدد وأربي وأقول آمين ، وأقول : يالله ، بكرة بلاقيهم لما أحتاج ، مين حاطط خيمة على رأسه . بكرة بمرض ، بكرة بعجز ، بكرة بخرفن ، ويمكن في كبري ألاقيهم ، وهايبني لا بكبري ولا بصغري الأقي واحد يسندني أو يسأل عني ولو مرة " [١] .

لقد انتهى دورها من العملية وانتقلت من مركز الاهتمام إلى الإهمال والنسيان ، " وبالأول كانوا يعوزوني ويبعثوا لي رسائل وتلفونات : أختي حبيبتي ، أختي روحي ، أختي عيوني ، أنت ست الكل وست الفهم وست الناس ، أنت نهلة ، أحلى ،احسن نهلة ، بالله أنا متضايق بدي قرشين . طيب يا خوي ، خدلك قرشين " [٢] . وفجأة وجدت نفسها بعد أن تقدم بها العمر ، وحيدة ، بدون زوج ، بدون أطفال ، بدون عائلة ، " و العمر مر و السنين ضاعت وصحيت ولقيتني ختيارة بلا جوز ولا بيت ولا مين ينادين يا ماما "[٣] .

وفجأة وجدت نفسها وقد ضاع العمر بلا نصير ومعين فحاولت أن تتدارك شيئاً مما فاتها ، وهي تعاني من الحرمان الجنسي والعاطفي ، " وبلا إشباع . فعادت تلملم دنياها وما بقي لها من واقعها و تحاول عبثاً أنت تحيا . بدأت ، مثلاً ، تضع الكحلة في عينيها . . . وتقعد في غرفتها طول النهار تقيس الفساتين وتجرب الكحل " [٤] .

فحاولت أن تبدأ من جديد و أن تقيم علاقة مع السمسار ، كنوع من التعويض ولكنها جوبهت برفض شديد من قبل العائلة ، فلم يفكر أحد بنهلة ، وحقها في العيش ، فكيف تتزوج نهلة من السمسار " ها أخرتها ، أخرتها سمسار ، سمسار مش متعلم بطنه منفوخ طوله شبرين الحطة نازلة لعيونه وعيونه دائماً منفوخة لكن نظرته معقولة فيها غليان وتحركها من فوق لتحت " [٥] .

ولم يبق لديها من الامتيازات ، إلا بعض المال الذي وفرته في الغربة ،" وهي تملك، تملك رصيداً بالدولارات وآخر حولته إلى دينار وأرضاً في المخفية وأخرى اشترتها في أريحا قبل أوسلو "[٦]. وتتمنى لو كانت أصغر حتى تستطيع إنجاب ولد ، "

---

[١] - الرواية ، ص ، ٧٠ .
[٢] - الرواية ، ص ، ٧٠+٧١ .
[٣]- الرواية ، ٧١ .
[٤] - خليفة سحر ، الميراث ، مصدر سابق ، ص ، ٩٥ .
[٥] - الرواية ، ص ، ٩٨ .
[٦] - الرواية، ص ، ١١٣ .

آه يا خسارة ، لو عشر سنين ، لو عشر سنين ناقص عمري كان ممكن أحبل وأخلف وأجيب لي ولد . لكن هالقيت ، له يا خسارة ، يالله شو نعمل ، و لا البلاش " [١].

كانت جريمتها الكبرى أنها حاولت أن تقيم علاقة مع السمسار ،كنوع من التعويض عن سنوات العمر التي أهدرتها في الكويت ،" صحيح أن نهلة الحمقاء المأفونة قد ارتكبت أبشع ما يمكن أن يفعل . . . ويقترح عبد الهادي بيك والست أميرة لم الموضوع وتزويج نهلة للسمسار ولكن هذا الاقتراح يواجه بالرفض وخصوصا من قبل مازن " [٢].

فحاول أخوها سعيد أن يقتلها لأنها كانت تبحث عن شيء تفتقده ، عن الأسرة والحب فدافعت عن نفسها ، " ثم فجأة انفتح الباب ورأيت نهلة تقف هناك وبيدها مسدس ضخم تصوبه إلينا بيد مهزوزة ومرتعشة . لم تقل شيئاً ، فقط تصوب وهي تحملق " [٣].

وبعد ذلك أطلقت النار على أخيها سعيد وجرحته ، ثم اختطفت نهلة ، وهرب زوجها إلى عمان . " حين تسرب الخبر إلى أبو سالم أن نهلة قد اختطفت أنها باتت حبيسة محكمة النمر الأسود، قطع تصريحاً وهرب من فوره إلى عمان " [٤] .وطلب منه الخاطفون التنازل عن الأملاك التي سجلها السمسار لها، واقترح كمال أن تتطلق ولكنها ترفض الطلاق .

وترفض التنازل عن أسهم الشركة ، لأنها من حقها ، فهي صورة حزينة للمرأة العاملة المقموعة التي لا تعرف الفرحة إلاّ لشهادات الأخوة وصور زواجهم ، أما نهلة الإنسانة التي ضحت بعمرها في الغربة ، فلم يفكر بها أحد لقد انتهى دورها بعد أن تم تعليم الأخوة الذكور وتزويجهم ، لقد أسهمت هذه الشخصية في تجسيد رؤية الرواية ، التي ترى أن تعطى المرأة أبسط حقوقها في العيش بحرية وكرامة ، وأن يكون من حقها اختيار الزوج ، وحق تكوين أسرة ، بدلاً من أن تعاني من الحرمان العاطفي والأسري .

---

[١] - الرواية، ص ، ١١٤ .
[٢] - الرواية ، ص ، ١٥٩ .
[٣]- الرواية، ص ، ١٦٤ .
[٤] - خليفة سحر ، الميراث ، مصدر سابق ، ص ، ١٦٩ .

رابعاً : المرأة المناضلة :

قدمت الكاتبة سحر خليفة في رواياتها المختلفة صورة مشرقة للمرأة المناضلة ، ومن أشهر هذه الشخصيات شخصية سميرة في رواية " لم نعد جواري لكم "، وشخصية نوار الكرمي في روايتي " الصبار وعباد الشمس " ، وقدمت لمحات سريعة تمثل فتيات الجيل الجديد في رواية " الصبار " ، مثل : شخصية لينا أخت صالح الصفدي، وبنت أبو سالم ، وقدمت شخصية الست زكية و سمر في رواية "باب الساحة " ، وشخصية سعاد في رواية "ربيع حار " .

حيث لا سبيل إلى تحرير الوطن قبل تحرير المرأة ، وتظهر هذه الفكرة في قول عفاف في "مذكرات امرأة غير واقعية " ، "عفاف جزء من ثورة المرأة الفلسطينية والثورة الفلسطينية هي جزء من الثورة العالمية " [١]. وعند رفيف في رواية "عباد الشمس " إذ تعتبر تحرير المرأة هو السبيل الوحيد إلى تحرير الوطن قبل التفاوض مع اليهود ، ومن هنا يرتبط تحرير المرأة بتحرير الوطن ، فالتحرير يدعم حريتها الفردية واستقلالها الاقتصادي ، لأن الوطن يبقى عاجزا دون مساندة نصفه الآخر ، فتحرير الوطن لا يمكن أن يتم إلاّ من خلال تحرير نسائه ، وسنعرض الآن بالتفصيل لصور المرأة المناضلة التي قدمتها الكاتبة في رواياتها المختلفة .

١ـ سميرة في رواية لم نعد جواري لكم :

من الشخصيات المسطحة في الرواية فقد ظلت على نمط واحد لم يتغير، فتاة متعلمة من عائلة فقيرة ، حصلت على بعثة من أموال الوكالة نتيجة امتيازها في امتحانات الدراسة الثانوية، وهي الآن مدرسة للغة الإنجليزية بعد تخرجها في الجامعة الأمريكية ، تمتلك شخصية قوية وذات حجة مقنعة في الحوار، أحبت ابن عمها ربيع .خطبها وحصل على بعثة لتخصص طب الأطفال في إنجلترا ، وهناك يتعرف على فتاة إنجليزية شقراء، وعندما يعود يحاول التخلص من سميرة عن طريق لا مبالاته، فهو ناكر للجميل حيث ترك سميرة التي أحبته وساعدته في الوصول إلى ما هو فيه . وهي صورة للمرأة " الواعية المتحدية ابنة مخيم اللاجئين التي درست في الجامعة

---

[١]- خليفة سحر، مذكرات امرأة غير واقعية ،مصدر سابق ، ص٩٦.

وتدّرس في المدرسة الثانوية وتضحي بمستقبلها لأجل غيرها ... تنتقد أبناء الذوات وتصرفاتهم .. وتعمل لتغيير كل شيء !! " [١].

وسميرة هي النموذج الإيجابي الوحيد في رواية لم "نعد جواري لكم" ، وذلك أن النماذج النسوية الأخرى كان همها الوحيد مشاكلها الشخصية وقضاياها الذاتية ، دون الاهتمام بالقضايا الوطنية ، فالفنانة سهى تبحث عن متعتها الشخصية ومحاولة تحقيق ذاتها عن طريق الفن . وسامية تبحث عن حبها القديم ، و إيفيت تبحث عن متعتها الشخصية بعيدا عن الزوج والأولاد مع فاروق ، بينما كانت سميرة هي المكافحة الوحيدة التي تمد يد العون للآخرين ، وتفكر في مشاكل وهموم الطبقة المسحوقة في المجتمع .

و " هي النموذج الإيجابي الوحيد بين نساء سحر خليفة، فهذه الشخصية واضحة النضج على مستوى الأفكار، وكذلك فهي شديدة الفعالية و العطاء على مستوى السلوك، إن تحرر سميرة الفكري لا يشكل بالنسبة لها مدخلاً للتصادم مع مجتمعها، بل إنها تحرص على ضبط حركتها العامة وفق معطيات واقعها الاجتماعي وتربط بذكاء وهدوء بين قضية تحرر المرأة وبين قضايا تحرر المجتمع .. من هنا فإن شخصية سميرة تبدو شديدة التوازن رغم الهزات وخيبات الأمل التي واجهتها من ابن عمها وخطيبها ربيع الذي يهجرها لتعلقه بإحدى الفاتنات الإنجليزيات . ولكن ذلك لا يدفعها للهرب بعيداً، كما فعلت سامية بل " تواصل بدأب عملها اليومي و السياسي و الاجتماعي " [٢] . تقول مخاطبة الفنان عبد الرحمن متحدثة عن خطيبها ربيع " أنا لا أريد نقودي، أنا أريد حباً وحناناً .إن كان يعاملني بهذا الشكل كي أملّه وأعتقه، فما من داع لكل هذا اللف و الدوران فليفسخ الخطبة ويطلقني، ولن أطالبه بحقوقي كخطيبة، ولا بحقوقي كدائنة وليعد من حيث أتى ! " [٣].

وهي جادة وعملية في الحياة ، فهي مثال للفتاة المكافحة الشريفة، تدعو إلى بناء المصانع لأن في الصناعة تغييراً لبنية المجتمع، وتدعو إلى الاشتراكية، لأن

---

[١]- شهاب أسامة ، القصة النسوية المعاصرة في الأردن وفلسطين ، مرجع سابق ، ص ٣٢١ .
[٢]- أبو نضال نزيه ، تمرد الأنثى ، مرجع سابق ، ص ٦٣+٦٤.
[٣] - خليفة سحر، لم نعد جواري لكم ، مصدر سابق ، ص ، ١٦٠ .

الاشتراكية وجدت مع المصنع، فالمرأة التي تقف وراء الآلة في أول الشهر تتقاسم المصاريف مع الرجل آخر الشهر، وهذا يغير من سلوك الرجل فلن يجد مانعاً من الوقوف في المطبخ ليغسل الأطباق ." أوجد المصنع وسترى ؟ " [١] .

و لم ترض بسلوك ايفيت الشائن مع فاروق ، وتعبر عن هذا الرفض من خلال تيار الوعي. " أه البلهاء ، ألا تعرف بأن المظاهر هي الجانب الكاذب للأشياء؟ يا عزيزتي ايفيت، إن من يرى رأسك الجميل هذا يظنه يحتوي عقلاً جميلاً مثله، وإن من يرى جسمك الرائع هذا يظنه يحتوي توازناً وانضباطاً، ولكن المظاهر هي الجانب الكاذب للأشياء! " [٢].

وهي عنصر إيجابي تحاول نصح ايفيت وتغيير الكتب المثيرة التي ينتقيها لها فاروق. فتطلب منها قراءة الكتب الجادة التي تثقف العقل ولا تثير الغرائز مثل كتب " الليدي تشارلي ". و يفسخ ربيع ابن عمها خطبتها ويعود إلى إنجلترا ، وتبقى هي متمسكة بموقفها النضالي فلا تتخلى عن الفنان عبد الرحمن المثيلوني، وتزوره في سجنه بالجفر بالرغم من أن الأصدقاء قد تخلوا عنه وخاصة حبيبته سامية ." قالت سميرة بخوف : " سامية باعت المكتبة وسافرت لزيارة أقاربها في أمريكا ! " [٣] .

مما زاد من إعجاب الفنان الكبير بها فقال: " نعم، أنت رائعة، فلك نفس نظيفة كعيون النرجس، وفي رأسك عقل يتألق كالذهب، ولك قلب واسع باستطاعته الاحتمال، والحب،واستيعاب الرحمة .. " [٤] . طرحت الكاتبة من خلال شخصية سميرة قضية المرأة المناضلة، ذات الفكر السياسي التي لم تتخل عن فنان عريق ، يدافع عن قضايا الناس في شدته وسجنه ، في الوقت الذي تخلى فيه عنه أقرب الناس إليه حبيبته سامية ، التي باعت المكتبة وهربت مرة أخرى إلى أمريكا .

٢- نوار الكرمي في روايتي الصبار وعباد الشمس :

من الشخصيات الرئيسية في الرواية وتستمر مع الكاتبة في الجزأين " الصبار + عباد الشمس " ، أخت عادل الكرمي وباسل الكرمي ، تريد عمتها أن تزوجها إلى

---

[١] - خليفة سحر، لم نعد جواري لكم ، مصدر سابق ، ص ، ١٣ .
[٢] - الرواية ، ص ، ١٤١ .
[٣] - الرواية ، ص ، ١٧٩ .
[٤] - الرواية ، ص ، ١٨٠ .

ابنها أسامة ولكن نوار تحب المناضل صالح الصفدي. تدرس في دار المعلمين وهي على وشك التخرج وستعمل حتى تساعد أخاها عادل في حمل أعباء الدار ، " لم أعلم أنك قدمت . كنت في النجاح في دار المعلمين سأتخرج في نهاية هذا العام . ثم أعمل وأساعد عادل في حمل أعباء الدار" [١] . وهي تحب المناضل صالح الصفدي، وهو معتقل في سجون الاحتلال وتخفي الأمر ، ويطلب منها أخوها باسل أن تصارح الوالد بذلك." أما نوار ... فتقع في منتصف المسافة بين المرأة التقليدية و بين المرأة المتمردة المندفعة ... نوار لا تطرح شعارات كثيرة، ولكنها تؤكد على ثوابت وحقوق لا تقبل مساومة ، وفي مقدمتها الرجل الذي تحب، و المضي معه في درب النضال الذي اختاره " [٢] .

فقد قرر باسل أن إبلاغ الوالد هو السبيل الوحيد للتخلص من ترددها وخوفها ،" - لو كنت مكانك لما أبقيت المسألة سراً و المسألة ليست سراً على أية حال ، فالجميع يعرفون بأمر هذه العلاقة إلا الوالد "[٣] . فالوالد يمثل الطبقة البرجوازية القديمة في المجتمع ، التي تنظر إلى الطبقة الفقيرة بنوع من الكبر ، فهو لا يتصور أن تحب ابنته نوار الكرمي ، ذلك الشاب الفقير القابع في سجون الاحتلال . " كرهت انتماءها وانتقدت تصرفات والدها .. تمردت على هذه الأطر الاجتماعية وأحبت صالح الشاب الفقير وتعاطفت مع نضال الشباب وأخذت تناقش في السياسة " [٤] .

لهذا يمكن القول إن انتماء نوار الوطني ، أمدها بالقوة والشجاعة لمواجهه الأسرة ، " إن انتماء نوار الوطني، وارتباط مفهوم الحرية و الاختيار لديها بقضية الوطن ومجابهة الاحتلال يمدها بقوة استثنائية يصعب على الأسرة مقاومتها أو كبحها. بل إنها تنزع سلفاً أسلحة التخلف التي تمكنهم من إشهارها في وجهها .. فيما لو كان موضوع تحررها مرتبطاً بالجنس أو العلاقة بالرجل " [٥]. فهي كامرأة متعلمة لها حق الخيار والحرية ، في اختيار شريك المستقبل ، وتحمل هم الوطن القابع في ظل الاحتلال . ويعرض عليها الوالد الزواج من الدكتور عزت عبد ربه ، ولكنها ترفضه ،

---

[١] - خليفة سحر ، الصبار ، مصدر سابق ، ص ، ٣٢ .
[٢] - أبو نضال نزيه ، تمرد الأنثى ، مرجع سابق ، ص ١١٣+١١٤.
[٣] - خليفة سحر ، الصبار ، مصدر سابق ، ص ، ١٥٧ .
[٤] - شهاب أسامة ، القصة النسوية المعاصرة في الأردن وفلسطين ، مرجع سابق ، ص٣٢١.
[٥] - أبو نضال نزيه ، تمرد الأنثى ، مرجع سابق ، ص١١٤.

وتكون تلك أولى خطواتها نحو التحرر من القيود الاجتماعية القديمة ، التي تفرض عليها الزواج من رجل لا تحبه .

و يفضح باسل موضوع نوار مع صالح الصفدي فيصاب الوالد بصدمة ، وتعترف نوار بما يقول باسل وتصر على البقاء على عهدها لصالح الصفدي ، " صاحت نوار وهي تهب واقفة : - بلى ، بلى سأتزوج منه .

أنا لن أتزوج إلا من صالح ، ولن أرى أي رجل آخر . أنا لن أتزوج إلا من صالح حتى ولو انتظرته مئة سنة " [١] .

و مع الزمن تفتر نوار وتصاب باليأس من الانتظار ، إلى متى ستبقى دون زواج وهي تنتظر صالح الصفدي القابع في سجون الاحتلال ، " سبعة أعوام سبقتها أخرى وتتبعها أخر وما جدوى الانتظار ؟ " [٢] .ويظهر ذلك من خلال حديثها مع عادل " ودوى السؤال في رأسه : إذا لم يكن في هذا الرأس وهذا القلب صالح فمن يكون وزلزلته ذكرى كلماتها : وما جدوى الانتظار أبهذه السهولة يا نوار ؟ أبهذه السهولة يلفظ الإنسان وعده ؟ " [٣] .

وبذلك نجد أن نوار كانت نموذجاً جديداً للمرأة المناضلة في ظل الاحتلال ، وهي تمثل المرحلة الأولى من وعي المرأة بضرورة المشاركة في النضال الوطني ، بعد حرب تشرين .

٣- فتيات الجيل الجديد في رواية الصبار :

تمثل فتيات الجليل الجديد ، التطور والتغيير الذي طرأ على المجتمع الفلسطيني، وخصوصاً التغير الذي طرأ على وضع المرأة بعد حرب تشرين، حيث تعلمت المرأة، وانخرطت في العمل الوطني و النضالي بعد حرب حزيران، التي تمثل كارثة على مستوى الأمة العربية و الإسلامية، فكانت حرب حزيران صفعة قوية أيقظت الناس، وخلخلت الكيانات الاجتماعية المهترئة .

أ- لينا أخت صالح الصفدي .

---

[١] - خليفة سحر ، الصبار ، مصدر سابق ، ص ، ١٧٠ .
[٢] - خليفة سحر ، عباد الشمس ، مصدر سابق ، ص ، ٣٩ .
[٣] - الرواية ، ص ،٤٠ .

لينا فتاة مناضلة من الجيل الجديد ، تعمل على توزيع المناشير وجمع الأسلحة، وتنخرط في العمل النضالي، وفي مقاومة المحتل، وهي من الشخصيات الثانوية في الرواية ولكن لها دلالة مهمة، وهي أن هناك جيلاً جديداً يرفض القيم القديمة البالية ويعمل على التغيير، فبعد شرف الوطن كما يقول باسل : ليس هناك قيمة لأي شرف .

" قالت نوار :

هل تعتقد بأن لينا منظمة حقا ؟

هز كتفيه مدعياً اللامبالاة :

وكيف لي أن أعرف ؟ " [١] .

فانخراط المرأة في المقاومة جعلها ذات شخصية مستقلة، وذات رأي، فأسامة يوصي باسل بعدم قطع أي قرار دون الرجوع إلى لينا، " نصيحة نهائية . لا تقطع بأي موضوع دون استشارة لينا . فتاة صلبة . لديها خبرة " [٢] . " فقد انخرطت في المقاومة الفعالة فوزعت المناشير، وجمعت الأسلحة .. ودخلت السجن .. " [٣].

" - لينا اعتقلت .

ذهول .. لم يبق إلا هذا . الفتيات يعتقلن وأنا جالس في هذا المقعد وبعد لحظات سأجلس على الطاولة وآكل كما يأكل الآخرون . و أشرب الشاي و أبتسم، ثم أنام "[٤]. فكان اعتقال لينا صفعة قوية لعادل الكرمي ، الذي يعتقد أن الحل سوف يأتي من خلال المفاوضات، ومن خلال الوصول إلى الشارع الإسرائيلي، ومن خلال التعايش السلمي مع اليهود .

ب- بنت أبو سالم :

تمثل هذه الفتاة التغير الذي طرأ على حياة الجيل الجديد الذي يقاوم الاحتلال ويخرج في المظاهرات، فالبنى الاجتماعية القديمة، بدأت بالسقوط و التداعي، وبدا هناك دور نضالي جديد وبارز للمرأة في مقاومة الاحتلال، " وبنت أبو سالم رشقت في المظاهرة حجر فتح نافوخ الضابط لحقوها من شارع لشارع ومن زقاق لزقاق ...

---

[١] - خليفة سحر ، الصبار ، مصدر سابق ، ص ، ١٥٦+١٥٧ .
[٢] - خليفة سحر ، الصبار ، مصدر سابق ، ص ، ١٣٦ .
[٣]- شهاب أسامة ، القصة المعاصرة في الأردن وفلسطين ، مرجع سابق ص ٣٢١ .
[٤] - خليفة سحر ،الصبار ، مصدر سابق ، ص ، ١٦٢ .

حريقة والدين قردة مصفية . أنا عارف ، طق شرش الحيا بنات هالأيام وزرق نابهم مسكها الجندي وقال " مابتخافي من الضرب عرافيت ،أنا بعرف على إيش تخافي " شقت مريولها لحد ما بينت صدريتها وقالت " قصدك على هذا ؟ ولا على هذا بخاف " استغفر الله العظيم . جيل كاسر وما بقدر عليه قادر . الوطن على الراس و العين، لكن ياابني الشرف غالي ، وإحنا عرب .

علق باسل :

بعد شرف البلد و الأرض لا قيمة لأي شرف "[١]. وبذلك نجد أن شخصية لينا، وبنت أبو سالم إشارة للتغير الذي طرأ على البنى الاجتماعية في المجتمع الفلسطيني، حيث بدأت المرأة في الانخراط في المقاومة الوطنية، وفي العمل النضالي المنظم مثلها مثل الرجل، فأصبحت نداً وشريكة له .

الست زكية الملقبة بأم الشباب في رواية باب الساحة :

كان للست زكية دور نضالي بارز خلال الانتفاضة ، فقد قدمت الكثير لشباب الانتفاضة ونشطائها ، فهي تداوي الجروح ، وتخبئ المناضلين ، وتسعف المصابين ، وتكشف الطريق ، وتنقل أخبار استشهاد الشباب إلى أمهاتهم ، " وتبدو الست زكية أشبه برمز في كثير من المشاهد واللقطات فهي : " أم الشباب " وأحيانا يقولون عنها " أم الجميع " ، وهي امرأة متقدمة في العمر هاجر زوجها وتزوجت بناتها وعاشت وحيدة !!، أما عملها فقابلة / مولدة . وتبدو رابطة الجأش على الرغم من الخوف والقلق والتشاؤم الذي يعتمل في أعماقها . وعلى الرغم من رؤيتها الحزينة فهي تقدم الكثير الكثير لشباب الانتفاضة ونشطائها . فهي تخبئ المناضلين وتداوي جراحهم وتسعفهم و " أم الشباب لا تخشى العتمة " هذا ما تتناقله الحارة ويهمس به الملثمون وهي تمر في خان التجار والحواكير والتواءات الأزقة " [٢].

وتعمل داية ، و تعود من عملها في الهزيع الأخير الليل، فتتعرض للتفتيش من قبل جنود الاحتلال . " افتح الشنطة : ويرون أدواتها البسيطة : قطن، شاش ،سرنجات ،مطهرات وتحاميل

---

[١] - الرواية ، ص ، ٤٩ .
[٢] - الماضي شكري ،الرواية والانتفاضة ، مرجع سابق ، ص ، ٤٧ .

دكتورة ؟

- لأ ، قابلة " [١] .

كانت الست زكية تقوم بإسعاف الشباب المصابين ، وتعمل الإسعافات الأولية لهم ، " وتنقلب أدواتها البسيطة أدوات جراحة فتخيط هذا، وتجر ذاك، وتستخرج رصاصة ، وتحقن إبرة .فهي الممرضة و الداية، وهي البشيرة و النذيرة، هي الحمامة و البومة تدور من دار إلى دار لنقل البشارة و خبر الشؤم ابنك تصاوب يا فلانة. ابنك استشهد يا فلانة . عيني ولدك يا فلانة . وهات البشارة يا أبو فلان " [٢] .

وكانت تساند الشباب ، وترشدهم حول تحركات العدو وعددهم وأسلحتهم ومواقعهم ، وتطعم القادمين إلى بيتها " - أحمد ؟ ما شاء الله، اسم الله عليك، طولت الغيبة يا بني، تاكل؟ تشرب؟ تروح عالحمام ؟ أغليلك شاي وإلا قهوة ؟ أسلق لك بيض وإلا عوينات ؟ أو اسمع ، أقولك ؟ أعملك عجة مع سلطة. أدخل تحمم يا بني ولما تخلص تلاقي السفرة ممدودة "[٣] . صابرة ، ولها حكمة وتجارب في الحياة " - بصير للواحدة كتير وقليل، بس بتتحمل و بتصبر . رجال الدار هو السترة و التاج عالراس " [٤] .

وهي ذات ثقافة تقليدية ، ولكنها امرأة صابرة ومؤمنه بالله ، " - إقري الفاتحة وسورة ياسين. لو إنك بتصلي ما تخافي. إنتو كلكن يا بنات اليوم لا بتعرفوا دين ولا راحة بال اسمعي مني إبدي اليوم " [٥] .

وكانت ترشد الشباب عن مواقع العدو وتحركاتهم ، " ومشت الحجة تتمايل نحو دار العزاء تحمل شنطتها وتبسمل وترى الأزقة و قد فرغت تمتلئ بخيالات الجن "[٦] ." سألها شاب : " يا ست زكية شفت الجيش ؟ "

هزت رأسها :

" شفته ،شفته " .

---

[١] - خليفة سحر ، باب الساحة ، مصدر ، سابق ، ص ، ١٢ .
[٢] - الرواية ، ص ، ٢٢ .
[٣] - الرواية ، ص ، ١٧٩ .
[٤] - الرواية، ص ، ١٨٠ .
[٥] - الرواية، ص ، ١٨١ .
[٦] - خليفة سحر ، باب الساحة ، مصدر سابق ، ص ، ٢١٦ .

" و النواضير " .

" وحاملين سلاح " ؟

" مثل دايماً " .

" عددهم كبير " ؟

" الله أعلم ، يمكن عشرين ، يمكن خمسين ، يمكن ميه ، مقدرتش أعد "[١] .

وبذلك نجد أن الست زكية كانت تقوم بدور نضالي بارز بالرغم من كبر سنها ، فتسعف الجرحى وتخبر الشباب عن تحركات العدو ، وتؤوي المناضلين وتطعمهم ، فهي أم للجميع ، فقد ولّدت أمهاتهم ، وأخذت بشاراتهم ، فكان لها دور مهم في تجسيد رؤية الرواية ، وهي أن المرأة وإن كانت كبيرة في السن ، فأنها تسهم في دور مهم في النضال الوطني .

٥- سمر في رواية باب الساحة :

سمر فتاة مثقفة متعلمة وتخرجت في جامعة النجاح، تعمل استبياناً عن التغيرات التي طرأت على وضع المرأة خلال الانتفاضة ، فهي فتاة متعلمة ومثقفة ، لا ترضى إلاّ بالحقيقة العلمية ، لذلك تلجأ إلى الاستبيان ، وتقاوم المحتل وتتصارع مع الخارج ، ولكنها تعاني من عجز داخلي ، حيث أصبح عمرها ستة وعشرين عاماً ، ولا تستطيع أن ترد ضربات أخيها صادق ، " فسمر التي تنشد تحرير الوطن وتحرير الذات معا ، تشعر أنها " كلما فهمت أكثر ناءت أكثر وخافت أكثر ". وفهمها هنا هو الوجه الآخر لوعيها برسوخ القيم وصلابة العلاقات الاجتماعية والوعي الاجتماعي السائد . فسمر حين ضربها جند الاحتلال " قاومت ورفعت يدها بالخشبة وبأي شيء يصلح للقذف " .أما ضربات أخيها صادق – الذي يؤمن بأن المظاهرات والدفاع والمقاومة من شأن الرجال – فتحس بأنها " ليست أكثر من قارب تتقاذفه الأمواج والأنواء . وإحساس بالخجل العارم والانسحاق التام ، والتفاهة والذل وعدم القيمة "[٢] .

فسمر المتعلمة تسعى إلى البحث العلمي وترفض الشبهات دون التحقق ، ولذلك تذهب إلى بيت نزهة للتحقق عما يقال عنها ، ولمعرفة التغيرات التي طرأت عليها

---

[١] - الرواية ، ص ، ٢١٧ .

[٢] - الماضي شكري ، الرواية والانتفاضة ، مرجع سابق ، ص ، ٤٦ .

خلال الانتفاضة"- يعني إذا كانت بريئة نمد ايدنا ونساعدها ؟ وجمت الست زكية وتجلت في وجهها إمارات الخوف :

- يا بنتي كله إلا هذا ! "[١] .

وهي تدافع عن الحي ، وتقوم بالفعل النضالي ضد المحتل دون تردد ، ولكنها تشعر بالعجز تجاه ضربات أخيها صادق ، " قالت سمر وهي تحمل خشبة : " نطوا على دار الست زكية . عليهم يا ستات "[٢] .

- فمقاومتها لجنود الاحتلال ، لا تدفعها للدفاع عن نفسها أمام أخيها صادق، " و أخذ يلطمها دون وعي ، على وجهها . وعلى رأسها ، على ظهرها . وكان ينفخ ويتفتف :

يا بنت العرص ، بدك تصيري مثل نزهة ؟ ! و الله لأشرب من دمك " [٣] .

" فسمر تنظر إلى الخارج وترى أن الانتفاضة نفضت الغبار وهزت الأرض بلا إنذار ، فالواقع يتغير ، لكنها – وهي الشابة المناضلة المثقفة الباحثة – تشعر بضعفها وضعف الأفكار والنظريات أمام العلاقات المعقدة التي تحكم الداخل أو تحكم العلاقات الاجتماعية من الداخل . ولهذا ما إن تعود سمر إلى بيتها حتى تشعر بالغضب والخوف غضب من نفسها لأنها خافت ، وخوف من خوفها لأنها أدركت أنها ما زالت تتخبط وسط هذا الطوق المحكم من العلاقات والعقد " .[٤]

ومع ذلك نجد مفارقة في موقف صادق الذي يضرب سمر بعنف ، لكنه يشعر بالعجز والضعف أمام المحتل الإسرائيلي ، فتقف سمر إلى جانبه ، وهنا تتجلى رؤية الكاتبة في كثير من الروايات ، وهي أنه لا يمكن تحرير الوطن دون تحرير نسائه ، " - أختي سمر، شفتي هويتي؟

- ولا يهمك ، بوقف جنبك ، بوقف قدامك ،وما بشوفوك . ووقفت فعلاً ، ومر الجنود ولم يلحظوه " [٥] .

---

[١] - خليفة سحر ، باب الساحة ، مصدر سابق ، ص ، ٢٥ .
[٢] - الرواية، ص ، ٦١ .
[٣] - الرواية، ص ، ١٣٦ .
[٤] - الماضي شكري ، الرواية والانتفاضة ، مرجع سابق ، ص ، ٤٥ .
[٥] - خليفة سحر ، باب الساحة ، مصدر سابق، ص ، ١٨٣ .

وهي تشعر بعجزها نحو الداخل ، وترى أن العلاقات الاجتماعية ، علاقات معقدة ، فهي لا تستطيع أن تعبر عن حبها لحسام ؛ لأنها ترى أن هناك علاقات اجتماعية لا يمكن تجاوزها ،" أحست بالعالم يدور بها. ماذا ؟ ويضيع الحب ؟ لأول مرة تلمس رجلاً، تقول له " أنت حبيبي ". تقعد على الأرض عند سريره وتغفو بلا نوم ولا إدراك فتهدهدها أمواج الريش " .[١]

ولكنها تغادر طوقها الاجتماعي ، وتنطلق وراء حبيبها حسام وترفض منع أخيها صادق ، فالانتفاضة كانت نهوضاً سياسياً عارماً ، غير بعض العلاقات الاجتماعية ، " ويبدو أن سمر تشعر بالأسى والوهن بسبب ما ينطوي علية الواقع من مفارقة تتمثل في نهوض سياسي عارم لا يتوازى أو يترافق مع تغير في أوضاع المرأة والنظرة إليها ، على الرغم من أن الواقع الجديد – واقع الانتفاضة – قد فرض شروطه وكانت أقوى من وصايا الإخوة وتحذير الرجال للنسوة بعدم الخروج أو المشاركة بالمظاهرات ".[٢] ويظهر ذلك من خلال حوارها مع أخيها صادق .

- أنا رايحة معاه وين ما ترحوا .
- حدجها بصرامة :
- ممنوع البنات. أصرت :
- لأ مش ممنوع، أنا رايحة معاه.
- لأ مش رايحة .
- لأ رايحة ونص " [٣] .

فنجد من خلال صورة سمر التي وجدت خلال الانتفاضة ، أنها الأكثر وعيا وفهما للواقع ، ومقاومة للعدو وبحثا عن الحقيقة ولكنها عاجزة عن مواجهة العلاقات الاجتماعية السائدة في المجتمع منذ مئات السنين .

٦- سعاد في رواية ربيع حار :

---

[١]- خليفة سحر ، باب الساحة ، مصدر سابق ، ص ، ١٩٥ .
[٢] - الماضي شكري ، الرواية والانتفاضة ، مرجع سابق ، ص ، ٤٥ .
[٣] - خليفة سحر ، باب الساحة ، مصدر سابق ، ص ، ١٩٥+١٩٦ .

سعاد فتاة متعلمة ، تعيش مع أمها التي تعمل في حياكة الصوف ، وتدرس مع مجيد في الجامعة ، تحب أحد القادة النضاليين ، وتقع في النهاية في حيرة بين الموافقة عليه أو رفضه ، اعتقل والدها وأدخل السجن ، وأصبحت الأم هي المسؤولة عن تدريس الأولاد وتربيتهم ، وكبر الأولاد وتفرقوا في البلاد ولم تبق إلاّ سعاد ولذلك يناديها الناس بأم سعاد، و يظهر لها دور نضالي بارز في انتفاضة الأقصى، فهي لا تعاني من قمع على المستوى الأسري ، كالذي عانت منه سمر في رواية "باب الساحة "، ولكنها تعاني من عدم الاعتراف بها امرأةً مستقلة ، لها حق التعبير عن ذاتها، من خلال ارتباطها بأحد القادة، الذي لا يعترف بها كياناً مستقلاً له حرية الاختيار و التعبير عن الذات .

" كانا في طريقهما إلى عين المرجان برفقة سعاد – زميلة مجيد في الفرقة – التي تقطن مدينة نابلس ... ثم صعدت بهما إلى منزلها في البلدة القديمة لتعرفهما بأمها حائكة الصوف. لدى أمها مشغل للصوف وعدة فتيات وماكينات يدوية وشلل خيطان مثل شعر البنات "[١]، فبالرغم من سجن أبيها إلا أن عائلتها مازالت تعيش بشكل عادي وتستمر حياتها لأن أم سعاد قامت بالدور الأكمل، فربت الأولاد وعلمتهم، وأنفقت على الأسرة من خلال عملها في حياكة الصوف، " أبو سعاد في معتقل الرملة منذ سنين، ورغم ذلك، تعيش العائلة بلا شكوى وتستمر الحياة "[٢].

فهي طالبة تدرس الأحياء في الجامعة ، وفي روحها انسجام مع الكائنات الحية ،" تدرس أحياء، سعاد هذه، وبدت الأحياء في عالمها شبكة علاقات منسجمة بين النباتات و المخلوقات وقطط وكلاب وعصافير "[٣] . و تؤمن بتناسخ الأرواح، لأنها إنسانة عاطفية وشفافة ترى في المخلوقات كائنات مستقلة، يجب أن تحترم وأن يكون لها الحق في الحياة . " - كل الأحياء لها أرواح، ولما تموت تحل بأجسام جديدة : زهرة، شجرة، قطة، عصفور. فاهم عليّ "[٤] . " قالت ساهمة بتأمل :

---

[١] - خليفة سحر ، ربيع حار ، مصدر سابق ، ص ، ٩٨ .
[٢] - الرواية ، ص ، ٩٩ .
[٣] - الرواية ، ص ، ١٠١ .
[٤] - الرواية ، ص ، ١٠٣ .

– يعني الزهرة حرام نقطفها و الأشجار حرام نخلعها و القطة لازم نعاملها كالبني آدم، لأن فيها روح الأحياء و الخالق ويمكن بداخلها روح إنسان"[١] .

وعند الاجتياح يبرز دورها النضالي فتعمل في الإسعاف وتداوي الجرحى وتطعم المقاتلين وتخفف جراحهم ، " وقفت سعاد فوق رأسي، ثم أحمد. قالت همساً :

– هذا جلوكوز وهذي سوائل. حاول، يمكن. الله أعلم " .[٢]

وقد شاركت في التنظيمات و في توزيع المنشورات ، والمظاهرات . " أما هي .. ومرت بذاكرتها كل المشاهد مذ كانت طفلة. وعاشت بلا والدها منذ أكثر من ربع قرن، وكانت مازالت طفلة. وعاشت بلا والد كالأيتام . ثم التنظيم، و المنشورات، و الملصقات ومجلس الطلبة وغناء مجيد. آه يا مجيد. أهم الهموم آلا يجدوك " [٣] .

ومع أن سعاد تقوم بعمل نضالي بارز، إلا أن نظرة المجتمع الذكوري إلى المرأة لم تتغير، فالعلاقات الاجتماعية السائدة التي تنظر إلى المرأة كمخلوق دوني ، ليس له الحق في ممارسة أبسط أنواع حقوقه ، مثل اللباس : فلذلك يصفها عيسى بـ " السقعة " " كان يفكر أن هذي البنت السقعة بالبنطلون الشعر القصير وحذاء الرياضة و الكنزة ليست تحفة، وليست فلتة، فهي لا أكثر من رعناء مخترقة أو أية صيغة من الصيغ ذات الأبعاد الملفوفة "[٤] .

وهي تأخذ موقفا معارضا من الحركة الإسلامية والفكر السلفي، الذي يريد العودة بالمرأة إلى الوراء ، " فانكمشت سعاد لأن التعليق أصابها في العمق، إذ طالما حقدت عليه .. أهل الطرابيش وذوي اللفات و الدشاديش. وكانت تقول بلا توقف " هم أصل الهم، هم أصل الشوم. " وها هي المدام تذكرها أن هؤلاء هم من نكصوا لأن من كانوا في الموقع وفي الترسانات كانوا واقعين لشوتهم بأمثال الحجة سنيورة أيام العز "[٥] .

تؤمن سعاد بالحب الخالد ؛ لأن الحب من أسمى المشاعر الإنسانية التي تسمو بالإنسان، وتكسر الحواجز بين المجتمع الذكوري و المجتمع الأنثوي ، وفيه احترام

---

[١] - الرواية ، ص ، ١٠٣ .
[٢] - الرواية ، ص ، ١٦٤ .
[٣] - الرواية، ص ، ١٨٠ .
[٤] - خليفة سحر، ربيع حار ، مصدر سابق ، ص ، ١٧٧ .
[٥] - الرواية ، ص ، ٢١١+٢١٢ .

متبادل بين الطرفين، حيث يتعامل الطرفان بنوع من المساواة و الاعتراف بكيانية الآخر، " هزت سعاد رأسها بدون تعليق، إذ إن الحب ليس لعبة نلعب بها وحين نمل نرميها، وهو ليس افتناناً آنياً يذبل ويموت بكل سهولة. فالحب الكبير كالقضية، كالسياسة، مثل فلسطين، ويدوم الدهر حتى نفنى ويفنى معنا "[١].

وهي تقف موقفاً معارضاً من القادة الذين يسخرون النضال الوطني إلى مصالحهم الشخصية، " لكن سعاد تقول العكس. سعاد تقول إني أسوأ لأني أهتم بالمنصب و التلفزيون وإني لأختلف عن الباقين ممن هزموا وهزموا معهم آمال الشعب و القضية "[٢].وترفض أن تكون ظلا للرجل فهي تؤمن باستقلالها وحريتها . " هذا قدرنا ! همست سعاد : ليس قدري . أنا لست الأم ولا الزوجة لست المرتبطة المربوطة بخيال رجل أو ظل رجل . إن كان القائد شبح رجل، فلماذا أكون ؟ وانقطع الخيط " [٣] .

وترفض سعاد خطيبها لأنها ترفض أن تكون زوجة تقليدية تابعة للرجل فالحرية والشعور بالاستقلال الذي كان عندها، أكبر من الحب الذي يجعل منها ظلاً للرجل، " التفتت إليه ورأت عينيه بلا إقناع . كانت في الماضي، قبل سنين تغفو وتنام على أمل في أن تلقاه،في أن يجيء ويحضنها ويضيء ليالي وحشتها ويبعث فيها إحساس الحياة "[٤] . يوافق أبوها على العريس ، ويشجعها على الزواج منه لأنه ينظر إلى القضية من وجهة نظر المجتمع الذكوري، الذي يجعل من المرأة تابعة للرجل .

" - يا بنتي الوحدة ما إلها إلا زوجها. الستر مطلوب وأنت كبرت ولازم لك عريس وبيت وأولاد ورجل يرعاك ويرعى حياتك. هذا الرجل و لا كل الرجال، دغري وشريف وقلبه نظيف وله مستقبل. قولي له هذا على لساني. أنا يسعدني ويشرفني أني أناسب واحد مثله. اضربي تلفون وقولي موافق. يا الله مبروك" [٥]. وهذه هي النظرة الذكورية تظهر من خلال حوار الأب مع سعيد ، سعيد الذي يريد تزويجها و الخلاص منها، فالبنت حسب العلاقات الاجتماعية السائدة لا يجوز أن تبقى دون

---

[١] - الرواية، ص ، ٢١١+٢١٢ .
[٢] - الرواية ،ص ، ٢٩١ .
[٣] - الرواية ، ص ، ٢٩٥ .
[٤] - الرواية، ص ، ٣٠١ .
[٥] - خليفة سحر ، ربيع حار ، مصدر سابق ، ص ، ٣٠٥ .

رجل يحميها، ولكن سعاد ترفض أن تعيش بشكل تقليدي، وترفض أن تكون ظلاً للرجل فلذلك تدوس على مشاعرها وتقدم حريتها وإنسانيتها على الزواج .

" قال الأب ساهماً

- تقدم لها عريس . صاح بفرح :
- هه هه هه ، قولوا من الصبح . وين المنظوم سعيد الحظ ؟ مين المسكين ؟
- واحد مسؤول من السلطة النصراوي، ها شو رأيك ؟
- أنا رأي انعجل قبل ما يطير ويروح منا " [١] .

فهي تحب النصراوي، ولكنها ترفض أن ترتبط به ، " وها هي الآن تعيد الكرة، وتقع في حبه ثانية، ستحبه ثانية وثالثة وتنفصل عنه، ثم تحبه تنفصل عنه، لأنه في الصورة يجذبها، و حين يزمجر ويطفو على السطح، تهرب وتخاف وتتراجع. وها هي الآن تعود إليه، تعود إلى الصورة بلا أبعاد، بلا تعمق، لأن الحب كشف الإحساس وأعاد الربيع " [٢] .

فالنصرواي قائد دائم الشغل ، ونجد دائما هناك موقفاً سلبياً من القادة في روايات سحر خليفة، الذين يسخرون النضال السياسي إلى مصالحهم الشخصية . " خرجت من عنده تتعثر. كانت تعرف أن العلاقة قد انتهت، أو على الأقل، قد تجمدت بضعة أشهر، أو بضعة سنين، أو إلى مالا نهاية. لن يسأل عنها، ولن تسأل عنه، ويضيع الحب "[٣].

وبذلك نجد أن سعاد صورة للمرأة المناضلة، في سياق تاريخي جديد وهو سياق انتفاضة الأقصى، فهي تسعف المصابين، وتداوي الجرحى، وتعمل في الإسعاف، وتشترك في التنظيم، وتوزع المنشورات، ولكنها في النهاية ترفض النصراوي؛ لأنها لا تريد أن تبقى ظلاً للرجل الذي يحد من حريتها واستقلالها وكيانيتها .

---

[١] - الرواية ، ص ، ٣٤٣ .
[٢] - الرواية، ص ، ٣٤٩ .
[٣] - الرواية، ص ، ٣٥٠ .

خامساً : المرأة المومس :

قدمت الكاتبة سحر خليفة صورة للمرأة المومس وطرحتها بشكل جديد ،من خلال شخصيتي خضرة في رواية "عباد الشمس "، ونزهة في رواية " باب الساحة ". وناقشت الأسباب التي تدفع المرأة إلى الانحراف والسقوط ، مثل : التفاوت الاقتصادي و الطبقي في المجتمع، و الحاجة المادية ، فالانحراف و السقوط للمرأة لم يكن بسبب حاجة المرأة الجنسية، وإنما كان بسبب الجوع و العوز .

فالمومس في الروايات تستخدم للتعبير عن قضية اجتماعية، يعري فيها الكاتب المجتمع ويكشف مواطن الخلل فيه ، وهذا ما عبرت عنه روايات سحر خليفة ، حيث لم تأت هذه القضية بشكل عرضي في روايات سحر خليفة، بل كانت قضية محورية ورئيسية في روايتين من رواياتها، هما : رواية " عباد الشمس " ورواية " باب الساحة " ، حيث مثلت شخصية خضرة هذه القضية في الرواية الأولى فكانت ضحيةً لظروف اقتصادية واجتماعية لا ترحم . فاختلت منظومة القيم الاجتماعية عند خضرة، مما دفعها ذلك إلى الانحراف و السقوط، حيث تقول خضرة : " مين أحسن أعرص ولا أخلي الرجال يموت ؟ " [١].

ورواية " باب الساحة " تدين المجتمع الذي يدفع المرأة إلى البغاء ، ويتحدث عن النتيجة دون أن يناقش الأسباب ، " إن الرواية تهدف – من وراء هذا كله – إلى تجسيد ما هو أكثر عمقاً ودلالة : الفضيلة و الرذيلة قيمتان نسبيتان متغيرتان حسب الظروف و الأحوال ؟ ! و الشرف قيمة اجتماعية وسياسية أيضاً ومن الصعب – و الخطأ – أن تبقى محصورة في جسد المرأة و لا سيما في ظل الأجواء النضالية التغييرية المحتدمة " [٢] . وسنتحدث الآن عن صورة المرأة المومس بالتفصيل .

١- خضرة في رواية عباد الشمس :

تظهر شخصية خضرة في رواية "عباد الشمس "، وهي شخصية مثيرة على المستوى الاجتماعي و الدلالي فلها قضية اجتماعية مهمة، فقد تعرضت للعنف و الظلم من قبل المجتمع و الأسرة وأصبحت تبيع نفسها . فهي ناقمة على الأسرة و المجتمع و

---

[١]- خليفة سحر ، عباد الشمس ، مصدر سابق ، ص٧٦.
[٢]- الماضي شكري ، الرواية و الانتفاضة ، مرجع سابق ، ص٥٧.

الرجل و الاحتلال ،ولا تعترف بالقيم الاجتماعية السائدة و منظومة الأخلاق في المجتمع، وهي ترفض الاحتلال وسلطة الرجل ، بعد أن تعرضت مدة طويلة للضرب و المهانة. و " تبرز شخصية " خضرة " المرسومة بدقة في هذه الرواية و التي تمثل ممارسة الحرية في غياب الوعي الاجتماعي، حيث تبدو الحرية العبودية، أو حرية الاستلاب في تمردها، حرية بلا هدف وبلا نتيجة ! وتبدي لنا من خلال الحوار ... السمات الأساسية التي تميز شخصية " خضرة " في تمردها وثورتها على القيم الاجتماعية، لكن أهميتها في الرواية تنبع من احتكاكها بشخصية " سعدية " وقيادتها لها على درب التجربة التي لم تكتمل في ثنايا الرواية محاولة الوصول إلى عفوية الحياة الحرة " [١].

فهي لا تعترف بالقيم السائدة في المجتمع، لأن المجتمع قد دفعها إلى هذه الطريق " يبرز دور خضرة المرأة الفقيرة المقهورة التي تضطر لبيع جسدها لكي تعيل أسرتها، ولكن خضرة هنا ليست مجرد مومس أو مومس فاضلة كما نجدها عند سارتر ومحفوظ ومينه بل تمثل نموذجاً إضافياً للمقاومة الشرسة ضد المحتلين " [٢]." وهذا يظهر زيف المجتمع ومطاطية مفاهيمه فيما يتعلق بالأخلاق و الشرف فيجعلها قصراً على المرأة، ذلك أنها مخلوق ناقص بالفطرة بل هي كالطفل يمكن للرجل أن يضحك على عقلها السخيف "[٣] . " وكانت خضرة تتأمل دموع سعدية بجمود ودهشة، فما الداعي لهذا الموقف المحزن و النهار في أوله ولم يحصل ضرر. ومم تخاف الست سعدية ؟ تخاف على شرفها ؟ بلا شرف بلا قرف وكأنه بقي للإنسان ما يخاف عليه "[٤].

فهي لا تخاف من اليهود وتتعارك معهم و تحاول الهرب منهم بعدما سرقت الباص " وسحبت الباب بكل قوتها فانسحب الجندي معه، رفع يده وهوى بها على وجهها ،فتصدت، وسحبته إليها ورفسته بين رجليه فتهاوى على الأرض . فوقفت لحظات فوقه وهي تنظر إلى سعدية بعينين جاحظتين وشعر منبوش .. تعالى يا حمارة .. تريد أن

---

[١]- شهاب أسامة ، القصة النسوية المعاصرة في الأردن وفلسطين ، مرجع سابق ، ص٣٢٦.
[٢]- أبو نضال نزيه ، تمرد الأنثى ، مرجع سابق ، ص ١١٦.
[٣]- عبيدات أروى، صورة المرأة في الرواية الأردنية ، مرجع سابق ، ص٧٢.
[٤] - خليفة سحر ، عباد الشمس ، مصدر سابق ، ص ، ٧٦ .

تهرب من المخفر "[١] . و مع كل هذه القوة و الجبروت فهي أم تشتاق إلى أولادها و تبكي لفراقهم " وطفرت الدموع من عيني خضرة وقالت : - نشتاق لمين و لا لمين ؟ الله يرضى عليهم وين ما كانوا . يا الله يا سعدية . على الأقل إلك أولاد يسألوا عنك . أما أنا ، يا حسرة على بختي . ما إلي غير ختيار بدل ما يعيني يخبلني . هربت من الأول الله يقطعه . كانت إيده و الهواية يضربني "[٢] .

وبسبب الفقر و الجوع كانت تسرق ، فالمجتمع هو الذي دفعها إلى الانحراف ، لقد تشردت وهجرت من أرضها بسبب الاحتلال ولم يرحمها أحد ، " سرقت شوية رز وشوية سكر طردوني وبهدلوني ولو طلع بايدهم حبسوني " [٣] . " أخذنا الباص ساعة ؟ كله هالباص حبسونا ... وقالوا عنا سراقين عشان باص ، هم أخذوا كل شئ وما حدا قال عنهم سراقين ولا حرامية ولا ملو خلاخيم " [٤] .

ومع ذلك كان لها دور نضالي فهي تتعامل مع الثوار وتساندهم ؛ وترى أن النضال الوطني حق مشروع للجميع، فهي ترفض الاحتلال وتقاوم المحتلين " - هم ، ولك يا سعدية هم

همس الصوت الغليظ محذراً

اسكتي ، اسكتي يا خضرة . اقعدوا هللت خضرة بإنفعال :

روحي فداكم يا رجال الله ينصركم " [٥] .

وقد ساندت سعدية ووقفت إلى جانبها . " في ساعة الشدة وقفت خضرة إلى جانبها أما هي فلم تقف وتراكم إحساسها بالخجل و الذنب وتكثف وما عادت تجرؤ على النظر في عيني خضرة " [٦] . وبذلك نجد أن خضرة كانت شخصية مثيرة على المستوى الدلالي والاجتماعي ، فهي لا تعترف بالقيم الاجتماعية السائدة ؛ لأن المجتمع هو الذي دفعها إلى الانحراف ، ولا تعترف بشرعية الاحتلال فلذلك تساند الثوار والمناضلين .

---

[١] - الرواية، ص ، ٨٠ .
[٢] - الرواية، ص ، ٨٥+٨٦ .
[٣] - الرواية ، ص ، ٩٠ .
[٤] - خليفة سحر ، عباد الشمس ، مصدر سابق ، ص ، ٨٧ .
[٥] - الرواية، ص ٩٦ .
[٦] - الرواية، ص ، ١٦٥ .

٢- نزهة في رواية باب الساحة :

هي بنت الدار المشبوهة ، أمها سكينة قتلها الشباب في الانتفاضة لأنها كانت عميلة، لقد احتلت هذه الشخصية ستة فصول من أصل تسعة فصول في الرواية ؛ لأن دار نزهة أو الدار المشبوهة كانت نقطة التقاء لمعظم الشخصيات الرئيسية التي شكلت الرواية، لقد دخل حسام إلى الدار مضطراً بعد إصابته من قبل الاحتلال، وحضرت الست زكية إلى الدار لمعالجة ابن أخيها حسام، وحضرت سمر لملء الاستبيان، ثم تحضر والدة حسام بعد ضربها من قبل زوجها السيد وجيه، فأصبح للدار طابع جديد خلال الانتفاضة و ما فرضته من ظروف، " إن نزهة هذه تشكل استمراراً لشخصية خضرة في "عباد الشمس " فهي نموذج إضافي للمومس الفاضلة التي دفعتها شروط حياتها وبيئتها إلى متابعة مهنة أمها " [١].

فالظروف الاجتماعية المحيطة بنزهة هي التي دفعتها إلى الانحراف والسقوط ، فأمها سكينة كانت في البداية مثلها مثل النساء في الحارة ، ولكنها بعد موت زوجها أرادت أن تعيش ، وحاولت أن تنفق على الأسرة ولكنها فشلت لأنها لم تكن تتقن مهنة ولم تكن متعلمة فسقطت ووقعت في أحضان الجاسوسية والدعارة .

وتظهر هذه الشخصية في سياق الانتفاضة، هذه الفتاة اليتيمة، التي يدفعها المجتمع إلى البغاء، و تعري هذه الشخصية المجتمع وتفضحه ، وتبين فساد وانحراف قادة العمل الوطني و الوجهاء فيه ، وتكشف ازدواجية المجتمع ومعاييره المختلفة في التعامل مع الذكر و الأنثى، وتفضح الكاتبة الذكر الذي يعمل السبعة وذمتها كما تقول نزهة : " كان داير وداشر وبيشتغل بإسرائيل ويجيب معاه بنات ويرجع يتشاطر علينا ". هذا الشقيق نموذج تمعن نزهة في فضحه : الذكر الذي يسمح لنفسه بكل شيء ، ويحرم على الأنثى كل شيء . وهو يتكرر في شخص والد حسام الذي كان من زبائن نزهة ، كما يتكرر في شخص شقيق سمر العامل . ولا فرق هنا بين مناضل أو عميل ، ولا بين مثقف أو جاهل ، فتلك هي الازدواجية الذكورية العتيدة التي هجتها سحر خليفة منذ " لم نعد جواري لكم " وتابعتها في" مذكرات امرأة غير واقعية " ولم تكن غائبة

---

[١]- أبو نضال نزيه ، تمرد الأنثى ، مرجع سابق ، ص١١٩.

عن " الصبار " ولا عن " عباد الشمس " ، ووصلت في "باب الساحة " على لسان نزهة إلى المحرق : " بعملوا العملة وبقولوا اليهود ، ولما يتخبوا بيقولوا اليهود ، ولما بيستحوا من حالهم بيقولوا اليهود .مش كل اللي بيجوا كانوا يهود هكذا تصف نزهة زبائن دار التعريص "[١].

وقد عاقبها المجتمع بالنتيجة ولم يبحث عن السبب ،" تعيش وحيدة في بيت سيئ السمعة، لا يكلمها أحد إلا إذا أجبر، ولا يدخل بيتها أحد إلا إذا كان مضطراً، ومن يدخل إلى بيتها أو يشاطرها الكلام يقع عليه اللوم و العقاب، امرأة بائسة يائسة مقيدة إلى " سمعة سيئة " مصنوعة أو حقيقية، أعطيت لقب الخاطئة ونبذها الجميع من دون أن " يتأكدوا " من حقيقة الخطأ، أو أن " يحددوا " معنى الخاطئة، فهي المضطهدة بدون تحديد أو تأكيد " امرأة حاصرها القمع حتى استعذبت الموت، وسكنها القهر حتى عافت الشكوى فإن بكت أطلقت صوتاً يمزق الروح ويستمطر دمع العين الجامدة " [٢] .

إذن تهجو الكاتبة المجتمع الذي يتعامل بازدواجية مع الذكر والأنثى، حيث يسمح للذكر أن يعمل كل شيء دون أن يحاسبه أحد، بينما تحاسب البنت لأتفه الأسباب، فتضرب و تهان وتزوج للخلاص من شرها ، فصورة نزهة كانت تعرية للمجتمع وفضحاً لازدواجيته التي يتعامل بها ، وتعريه للوجهاء الذين كانوا يعملون كل شيء دون أن يحاسبهم أحد .

سادساً : المرأة الزوجة :

قدمت الكاتبة سحر خليفة صورة للمرأة الزوجة كادت تستغرق رواية بأكملها ، وهي شخصية عفاف في " مذكرات امرأة غير واقعية " ، فكانت عفاف صرخة في وجه المجتمع الذي يميز الولد الذكر عن البنت الأنثى ، ويعتبر بول الذكر نوعاً من الكولونيا ، المجتمع الذي يعتبر البنت نوعاً من العار يجب الخلاص منه ، وأسرع طريقة للخلاص من البنت هي تزويجها لأي رجل ، صرخة في وجه المجتمع الذي يبيح للرجل كل شيء ويحرم على المرأة كل شيء ، المجتمع الذي يحرم البنت من

---

[١] - سليمان نبيل، فتنة السرد والنقد ، مرجع سابق ، ص ، ٢٠٤ .

[٢]- فيصل دراج ، دلالات العلاقة الروائية ، مؤسسة عيبال للدراسات و النشر، قبرص- نيقوسيا ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣، ص٢٣٩.

الميراث ويعطيه للأولاد الذكور ، المجتمع الذي يكبت أحاسيس ومشاعر المرأة الجنسية ، ويبيح للرجل عمل ما يحلو له ، فاستغرقت شخصية عفاف رواية بأكملها لتفضح زيف المجتمع وازدواجيته في التعامل مع الذكر والأنثى ، فالأنثى إنسان له مشاعره وأحاسيسه وكيانه المستقل،الذي لا يجب أن يرتبط بالرجل بحيث تكون المرأة تابعة له .

وقدمت لمحات سريعة عن المرأة الزوجة من خلال شخصية سكينة ، في رواية "صورة وأيقونة وعهد قديم " ، سكينة التي تمثل نموذجاً لنساء القرية ، الذي يعاني من القهر والتسلط والظلم ، ولا يستطيع أن يعيش مستقلاً عن الرجل .

١- عفاف في رواية مذكرات امرأة غير واقعية :

قبل البدء في الحديث عن الرواية ، والشخصية المحورية فيها وهي شخصية عفاف أود أن أشير إلى نقطة مهمة وجوهرية ، وهي أن نسرين الشنابلة في رسالتها "روايات سحر خليفة " ، لا تعتبر "مذكرات امرأة غير واقعية " رواية ، بل تعتبرها نوعاً من السيرة الذاتية للأسباب التالية : " إنني أميل إلى اعتباره " النص " غير ذلك ، خصوصا ، أن المذكرات جاءت مطابقة إلى حد بعيد مع قصة حياتها التي كتبتها بالإنجليزية " My Story" التي وردت كجزء من رسالتها لنيل درجة الدكتوراة، وخلوها من التنامي الدرامي القائم على الصراع وتشوش نقطة المواجهة، فهي تبدأ حيناً من دهشة الطفولة، وحيناً آخر من الحياة الزوجية، وأخيراً عدم ارتكازها على نتيجة محددة واضحة تمثل هدفاً بالمفهوم الروائي "[١] .

إذن لا تعتبر نسرين الشنابلة، رواية " مذكرات امرأة غير واقعية " ، رواية للأسباب السابقة وأنا أختلف معها في هذا الرأي الذي ذهبت إليه للأسباب التالية :

أولاً : تندرج هذه الرواية تحت باب رواية السيرة الذاتية، فالرواية ، "هي السيرة الذاتية الكتابية لفردية تميز بين الاضطهاد و الانعتاق، أو هي السيرة الذاتية الجماعية لفردية كاتبة تساوي بين الحاضر والاستبداد وبين المستقبل شيء آخر " [٢] . وهل

---

[١]- الشنابلة نسرين ، روايات سحر خليفة ، مرجع سابق ، ص٩٤.

[٢]- دراج فيصل ، الرواية و السيرة الذاتية ، من كتاب دراسات في الرواية العربية ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٨، ص ٧٣.

الروايات التي يكتبها الكتاب إلا انعكاساً لمشاعرهم وأفكارهم، تجاه الذات وتجاه المجتمع ، " ولعل جدل الاستبداد الذي لا يموت و التحرر الذي لا يولد هو الذي فرض على الرواية العربية شكل السيرة الذاتية، يستوي في ذلك إن كانت السيرة الذاتية، سيرة بلغة المفرد أم بلغة الجمع " [١]. فالروائي " يكتب في سيرته الذاتية الكتابية سيرة أنواع مختلفة من البشر، كما لو كانت الرواية تستولد من اللغة جملة من اللغات من ناحية، وتقوم بسرد السيرة الذاتية لمجموعة من البشر، لها أوضاعها المختلفة ولغاتها المتنوعة وأحواله المتعددة " [٢]. ونحن نركز بالدرجة الأولى كنقاد على النص لا على حياة الكاتب .

ثانياً : هناك الكثير من الروايات التي تخلو من الصراع و التنامي الدرامي ، الذي تشترطه الباحثة للرواية، ومع ذلك فهي روايات ناجحة، حققت نجاحاً على المستوى العالمي و الإنساني، إذ لم يعد الصراع يشكل عنصراً بارزاً من عناصر الرواية .

ثالثاً : ليس مطلوباً من الأديب أن يصل إلى نتيجة، أو هدف، فالنتائج و الأهداف و الحلول ليست من مهام الأديب، فالأديب الناجح هو الذي يضع يديه على الجرح دون أن يقدم حلاً للمشكلة التي يطرحها .

فـ " مذكرات امرأة غير واقعية " هي الرواية الرابعة للكاتبة، وهي رواية السيرة الذاتية، حيث تعتمد الرواية على ضمير المتكلم، و التذكر وتيار الوعي، الذي يقدم الأحداث من وجهة نظر الراوي . و يلخص لنا نبيل حداد مشكلة عفاف وأزمتها بالنقاط التالية : " إحساس الشخصية المفرط بالذات ، إحساسها بأنها ضحية تحيز المجتمع لصالح الرجل ، عدم رضاها بواقعها واستعدادها لمواجهته " [٣] ، إذن عفاف تحس بأنها كيان مستقل ، وتعاني من تمييز الرجل على حساب الأنثى ، وترفض الواقع وتواجهه في نفس الوقت ، فعفاف التي تروي أحداث الرواية هي البطلة في نفس الوقت، وهي ابنة المفتش وزوجة التاجر التي تعيش الآن في إحدى الدول النفطية الصحراوية، تعيش مع زوج مقامر وسكير، فهي تعاني من الاغتراب، و البعد عن

---

[١]- المرجع سابق ، ص٧٥ .
[٢]- المرجع سابق ، ص٧٤ .
٤- حداد نبيل ، الرواية في الأردن ، فضاءات ومرتكزات ، وزارة الثقافة ، عمان ، الطبعة الأولى ٢٠٠٢ ،ص ٢٧ .

الأهل و الوطن وعدم حبها لزوجها فهي " صورة مجسمة لمدى الاضطهاد البشع الذي تعيشه المرأة ، ولمدى المعاناة والحرمان الذي تحياه عفاف " [١].

حيث أرادت الكاتبة أن تبرز عجز المرأة في المجتمع الشرقي ،عن أداء دورها الحضاري ، " وأرادت الكاتبة من كل هذا إبراز عجز المرأة اجتماعياً، وقصورها عن أداء دورها الحضاري و المشاركة في البناء خارج نطاق الدور التقليدي للمرأة في البيت، و الولادة ... محاولة الخلاص من وضعها الدوني ، وتخلصها من قهر الزوج ، و الدعوة إلى تحررها ، لكن المعادلة الاجتماعية كما تريدها صعبة، بل صعبة جداً في مجتمع شرقي محافظ ! " [٢].

وتعود عفاف إلى الوطن بشرط سفر زوجها إلى أوروبا، لأنها اشتاقت لأمها وأهلها وبلدها، وفي الطائرة تلتقي بامرأة من ايرلندا، وتتحدث معها عن هموم المرأة ومشاكلها، وفي تلك اللحظة تشعر عفاف بأنها إنسانة لها قيمتها ومشاعرها . " لم أنس بعد كلمات الايرلندية . خاطبتني طوال ساعتين وأحست معها أني إنسان و أن الإنسان حياة وأن الحياة لا تكون صدفة . وقالت : " قراءات موجه" [٣]. فالايرلندية عاملت عفاف كإنسان ، ودعتها إلى القراءة ؛ لأن القراءة تنمي شخصية الإنسان .

وترجع عفاف إلى الماضي عن طريق التذكر، حيث كانت تعيش في نابلس، و تتذكر أيام طفولتها عندما كانت تتجول مع أبيها، الذي كان يحب سماع أغنيات عبد الوهاب.

وفي بيت زوجها، في بلاد النفط البعيدة، كانت تشعر بالاغتراب و الوحشة و الحنين إلى الوطن والأهل، فهي تعاني من مشكلة مزدوجة : الغربة و البعد عن الأهل و الوطن، فهي تحس بأنها محاصرة بين سجن صحراوي وبين وطن محتل ، فذلك يقيد حريتها وأحلامها،" هناك بعيداً وراء المسافات الصحراوية وحدود الغربة، ونهر وجسر واحتلال وجنود ويهود "[٤] . وهي وحيدة تعيش بلا هدف وخصوصاً بعد أن

---

[١]- أبو نضال نزيه ، تمرد الأنثى ، مرجع سابق ، ص ، ٦٥ .
[٢]- شهاب أسامة ، القصة النسوية المعاصرة في الأردن وفلسطين ، مرجع سابق ، ص ٣٣٢ + ٣٣٣ .
[٣] - خليفة سحر، مذكرات امرأة غير واقعية ، ص ، ٨٥ .
[٤] - الرواية ، ص ، ١٥ .

أصبحت عقيماً ، " وأظل هنا خلف الزجاج والصحراء وسعف النخلة "[١] . تشعر بالوحدة حتى مع المعارف والأصدقاء ، لأنها تعاني من غربة نفسية فلا تشعر بهم ، " أكون وحيدة أكثر حين أكون مع الآخرين . الأهل و الأقارب و المعارف و الزوج .الأخير يسبب لي أقسى أنواع الوحدة . فحين أكون معه أحس بروحي ترفرف بأجنحتها كطائر حبيس، وأحس بوجوده قضبان سجن"[٢] .

ومما يزيد من وحشة المكان تسلط الزوج المقامر السكير المرتاب من تصرفاتها، ذلك الزوج المتسلط الذي تربى تربية شرقية ، أعطته الحق في ضرب أخواته البنات ، لأنه ولد والولد يحق له ما لا يحق لغيرة ، " كان قد نشأ على الدلع و الدلال لأنه ذكر بين طابور إناث "[٣] ." وكانت رفسة شلوت مميزة يمارسها مع أخواته الصغيرات . وكان يباهى وهو يستعيد تلك الذكريات ويتعمد ذكرها أمامي ليثبت لي أنه كان حمشاً منذ الطفولة "[٤] . لقد أرغمت عفاف على الزواج منه لأن الأهل وجدوا عندها رسالة غرامية، عندما كانت في سن المراهقة . "اكتشفوا رسالة بين يّدي – رسالة غرام – وقاحة . خلال شهرين كانت الدنيا قد انقلبت عاليها سافلاً. حبست في الدار، قدمت امتحان التوجيهي كدراسة خاصة، بالكاد نجحت، لم يبق لدي أيّ مبرر لرفض الزواج من رجل يملك مال قارون ووسامة كمال الشناوي. تزوجت، تعذبت، حملت، فقدت سرّ استمراري في بيئة تعتبر النسل أهم مبرر من مبررات وجود المرأة "[٥] .

ولا تستطيع عفاف الطلاق ، لأنها لا تملك عملا ، ومصيرها أن تصبح خادمة في بيوت الأخوة الذين سلبوا منها ميراث أبيها ، كانت تفكر في الطلاق . " وأنت يا عفاف إذا تطلقت أين تعيشين ؟ تحت أرجل نسوان الأخوة؟ "[٦] . تقاسم الأخوة ميراث

---

[١] - الرواية ، ص ، ١٥ .
[٢] - الرواية، ص ، ١٧+١٨ .
[٣] - الرواية ، ص ، ٤٨ .
[٤]- خليفة سحر ، مذكرات امرأة غير واقعية ، مصدر سابق ، ص ، ٤٨ .
[٥] - الرواية ،ص ، ٣٩+٤٠ .
[٦] - الرواية، ص ، ٦٦ .

الأب وأخذوا نصيبها . " ولم يبقوا لنا نحن البنات من الميراث إلا اسم العيلة ووجاهة الأصل الطيب "[١] .

وعندما عادت عفاف إلى الضفة، قضت بعض الوقت في مدينة عمان، وهناك التقت بصديقتها القديمة نوال، نوال التي تحاول مساعدتها في إيجاد حل لمعاناتها ، فتطلب منها أن تعمل كحل لمشكلتها. " - أبدأ من جديد ؟ من أين ؟ كيف ؟ لا أملك مالاً لا أجيد عملاً ، ولا حرفة . لا أعرف شيئاً . لا أعرف الدنيا . لا أعرف الناس . كيف أبدأ ؟ ثم أنني كبرت يا نوال . ما عدت أحتمل الهزات وأخاف التعب وأخاف المرض؛ أخاف الدنيا ، أنا خائفة "[٢] .

"وبعد أخذ ورد وهذا وذاك وكل أولئك وجدت أن أسهل الحلول وأبسطها أن أبقى حيث أنا فهناك على الأقل لدي مهنة، مهنة تستوعب كل طاقاتي، فأنا أطبخ وأغسل وأنشر وأمسح وأجلي وأتحمل البهدلة حين يثقل الوسكي على الزوج فعلاً"[٣] .

وفي عمان التقت بحبيبها القديم ، الذي يفضل الأسرة على الحب . " وقلت له إني متزوجة وأني غير سعيدة، وقال أنه متزوج وغير سعيد "[٤]. " وناداني باسمي كما كان يفعل أيام زمان، فأحسست أني أعود إلى ذاتي الشفافة الأولى فبدأت أئن بصمت "[٥] . " وهو، صديقي الصغير ذو الصوت الخجول و النظرة الحزينة و القصاصات العاطفية التي تسببت فيما ألت إليه .لكنه برئ من التهمة ، وأنا بريئة، ولهذا تكاشفنا دون إحساس بالذنب "[٦] .

وهي تنتقد المؤسسة الزوجية التي تقيد حرية المرأة وتجعلها تابعة للرجل . يعيش الرجل بدون حب حتى يحافظ على العائلة ." - فعلاً، من أجل الحفاظ على الزوج و العائلة "[٧] . " قلت : الزواج الحالي خدعة و العائلة حلقة تمتص الذات.و الرجل الذي لا يحب زوجته ويبقي عليها يجرم فيها "[٨] .

---

[١] - الرواية، ص ، ٦٦ .
[٢] - الرواية ، ص ، ٩٢ .
[٣] -- الرواية ، ص ، ٩٥ .
[٤] - الرواية ، ص ، ١٠١ .
[٥] - الرواية، ص ، ١٠٢ .
[٦] - الرواية، ص ، ١٠٢ .
[٧] - خليفة سحر ، مذكرات امرأة غير واقعية ، مصدر سابق ا، ص ، ١١٣ .
[٨] - الرواية، ص ، ١١٤ .

فالمذكرات صرخة في وجه المجتمع الذي يجعل من المرأة وسيلة للرجل، وتابعة له، في مجتمع يعتبر بول الذكر نوعاً من الكولونيا، مجتمع يسلب أبسط حقوق المرأة، و لا يحترم مشاعرها، ويسلب ميراثها من أبيها . الولد يبول كالونيا " وهللت القابلة : كولونيا يا بنات الكولونيا . وفتحنا أكفنا الصغيرة نتلقى الكولونيا ونمسح بها الروؤس و الجباه و العيون حتى دمعت"[١] .

لقد نشأت الطفلة عفاف وهي تشعر بالغيرة من أخيها الذكر، وبالظلم حين تميز الأسرة بينها وبين الولد بشكل حاد، الأسرة التي تفرض عليها كبت مشاعرها وأحاسيسها ، وإلا اتهمت بالوقاحة، الأسرة التي تريد الخلاص منها عن طريق تزويجها.

وكانت عفاف تحب الحيوانات، لأنها رأتها أفضل من البشر الذين يعاملونها بهذه القسوة، كانت تحب قطتها عنبر، تحب الحيوانات " يا قطتي يا قصتي، إني أسميك عنبر "[٢] . و تعكس حالتها النفسية على القطة ، " ولهذا كنت أعي عمليات الإسقاط التي أقوم بها من خلال قطتي وكنت أكتشف اكتشافات مذهلة حول عالم الإنسان والحيوان معاً من خلال قطتي وأنا "[٣]. وتسقط عليها أحاسيسها ومشاعرها الجنسية، فعفاف تعاني من الحرمان الجنسي و العاطفي، بالرغم من كونها امرأة متزوجة . حيث " تلجأ إلى موازاة رمزية بين وضع المرأة ووضع القطة ، حتى تبين الحيف الواقع على الأنثى ، وهي تستحضر لذلك مشهد قط يداعب قطة ، فإذا فرغ منها ذهب خفيفاً نظيفاً إلى قمامة السفارة الدسمة ، أما القطة فيتساقط شعرها الجميل ويتدلى بطنها المشدود بصغار يستلون الحياة من جسمها "[٤] ، فكأنها تحمل الرجل مسؤولية كونها أنثى ، لذلك لم تكن تحب زوجها فقدت الإحساس بالجنس ،" وبما أني ما أحببته فقد أضعت الإحساس بالجنس، وبما أن من أحببته ضاع، فقد أضعت الحب أيضاً، وبقيت بلا حب وبلا جنس "[٥] .

---

[١] - الرواية، ص ، ٢٠ .
[٢] - الرواية ، ص ، ١١ .
[٣] - الرواية ، ص ، ٣٥ .
[٤]- حداد نبيل ، الرواية في الأردن ، فضاءات ومرتكزات ، مرجع سابق ، ص ، ٣٠ .
[٥] - خليفة سحر ، مذكرات امرأة غير واقعية ، مصدر سابق ، ص ، ٢٩ .

ورمزت إلى العملية الجنسية والحرمان الجنسي بالتفاحة المسلوخة. فأصبحت سادية المشاعر، " ولكني لم أتوقع أن تقودني خيالاتي ويقودني إحباطي إلى هذا النوع من الجنون و السادية . السادية ! صحيح أني لم أقم بكل ذاك ، لم أخنه على طريقة عنبر ، لم أشق بطنه كما أشق بطن السمكة ، ولم أذبح " . إن البطلة " تعاني من حالة عصاب ظاهر بحكم مكونها التاريخي / الاجتماعي والبيولوجي أيضا"[١] . فالحرمان العاطفي والجنسي ، كون عندها هذه الحالة العصابية السادية ، مما جعلها تسقط مشاعرها على ما حولها ، فأصبحت معادلا موضوعيا لها .

" إذا كانت القطة كائناً حياً يتحرك ويحس ويعبر عن غريزته الجنسية، ويمارسها بحرية، فإن التفاحة تجئ كشخصية معنوية يعبر بها في الرواية عن العلاقة الجنسية ذاتها . و التفاحة تظهر في بداية المذكرات تفاحة عادية، رغم أنها غير شكل لكن المذكرات تذهب بها، في ما بعد إلى إسقاطات تعبر عن علاقات الجسد بصورة واضحة "[٢] .

وبذلك كانت عفاف ، صورة لزوجة مقموعة ، تعاني من التسلط والحرمان ، لأنها رفضت الرضوخ والقبول بالواقع ، واقع المرأة المستلبة التابعة للزوج ، المرأة التقليدية التي لا تعرف سوى الطبخ والغسيل ، وتربية الأولاد .

٢ـ سكينة في رواية صورة وأيقونة وعهد قديم :

هي نموذج للمرأة التقليدية، التي تعاني من ظلم مزدوج، ظلم الرجل الذي يتمثل في ظلم الزوج، وظلم المرأة الذي يتمثل في ظلم أم الزوج، ومع ذلك تبقى سكينة راضخة قابلة للظلم و الألم ، بالرغم من كل ما تتعرض له من ألم وظلم وعدوان، لذلك فهي لا تفعل شيئاً يدفع عنها الذل المهانة، فنجدها سلبية خاضعة للرجل، فهي في قرارة نفسها ترى أن هذا هو الوضع الطبيعي، وأن من حق الرجل أن يمارس عليها هذا الظلم، وتأتي هذه الشخصية في سياق جديد وهو سياق ما بعد أوسلو، فبالرغم من كل التقدم و التطور و التغير في الأفكار إلا أن الفلاحة ما زالت على وضعها، فهي ترعى الغنم و البقر، و تقطف الزيتون وتشارك في أعمال الحقل، وهي المسؤولة عن الأسرة

---

[١] ـ أبو نضال نزيه ، تمرد الأنثى ، مرجع سابق ، ص ، ٦٧ .
[٢]ـ نسرين الشنابلة ، روايات سحر خليفة ، مرجع سابق ، ص١٠٨.

وعن الأولاد، وإذا حدث أي خطأ فهي التي تعاقب كما حدث مع سكينة عندما قام ابنها توفيق بتشغيل الباص .

فسكينة امرأة فلاحة لها مشكلتها الخاصة وهي مشكلة نساء القرية.حيث تقوم بأعمال البيت وتتعرض للضرب والمهانة دون اعتراض من المجتمع ، فكأن ضرب المرأة أمر طبيعي وحق للرجل ولا يجوز لأحد أن يتدخل به ، " ففي البدء سمعت الحوار العجيب بين الحماة وكنتها . الأولى تصيح : ليش تخليه يسوق الباص ؟ و الثانية تصيح برعب وجزع، و الله ما خليته، هو اللي هرب ! وتشد بشعر ولد صغير في سن ابنها وتهز رأسه لتسحب اعترافه بالقوة و له يا سعيد، أنا خليته ؟ أنا كنت معه ؟ أنا خليته ؟ "[١] .

فبالرغم من أن سكينة مظلومة وعاجزة عن الدفاع عن نفسها ، فليس هناك من يرد الأذى عنها ،" هربت من الجو ومن عقلي وخرجت إلى السطح لأتنفس فسمعت صياحاً لامرأة تصرخ في الليل منشان الله ! و قشعر بدني من ذاك الصوت لأنه مصحوب بلطم وعويل وعواء بعيد لكلب ضال ينعق كالبوم . فاتجه عقلي إلى سكينة وزوج سكينة وابنها توفيق "[٢] . " - سكينة مظلومة وأنا شاهد ،سكينة كانت في المطبخ "[٣] .

فتحرير المرأة يجب أن تساهم به المرأة ، والمرأة يجب أن تحرر المرأة لا أن تكون عنصرا جديداً في الظلم والعدوان عليها ،"- و الله العظيم ما كنت هناك ولا شفته هناك . يلعن أبوها من عيشة لا أنا خالصة من هم أمه ولا من همه. وزيادة كمان هم الأولاد وبقر وماعز وجبنة وصابون وخبز الطابون و جد الزيتون ونقل المية وزبل الدواب على ها الراس . ولما يرجع تقول سكينة . سكينة عملت وسكينة سوت وسكينة تتمختر ع طريق العين ودايرة تسولف عند الجيران وتظل تقول سكينة سكينة لحد ما يقوم يمسك شعري وينزل علي بزنار الجلد . ويرفسني هون ويرفسني هون لحد ما أموت . شايف راسي ؟ شايف ايدي ؟ شايف عيني ؟ ولادي يصيحوا منشان الله ، ساعة

---

[١] - خليفة سحر ، صورة وأيقونة وعهد قديم ، مصدر سابق ، ص ، ١٢٧ .
[٢] - الرواية، ص ، ١٣٨ .
[٣] - الرواية، ص ، ١٤٠ .

يشدوه وساعة يصيحوا وأمه الكرنيبة ما تتزحزح . و الله العظيم لأقتلها وأقتل حالي . أعطيني سم . أعطيني دوا . أبوس ايدك تخلصني "[١] .

وفي الحفل الذي تحضره سكينة مع زوجها نجد هناك تناقضا في موقف الرجل الشرقي الذي يسمح لنفسه ما لا يسمح به لزوجته ، فهو يشرب ، وينظر إلى الأجنبيات ، ولا يسمح لزوجته بذلك ، " لكن سكينة المبهورة لم تتجاوب وظلت تنظر وهي تغطي فمها المشدوه بطرف اليانس "[٢] . " فهجم أبو يوسف على سكينة وهو يصيح ، تعالي لهون ، ياالله تعالي فبهت محمود ووقف مكانه وحملق عينيه الحمراوين وهو يرى رجلاً آخر يقترب منه ، ومن مملكته ، ويتعدى على حرمة بيته بدون مبرر"[٣] . و" انبثق محمود من بين الناس وشد سكينة ليش تخليه ؟! صاحت بجزع ما خليته ! و الله العظيم ما خليته ، هو اللي هرب . رفع يديه وكور قبضتيه ودمدم من بين أسنانه و الله النسوان ... "[٤] .

ومع كل الأذى والظلم تبقى سكينة وفية لزوجها ، وتبكي عليه بكاء مراً عند استشهاده ، " صاحت سكينة يا قشلي وهرعت إليه كالمجنونة وصارت فوقه ، وله يا محمود يا أبو عيالي يا الله تحرك . قال : سكينة ثم استلقى من غير حراك "[٥] . و" شخر محمود شخرة أخيرة وهي تلطم . وحين حملوه على نقالة ورأت جرحه مثل مغارة نسيت توفيق وصارت تلطم ، و له يا محمود يا أبو عيالي كيف تتركني ؟ قوم يا ابن الناس وما ترملني قوم يا ابن الناس "[٦] .

فالزوج بالنسبة لها هو الحامي ، والمحرك الاقتصادي في العائلة الذي يحضر الطعام والشراب واللباس "التفتت إليه كالمجنونة لأجل فلسطين ! ليش فلسطين رحت ترحمني ؟ مين يطعمني ؟ مين يسقيني ؟ مين يستر عرضي ويحميني ؟ وله يا محمود يا تاج رأسي"[٧] . وبذلك نجد أن الكاتبة قد قدمت صوراً مختلفة للمرأة الزوجة ، وفي

---

[١] - الرواية ، ص ، ١٤٦ .
[٢] - الرواية ، ص ، ٢٣٦+٢٣٧ .
[٣]- الرواية، ص ، ٢٣٧ .
[٤] - خليفة سحر ، صورة وأيقونة وعهد قديم ، مصدر سابق ، ص ، ٢٥٥ .
[٥]- الرواية، ص، ٢٥٨ .
[٦] - الرواية، ص، ٢٥٩ .
[٧] - الرواية، ص ، ٢٥٩ .

سياقات مختلفة ، عكست فيها وضع المرأة التي تعاني من الأذى والظلم دون أن يشعر بها أحد .

سابعاً : المرأة الرمز :

لقد ظهرت الرمزية أول ما ظهرت في أحضان الشعر، " فهذا المذهب أو هذا المصطلح الفني اهتم في الأصل و النشأة بفن الشعر، وبنى أفكاره ووسائله وأهدافه من خلاله، ذلك لأنه نوع أدبي له خصائص مميزة، يتواءم مع موقف الرمزيين فلسفياً وجمالياً وفنياً ولغوياً " [١]. لقد اختلف النقاد في تعريف الرمز و الرمزية، بسبب تباين أراء الشعراء الرمزيين أنفسهم، حول العناصر الأساسية التي تقوم عليها هذه المدرسة " تشير الرمزية إلى الحركة الشعرية التي ظهرت في فرنسا بين عام ١٨٨٠وعام ١٩٠٠ على وجه التقريب . وقد جاءت ثورة على البرناسية التي أخضعت الأدب للحقائق العلمية الواضحة " [٢] .

فالرمز أداة / تقنية ، يستخدمه كل الأدباء والشعراء منذ امرئ القيس إلى يومنا ، ومن أهم تعريفات الرمز أنه "يشير إلى أكثر من معنى أو فكرة أو عاطفة، ويصبح تعبيراً عما لا يمكن التعبير عنه . فيكشف وهو يحجب، ويحجب وهو يكشف، أي أنه يوحي بالشيء دون أن يوضحه فهو غامض في جوهره "[٣] . إذن فالرمز تعبير عما لا يمكن التعبير عنه، وهو يعتمد بالدرجة الأولى على الإيحاء دون أن يوضح أو يبين، فهو غامض في جوهره وغير مباشر. والرمز " يوحي بمثال للعقل بطريقة غير مباشرة . ويخاطب الحواس بوساطة التصوير المادي" [٤]. فالرمز يعتمد على الإيحاء للعقل بطريقة غير مباشرة، ويخاطب الحواس عن طريق تقديم الصور المادية التي يمكن إدراكها بالحواس، وهو يحمل معنى ذاتياً ويقدم معنى غير محدود في الوقت نفسه ؛ ولأنه إيحائي بجوهره " يسعى إلى نقل تأثيرها في النفس بعد أن يلتقطها الحس . كما أنه يهتم بالتعبير عن الأجواء المبهمة التي تتسرب إلى أعماق الذات ... ولما كانت اللغة العادية، التي لا تتعدى الشيء المحسوس عاجزة عن نقل الحالات النفسية

---

[١]- السعافين إبراهيم ، تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام ، ١٨٧٠- ١٩٦٧ ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص٥٠٦ .
[٢]- حمدان حمدان أمية ، الرمزية و الرومانتيكية في الشعر اللبناني ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨١، ص ٢٣.
[٣]- حمدان حمدان أمية ، الرمزية و الرومانتيكية في الشعر اللبناني ، مرجع سابق ، ص٢٦.
[٤]- المرجع السابق ، ص٢٧ .

المبهمة، لجأ الشاعر إلى الرمز لما فيه من قدرة خارقة على ولوج عالم اللاوعي، واعتمد الموسيقى بما فيها من طاقات إيحائية غامضة، غير محدودة تساعد على خرق الستار المبهم الذي يلف الذات، ونقل الأجواء النفسية بطريقة مؤثرة بحيث إن اللفظة تصبح الفكرة ذاتها وليس صورة لها " [١] .

فـ " استخدام الرمز قديم كأداة فنية لإثراء العمل الأدبي ، وعلى قدر ذكاء الأديب في إيجاد العلاقة التي تربط الرمز بموضعه من التجربة يكون نجاحه . وقد استخدمت الرواية الرمز أحيانا متشحة بجماله الفني وعمقه في التعبير عن المعنى – لتعبر عن فكرة أبعد مما توحي به الحكاية في الرواية "[٢] .

فالرمز يؤثر بالحس والوجدان ويهتم بالتعبير عن المبهم في أعماق الذات ، ويعتمد على اللغة الإيحائية ، لأن اللغة العادية عاجزة عن الولوج إلى عالم اللاوعي وخرق ستار الحجب ، فاستخدام الكتاب المرأة رمزاً يعود إلى إيحاءاتها الكثيرة والثرية ،" ومما يؤكد هذه الحقيقة – حقيقة صلاحية المرأة لتكون رمزاً للبيئة التي تعيش فيها – أن شخصية الفتاة في أسرة معينة أدل – من الفتى – على نوع الرعاية و التربية التي تلقاها في هذه الأسرة . كذلك نجد المرأة في بيئة اجتماعية معينة تستقطب بحساسيتها الشديدة وحركتها المتأنية واتزانها العاطفي مثل البيئة وتقاليدها بجميع عناصرها استقطاباً يبلغ حد الثبات و التكرار ، فإذا قلنا : الفلاحة أو بنت البلد أو الخاطبة أو العالمة على سبيل المثال فمن السهولة بمكان أن نستجمع في الذهن صفاتها – لا كفرد – وإنها كنموذج يتسم بسمات عامة لا نكاد تفردها خصوصيات تذكر " [٣] .

فالمرأة الفلسطينية تعد " رمزاً للخصوبة ، ومنبعاً لوقود الثورة في المخيمات . وهي بعبارة أخرى رحم وبوتقة للفدائيين الذين يشتغلون بالنضال اليومي الفلسطيني ".[٤]فهناك ارتباط بين لفظتي المرأة والأرض ، " فمن منطلق ملاحظة اتحاد دلالتي

---

[١]- المرجع السابق ، ص٢٨ .
[٢] - وادي طه ، صورة المرأة في الرواية المعاصرة ، مرجع سابق ، ص ، ١١٢ .
[٣]- المرجع سابق ، ص ،٥٩ .
[٤] - حسن فتح الباب منار ، الخطاب الروائي عند غسان كنفاني ، دراسة أسلوبية ،**كتابات نقدية** (١٣٧ " الطبعة الأولى أغسطس ٢٠٠٣ ، مدينة ٦ أكتوبر ، ص ، ٥٣ .

المرأة والأم بدلالة الأرض لدى الكاتب الفلسطيني وهو اتحاد قديم الأزل في التراث الحضاري والأدبي الرافدي والأوغاريتي والمصري القديم ".[١]

لقد " كان الروائيون واعين لارتباط حركة المرأة بالمجتمع من ناحية، ومن أخرى دلالة المرأة كرمز ثري موح للتعبير عن وطن " [٢] . و " استخدم الروائيون الرواد صورة المرأة أداة فنية للتعبير عن الأزمات التي يتعرض لها البشر نتيجة سوء توزيع الثروة الاقتصادية ، ذلك أن المجتمع كما قيل عنه ، النصف في المائة الذين تتمركز في أيديهم مصادر الثروة ومراكز السلطة "[٣].

و بهذا المفهوم لـ " الرمزية الموضوعية التي تقترب من الواقع وتعالجه ، بقصد بنائه وتغييره نحو الأفضل ، تعامل الروائيون الفلسطينيون مع المذهب الرمزي ، ليس إحساساً منهم بعدم قدرة اللغة على التعبير عما في نفوسهم ، أو هرباً من الواقع إلى عالم غيبي مليء بالأوهام و الأحلام، ولكن لأنهم عالجوا موضوعات واقعية حساسة، لم يكن بإمكانهم التعبير عنها بوضوح ومباشر، إما لأن هذه الموضوعات تتعرض للعقائد الدينية، أو لأنها تتناول أوضاعاً سياسة قائمة، لا يمكنهم معالجتها بوضوح دون التعرض للاضطهاد و الأذى، وأحياناً كانت وطأة الموضوع ثقيلة على النفس الإنسانية، مما جعل اللجوء إلى الرمز أقوى في التعبير عما في مكنونات هذه النفس من آلام وأحزان مصدرها قتامة هذا الواقع وتعاسته " [٤].

إذن لجأ الروائيون الفلسطينيون - ومنهم سحر خليفة إلى الرمز لعدة أسباب - أهمها :

أولاً : لأنهم عالجوا موضوعات واقعية حساسة، لم يكن بإمكانهم التعبير عنها بوضوح ، فمثلاً لم تستطع سحر خليفة التعبير عن القضية الجنسية للمرأة بشكل مباشر ، في رواية مذكرات امرأة غير واقعية، فاستخدمت التفاحة و القطة رمزاً للتعبير عن هذه القضية .

---

[١] - المرجع سابق ، ص ، ٥١ .
[٢] - وادي طه ، صورة المرأة في الرواية المعاصرة ، مرجع سابق ، ص ، ٦١.
[٣] - المرجع سابق ، ص ، ٩٩ .
[٤] - أبو مطر أحمد عطية ، الرواية في الأدب الفلسطيني ، ١٩٥٠- ١٩٧٥ ، دار الرشيد ، بغداد ، د ،رقم طبعة ، ١٩٨٠، ص ٣٣٤ .

ثانياً : لأنها تناولت أوضاعاً سياسية قائمة لا يمكن معالجتها بوضوح دون التعرض للاضطهاد و الأذى، ويظهر ذلك في رواية الميراث، حيث استخدمت الميراث رمزاً، واستخدمت الحمل الذي حملته فتنة في مستشفى هداسا رمزاً إلى اتفاقية أوسلو .
واستخدمت الرمز أيضاً من خلال شخصية مريم في رواية " صورة وأيقونة وعهد قديم "، حيث رمزت إلى تهويد الأرض العربية وتشويه معالمها بمريم الفلسطينية .
وكذلك استخدمت الرمز في رواية ربيع حار ، حيث رمزت بشخصية ميرا الفتاة اليهودية بعدم المقدرة على التعايش السلمي بين العرب و اليهود، وأحياناً تكون وطأة الموضوع ثقيلة مما يجعل اللجوء إلى الرمز أقوى في التعبير عن مكنونات النفس الإنسانية .

ولم يكن استخدام الرمز في روايات سحر خليفة بشكل كبير، وإنما جاء بشكل فرعي للتعبير عن بعض القضايا الحساسة، وساعدت الرموز على تطوير رؤية الرواية وربطها بالقضية المعبر عنها .

وقدمت الكاتبة سحر خليفة شخصيات مميزة على المستوى الرمزي في رواياتها المختلفة، ومن أهم هذه الشخصيات : شخصية فتنة في رواية الميراث ، وشخصية مريم في رواية صورة وأيقونة وعهد قديم ، وشخصية ميرا الفتاة اليهودية في رواية ربيع حار، وسنتحدث عن هذه الشخصيات بالتفصيل .

١ـ فتنة في رواية الميراث :

جاءت شخصية فتنة في رواية الميراث ، التي تعد نقداً لاتفاقية أوسلو حيث تعكس هذه الرواية حالة التمزق وخيبة الأمل بعد حرب الخليج الثانية ، فجاءت الشخصيات فيها محبطة ومهزومة ومنفعلة بالأجواء الاستهلاكية والمشاريع الوهمية الزائفة ، فـ " تبدو الشخصيات منفعلة بالأجواء السائدة حيث القيم الاستهلاكية مستشرية والمشاريع الوهمية والأحلام المنكسرة ".[١] فكانت الشخصيات في الرواية ضحايا لهذه المرحلة التاريخية الحرجة ، فهناك انهيار سياسي واقتصادي واجتماعي ، مما دفع الكاتبة إلى استخدام الرمز في شخصية

[١]- الماضي شكري ، الرواية العربية في فلسطين والأردن ، مرجع سابق ، ص ، ٨٧ .

فتنة ، فكانت رمزاً لاتفاقية أوسلو التي وقعت بين العرب واليهود فهذه المرأة من اسمها الذي يدل على أحداث فتنه بين العرب والفلسطينيين ، وبين الفلسطينيين أنفسهم . تحمل حملا " بندوقا " غير شرعي من عند اليهود في مستشفى هداسا ، من أجل أن تحجب الميراث عن العائلة وخصوصا إذا كان المولود ذكرا ،وهي من الشخصيات شديدة الثراء والغنى الدلالي فتنة ، زوجة محمد حمدان التي دفعها الحرص على إرث زوجها إلى تزوير حكاية الجنين الصناعي ، مدعية أنه من صلب أل حمدان "[١]. وهي كما قلنا رمز لاتفاقية أوسلو التي كانت اتفاقا غير مشروع زاد من معاناة الفلسطينيين ، فكانت التفافاً ، فالحواجز ما تزال قائمة ، والمستعمرات منتشرة كالبثور فوق الهضاب ، " قالوا أوسلو قلنا آمين ؟ فلماذا إذن ما زالوا هناك فوق الهضبة في أعلى التل وحول السهل ومزرعته ويزحفون على الوادي وقرى الجيران ؟ أهذا هو الحل ؟ "[٢] .

حيث " ترى سحر في أوسلو جنينا بندوقاً أمه عربية ووالده إسرائيلي، وتقول إن روايتها الأخيرة تتابع تناول خيبة الأمل والاعتراف بالهزيمة، وأن شخصياتها تفضح الواقع الفلسطيني المصاب بالعقم وتعريه، ومن هنا كان اللجوء إلى الاستعانة بـ "هداسا" الإسرائيلي من اجل إخصاب المرأة لتلد المولود الهجين ابن أوسلو. وكما أشرت في دراستي للميراث، فإن سحر التي تنتقد القيادة الفلسطينية و أوسلو تكتفي بهذا دون أن تقترح البديل "كذا ". وتبدو المفارقة في حضور صوت سحر النقدي هذا، في أكثر رواياتها، فلم تخل منه "باب الساحة"، وفي هذه نرى الانتفاضة في مأزق ، حتى لتصبح عبئا على الفلسطينيين أكثر مما هي في صالحهم، ولا يقرأ المرء اقتراحا لحل ممكن. ويتساءل المرء، وهو يقرأ سحر خليفة، إن كان نقدها نتاجاً مبنياً عقلياً لا يعرف سوى النقد أم أنه عائد إلى حيرة الفلسطينيين وارتباكهم وعجزهم عن إنجاز حل يرضون عنه؟" [٣].

---

[١] - أبو نضال نزيه ، تمرد الأنثى ، مرجع سابق ، ص ، ٥٩ .
[٢] - خليفة سحر ، الميراث ، مصدر سابق ، ص ، ٢٤٠ .
[٣] - http://www.ibn-rushd.org/forum/Hakam-Sahar.htm ، عادل الأسطة ، ٩ / ١١ / ٢٠٠٥ .

فالكاتب عادل الأسطة يرى أن شخصية فتنة تمثل رمزاً لاتفاقية أوسلو ، ويطلب من الكاتبة أن تقدم حلولاً ، بدلاً من أن توجه النقد ، ومن المعروف أن الكاتب الأدبي يطرح القضية ، وليس مطالباً بتقديم الحلول .

فكانت هذه المرأة خليطاً عجيباً غير متناسق وغير منتظم ، حيث لم ترضِ هذه الاتفاقية طموح الفلسطينيين ، ولم تقدم لهم حلولاً ترضي طموحاتهم ، فكانت التفافاً على كل الاتفاقيات السابقة ، "مرته الجديدة ! ونظرت إليها بتمعن . كانت في سني أو أصغر قليلاً ، شقراء وبيضاء ومزوقة جداً . تصطبغ بشكل غريب ".[١]

فاتفاقية أوسلو مزوقة ومرسومة بشكل جيد ، ولكنها لا تفي باحتياجات الفلسطينيين ،والواقع الفلسطيني فالحواجز ما زالت قائمة ، والمستوطنات قابعة في مكانها ، والشعب الفلسطيني يعاني من شح المياه ، " وكانت ألوانها منسجمة وملابسها ، توحي بالذوق وبعض الرقي، ولا بد أن وسطها الاجتماعي لا بأس به، لكنها بدون ثقافة وبعقل يكاد يبلغ حد الغباء "[٢]. فالحمل لم يكن حملاً عربياً خالصاً بل جاء بمساعدة اليهود من "هداسا "، فهو حمل غير شرعي ، قد فرض على الأرض الفلسطينية من الخارج " ثم جاءت فتنة وأعلنت الخبر الزلزال . قالت لنا أنها : حامل وأن الدكتور في هداسا قد بشرها بمولود جديد "[٣].

فالحل لم يكن حلاً عربياً بل فرض عليهم من الخارج، ففتنة لم تحمل من زوجها الأول ، ولا من زوجها الثاني ، فكانت الحلول العربية السابقة عقيمة، لم تساعد الناس في الداخل ، " يا لطيف ! معقول أنا حبلى زي كل الناس ؟ طول عمري بتمنى الأطفال . طول عمري أحلم ،اتمنى أني أحبل . من جوزي الأول ما حبلتش ، من جوزي الثاني ما حبلتش ، أقوم أحبل من هداسا ! سبحان الله ! "[٤] .

وعندما أعلن هذا الحل كان مفاجأة للجماهير العربية التي أحست بخيبة الأمل ، " تلوت فتنة ثانية وأحست بالخوف لأن اللحظة قد اقتربت وبات عليها مواجهة الموقف –

---

[١] - خليفة سحر، الميراث ، مصدر سابق ، ص ، ٥٤ .
[٢] - الرواية ، ص ، ٥٥ .
[٣] - خليفة سحر، الميراث ، مصدر سابق ، ص ، ٧٢ .
[٤] - الرواية ، ص ، ٩١ .

ربما لأول مرة منذ التلقيح – بشكل عميق وبدون مواربات أو التفافات أو فتاوى سطحية تفرضها الظروف والتحديات . منها هي تقف بين يدي الأم ، الأم المثال "[١] .

فكانت هذه الاتفاقية نتيجة عوامل سياسية واجتماعية واقتصادية خارجة عن إرادة الإنسان الفلسطيني ، الذي اضطر إلى قبول هذا الحل فجاء حلاً ملفقاً ،" وما فعلته أقبح وجهاً ، بل أقبح ما يمكن أن يفعل ، حبل صناعي في هداسا ؟ أي تزييف ؟ أية أخلاق ؟ أهذه أخلاق الشايب و الشياب ؟ غضت أميرة النظر ولفلفت الموضوع عساه يذوب في النسيان ، وعساه يموت، لكنه حي يرزق ، في بطن ابنتها السخيفة ، ما أسخفها، ما أدلعها ، ما اغباها ! لكنها ابنتها هي بنت الشايب ، وذاك المولود الصناعي من ظهر اليهود سيكون حفيداً لآل الشايب أمام الشرع وأمام الناس و القانون ، فهو وإن كان يحمل اسماً غير الشايب ، سيصبح منهم ، سيصبح منها وحفيداً لها . وهذا الحفيد هو ابن الجو، فلولا هداسا ما حبلت فتنة من ظهر يهود "[٢] .

وهناك رمز آخر في الرواية ، هو رمز الحفل الفني الذي أقيم في القلعة التاريخية ،" وتنحو الرواية في الجزء الثالث وعنوانه ثم التركة نحو الرمز . فالميراث لم يعد تركة محمد الحمدان وإنما أكبر وأشمل وأقدم . إنه الإرث التاريخي الطويل بتشابكاته و عاداته وقيمه وأحداثه وتفاعلاته المتنوعة . لهذا تبدو الحفلة الفنية الثقافية في الجزء الثالث رمزاً . فمازن الحمدان جيفارا المناضل القديم الذي عاش في بيروت وعمان وتونس وموسكو يرى طريق الخلاص في ترميم القلعة التاريخية القديمة وتحويلها إلى مركز ثقافي فني وتشاركه زينة في هذا . وعلى الرغم من الاستعدادات الكبيرة والتضحيات الجسيمة في إعداد القلعة الثقافية فإنهم لم يحسبوا حساباً إلى حاجتهم إلى رجال أمن لتنظيم الحفل وحماية المسؤولين الكبار الذين توافدوا من أكثر من جهة !! ولهذا تدب الفوضى ويبدأ العراك وإطلاق الرصاص ويفشل الحفل فشلاً ذريعاً ".[٣] فالاتفاقية كانت ناقصة وبحاجة إلى رجال الأمن من أجل الاستقرار والأمان للمواطن .

---

[١] - الرواية ، ص ، ٨٩ .
[٢] - الرواية ، ص ، ١٨٨ .
[٣] - الماضي شكري ، الرواية والعربية في فلسطين والأردن ، مرجع سابق ، ص ، ٨٨ .

وفي الاحتفال تتعرض فتنة للسقوط وتبدأ تنزف ، وتنتهي بالموت ؛ لأن الاتفاقيات القائمة على الظلم وعدم احترام الآخر ، وسلب حقوقه مصيرها الفشل ، وهذا ما حدث حيث قامت انتفاضة الأقصى ، " لكن فتنة تعثرت بأسلاك الكاميرا والميكروفونات ووقعت على الأرض وقعة شديدة وبهذا طق ماء الرأس واشتغل الطلق " [١] .

وكان الموت على الحاجز؛ لأن اتفاقية أوسلو لا تفي بمتطلبات الشارع الفلسطيني ، و بقى المولود غير الشرعي الذي تحمل وزره الفلسطينيون ، " وتطلع مازن نحو الأم وكانت مشغولة بابنتها وابن ابنتها . كانت أميرة تجلس على الأرض بجانب فتنة وتلف الطفل بقطعة قماش . ورأى أولاد الكشافة يحيطون بها وهذا يقول : " خالتي شو بدك " [٢] . وبذلك تكون الكاتبة قد قدمت رمزاً ثرياً أعطى النص حيوية وثراءً من خلال هذه الشخصية النسوية .

٢- مريم في رواية صورة وأيقونة وعهد قديم :

" أما مريم الزمن الفلسطيني فسيدة عذراء أخرى ، مجهولة ومخذولة تلتف ببركاتها ولا تدعو إلى إصلاح أحد . إنها المهزوم المقدس الذي ترك لمصيره وساعد نفسه ، رغم الشقاء ، ولم يساعده أحد . ولذلك تبدأ باسم مريم المليء بالإيحاءات الدينية المألوفة وتنتهي باسم ماري أيوب حيث أيوب رغم صبره، لا يعيد إلى الاسم الأول وجهه العربي . تدور الرواية في حواري القدس وكنائسها ومساجدها وصلبانها وقساوستها، مسائلة فضاء مقدساً موروثاً يتداعى، تاركاً المدينة، التي فتحها عمر بن الخطاب ، للسواح ومختزلاً الموروث القديم إلى أماكن عبادة ناقصة "[٣]. إذن مريم رمز لمدينة القدس المهزومة والمخذولة في آن ، فاسم مريم له دلالات دينية وتاريخية مرتبطة في هذا المكان ، وهي مريم أيوب – أيوب الذي نستشف من اسمه الصبر والتحمل – فهي رمز لمدينة القدس الصابرة التي تعاني من ويلات الاحتلال ومحاولات التهويد المتكررة ، لتغيير ملامح القدس العربية الإسلامية ، ومريم الآن ليست مريم

---

[١] - خليفة سحر، الميراث ، مصدر سابق ، ص ، ٢٨٨ .
[٢] - الرواية ، ص ، ٢٩٤ .
[٣] - خليفة سحر ، صورة وأيقونة وعهد قديم ، مصدر سابق ، من مقدمة فيصل دراج للرواية ، ص ، ٨ .

التي كنا نعرفها ، إنها مجرد ذكرى وصورة جميلة من الماضي ، " مريم كانت أجمل ذكرى ، أغلى تاريخ، أحلى صورة "[١] .

وهي رمز المدينة المقدسة التي يعمل اليهود ليلا نهارا على تغيير طابعها العربي الإسلامي ، وتهويده . إذا " ليست مريم الفلسطينية التي تذوي في الفضاء المقدس وتسير إلى النسيان و الموت إلا : القدس، التي خذلها، ذات مرة، عاشق قديم، وليس العاشق ، الذي خذل مدينته، إلا الفلسطيني، الذي آثر الهرب بعد حرب ١٩٦٧. ذلك العاشق الغريب الذي هاجر وكافح واغتنى وناضل، واعتقد أن الذكريات تحمي الأماكن المقدسة ، وأن النوايا الطيبة تنجب الأنبياء. ولهذا ينتهي وحيداً بلا وريث، يذهب إلى الموت عاجزاً، مشاركاً مريم عجزها ويتمها وانحدارها إلى النهاية " .[٢]

وإبراهيم هو ذلك العاشق القديم الذي هاجر وترك القدس إلى مصيرها ، ذلك العاشق الذي خذل محبوبته القدس من أجل جمع المال . " بت عاشقاً بدون تسلسل . أفقت فجأة وإذا بي متيم لا أقوى على التركيز على شيء ما . بت مشتتاً ملهوفاً مليئاً بالشوق والأحزان بدون سبب منطقي أستطيع فهمه . لم أرها عن قرب، لم أسمعها، لم أحدثها ، بل لم تعرفني على الإطلاق طوال شهور"[٣].

أحب إبراهيم مريم تلك الفتاة المسيحية بدون مقدمات دلالة على أن القدس مهد الأديان السماوية، ومكانا تلتقي في جنباته الأديان ، "كانت تقرأ في كتاب صغير ومسبحة دقيقة تنسدل من معصمها . ورأيت الصليب ، صليب صغير بحجم فراشة، وطرحتها السوداء من الدانتيل المشغول بتخريم الإبرة . ابنة راهبات ، هذا ما ظننت ، أو ربما راهبة لم تكمل نذرها بعد وما زالت في أول الطريق "[٤].

ومريم هذه مكبلة بالحزن وتتحمل مسؤولية موت أخيها الذي لم يكن لها ذنب في موته ، لقد تركت القدس وحيدة " إنها تبكي أخاها الأصغر وأنها شبه وحيدة لأن إخوتها

---

[١]- الرواية ، ص ، ١١ .
[٢]- من مقدمة فيصل دراج للرواية ، ص ،٨.
[٣] - الرواية ، ص ، ١٤ .
[٤] - الرواية، ص ، ١٥ .

الكبار في البرازيل وهي هنا في القرية مع أمها شبه العمياء و المدعومة باخوة وأقارب وحمولة . عائلة ضخمة ، ولها أملاك تمتد حتى الجبل "[١].

ومريم جميلة لأنها تمثل كل شيء طاهر وجميل ، فالقدس رمز الجمال والمحبة والطهر والسلام ، " في مثل سني أو أصغر. بشرة بيضاء حليبية وحلة سوداء وشعر متموج يصل الكتفين . وجه بيضاوي أقرب إلى الطول بسبب نحافته ودقة عظامه، وشفاه مدفوعة قليلاً فتبدو أغلظ بسبب نتوء في الأسنان . أما عيناها فشيء عجيب ، أهداب سود كثيفة تنسحب عن بياض صاعق وسواد مشحون بالأسرار "[٢] .

ولها صوت جميل (وصوتاً عريضاً مهروساً فيه بحة فطار صوابي . أية موسيقى كانت تلك ؟! أية بحة ! والتفتت إلي ممكن أنت تعطيني دروس ؟ كلمات واضحة سليمة لكن اللكنة الغريبة زادتها سحراً وغموضاً "[٣] ، فالقدس مكان لتجمع الديانات المختلفة ففيها اليهود والأرمن والعرب ، فهي لوحة فسيفسائية جميلة .

لقد حملت القدس المسؤولية من قبل إخوانها الكبار فأصبحت ميتة ؛ لأنها فقدت الإحساس " قالت همساً :

– أخي هذا مات بسببي "[٤] .

يعيش فيها خليط عجيب من السكان ، وهي مهوى أفئدة الحجاج من جميع أنحاء العالم " أنا اقرأ . أقرأ كتباً بثلاث لغات أو أربع "[٥]. لا يهم أن كان اسمها مريم أو ماري - ماري ، ماري . أقصد مريم . هناك فقط اسمي ماري ، وهنا بالطبع اسمي مريم "[٦] .

وهي غريبة في وطنها لأن أهلها قد تخلوا وتركوها وحيدة في ظل الاحتلال، " حكت لي قصة غربتها، فهي غريبة في أرض الوطن ، وهي غريبة في تلك الأرض . وهي وحيدة بين الأخوة ، وهي وحيدة بين الأغراب. لا تجد نفسها إلا في القدس ودير مظلم تختبئ فيه من الدنيا ورقابة الأهل و الأخوة . تحب الرقص وتحب الله وتحب أن

---

[١] - الرواية ، ص ، ١٦ .
[٢]- خليفة سحر ، صورة وأيقونة وعهد قديم ، مصدر سابق ، ص ،١٩ +٢٠ .
[٣] - الرواية، ص ، ٣٥ .
[٤] - الرواية ، ص ، ٣٨ .
[٥]- الرواية ص ، ٤٠ .
[٦] - الرواية، ص ، ٤١ .

تلبس كل جميل وتشاهد صورتها في المرآة . أحبت راهباً في تلك البلاد وكادت تخرجه من ديره "[١] .

فمريم تحب الجميع والجميع يحب مريم ، من قساوسة ورهبان ورجال دين ، ثم ركعت عند ساقيه وقلت له أنت حبي الكبير، أنا أحبك كانت المفاجأة كالصدمة فكسرت ما بقي من تجلده وبات طرياً مثل عجينة . أمسكت برأسه بين يدي وقبلت عينيه وخديه ، ثم شفتيه ، فاحتواني بين ذراعيه وقبلني "[٢] .

فهي مريم المجدلية الطاهرة التي يحبها الناس جميعاً ، وقد ودعت إبراهيم – لاحظ دلالة الاسم – الذي يحيل إلى إبراهيم أبي الأنبياء ، الذي تلتقي عنده جميع الديانات في أرض المحبة والسلام . " وحدجني بنظرة ذات معنى فاكتسحني. وسألت ببراءة وهي تقترب مني أكثر " هل أنا مخطأة " كذا " أم ماذا؟ " قلت " لماذا ؟ " حنت رأسها وقالت همساً " لأني أودعتك أسراري " وتركتني "[٣]. " وسألت بخوف ، ننام في الدير ؟ همست باسما ، بل هوستل "[٤] .إبراهيم يشعر بالذنب لأنه مارس الجنس مع مريم في الهوستل ، لقد تشوهت معالم المدينة المقدسة فلم تعد أرضاً للسلام ،" فأنا زان، وأنا كافر ، وأنا خائن ، وها أنا أذهب لزيارة أبي لأكمل ذنوبي وأكذب عليه لآخذ منه بعض دولارات ، من أجل ماذا ؟ من أجل الخطيئة وليلة فسق "[٥].

لقد خذل ذلك العاشق القديم مريم حين ظن أن الذكريات الجميلة تنجب الأنبياء ، " لكن الحمل فاجأنا .حملت مريم ولم تجد كل حبوب القدس في إنزاله. ولم يبق أمامنا إلا الإجهاض و العملية . وتلك بحاجة لمبلغ من المال لا نملكه "[٦] . لقد خذلها هذا العاشق خذل القدس حين هرب ولم يتحمل المسؤولية معها .

لقد هرب ذلك العاشق القديم من القدس وتركها لمصيرها ، بحثاً عن المال والمجد ، " قالت مريم بصوت كالهمس، أريد إبراهيم قالت سارة بصوت مرتفع سمعته، إبراهيم في القدس وليس هنا . ماذا تريدين من إبراهيم ؟ ورأيتها تتفحصها من فوق

---

[١] - الرواية، ص ، ٥٠ .
[٢] - الرواية ، ص ، ٥٢ .
[٣] - خليفة سحر ، صورة وأيقونة وعهد قديم ، مصدر سابق ، ص ، ٥٤ .
[٤] - الرواية، ص ، ٥٥ .
[٥] - الرواية، ص ، ٥٧ .
[٦] - الرواية، ص ، ٨٧ .

لتحت ثم سألت بخبث، أنت مريم ؟ لم تجبها وادعت أنها لم تسمع السؤال وقالت همساً ، شكراً ومضت وأنا مازلت مختبئاً خلف الشباك "[١] . لقد أنكر إبراهيم نفسه وترك مريم لمصيرها ومع ذلك فهي تغار عليه وتحبه .

" كانت لها تلك النظرة التي تنبئك ولا تنبئك، تشدك حتى تدنو ثم تفتك ولا تسأل فتبدأ بالعدو للحاق بها كي لا تغيب عن أنظارك . ثم ماذا حدث ؟ لماذا تراجعت ؟ ! وتذكرت مجيئي لرؤيتها و اللحاق بها وأنا أدعي أني الأستاذ وأني سأعلمها العربية . ولم تتعلم . ولم أتعلم . وها هو ميشيل يرفضني، بل ينكرني أو ينكرها "[٢] .

لجأت مريم إلى جميلة وسكنت عندها حتى ولدت وصارت الأم تساعدها ببعض المال " لكن الأم ظهرت فجأة وبدأت تزور ابنتها وتزودها ببعض الدولارات ثم اشتغلت في استديو تصوير لدى الأرمن وبدأت تدفع أجراً منتظماً فاستقر الوضع . وحين ولدت ، عملت النسوة على تدبير شهادة ميلاد للطفل . الأم دفعت والابنة غضت النظر وجميلة دبرت الأمر في المستشفى ووضعت اسمها واسم زوجها مكان الأبوين "[٣] .

ويجد ذلك العاشق القديم مريم أيوب بعد رحلة بحث شاقة ومعذبة ، بعد أن اغتنى وجمع المال ، ولكن مريم لا تريده ؛ لأنه تركها وهي بأشد الحاجة إليه .

" ورفعت رأسي لأجدها تقف أمامي تتأملني .وجه محاط بالأبيض تحت الأسود وصليب ضخم ، لكن الوجه لم يتغير. العينان نفسهما ، الشفتان نفسهما واندفاع بسيط للأسنان وطول الوجه وبعض الثنيات الدقيقة عند الخدين وحول العينين، لكن البشرة الرقيقة وصفاء الوجه تبدو أصفى ، تبدو مرتاحة بلا أشواق "[٤] . فمريم لا تريد ذلك العاشق الذي تركها لمصيرها وسافر ، فأخذت يد المحتل الغاشم تغير ملامحها ، وتشوه جنباتها ،زاعمةً أن الأرض لها .

" مدت يدها وهي تبتسم بلا إحساس وكأني قريب فاجأها من بعد غياب ساعة وساعتين . مدت يدي الاثنتين وأنا مازلت اتأملها وقلبي يذوب كمال العاشق ودموعي تسيل

---

[١] - الرواية ، ص ، ٩١ .
[٢] --الرواية ، ص ، ١٥٤ .
[٣] - الرواية ، ص ، ١٧٩+١٨٠ .
[٤] - خليفة سحر ، صورة وأيقونة وعهد قديم ، مصدر سابق ، ص ، ٢٢٥ .

وتغبشني فأرى العالم من خلف ضباب . أمسكت بيدي وقادتني حيث المقعد تحت اللزاب وقالت باسمة وبرافة :

- يا إبراهيم ، يا إبراهيم ! "[١] . فالعودة كانت تمثل لقاءً روحياً بين المحب المهاجر وحبيبته الباقية ، فبكى لأنه أحس بالذنب تجاهها ، فهو لا يستطيع أن يبرر لها سبب تركه لها ، وأن جمع مال العالم كله ،لقد أصبح إبراهيم مقطوع الدم ، أصبح بلا وريث ، وهو جزاء كل من يغادر البلد من أجل جمع المال " ماذا تريد ؟ تريد أمي ؟ هي لا تريدك . تريد رجوعي ؟ أنا لن أرجع . تريد مني أن أرضى بك ؟ أنا لن أرضى . أنا قلت لك في ذاك اليوم أنا لي خطي . أنا لي روحي .أنا لي حياتي. دعني وشأني . لماذا تريد أن ترجعني لماضي أنساه ؟ أمي ماتت . دخلت الدير . وحين أراها ، أرى أختاً لي ، أختي الكبرى ، وأراك أنت رجلاً غريباً مقهوراً لا يعنيني يريد إن يتشبث بالقشة ، وأنا القشة "[٢] .

وإبراهيم صورة للإنسان الفلسطيني- ذلك العاشق القديم -الذي خذل القدس وهاجر من أجل جمع المال وترك القدس وسط المحيط تتعارك مع الأمواج ثم يعود ليرى ماذا بقي من السفينة ، ولكنه يكتشف أن المال الذي جمعه ولا مال الدنيا كله ينفع ، لقد جمع المال بعد حرب الخليج وزود العدو بالحجارة ، وتعاون معهم ، وقدم بعض المال إلى فلسطين ، للأيتام والأرامل ، اللواتي فقدن أزواجهن فداءً للأرض ، وماذا قدم لها ذلك المهاجر سوى حفنة من الدولارات : " ثم تعاطيت المقاولات في حرب الخليج وزودت الجيش الأمريكي بالمناشير و الجرافات لحفر الخنادق وشق الطرق ،وهكذا صرت ثرياً ... بالملايين . وفتحت مؤسسة باسمي ترعى الأرامل و الأيتام في فلسطين "[٣] .

٣- ميرا في رواية ربيع حار :

فتاة يهودية تعيش في مستوطنة بالقرب من عين المرجان، يتعرف إليها أحمد عندما كان يذهب لالتقاط الصور ، للجريدة التي ينشر والده بها الأخبار ، وميرا هي

---

[١] - الرواية، ص ، ٢٢٥ +٢٢٦ .
[٢] - الرواية ، ص ، ٢٤٦ .
[٣] - خليفة سحر ، ربيع حار ، مصدر سابق ، ص ، ٩٨ .

الشخصية اليهودية الرئيسية الوحيدة في روايات سحر خليفة ، يحبها أحمد ويحاول إقامة علاقة عاطفية معها ، ولكن الاحتلال قتل الطفولة والبراءة والحب ، لأنه سحق الإنسان والمشاعر الإنسانية ، فكانت رمزاً مستحيلاً للتعايش بين العرب واليهود بسلام ، لأن من يسرق الأرض والماء ، ويقتل الشباب ويجرف الزيتون لن يقبل الآخر ولن يتعايش معه بسلام . يتعرف إليها أحمد وهو صغير، يحضر قطته عنبر كي تراها، ومن ثم تسرقها منه. يحاول الدخول إلى المستوطنة مع عيسى لكي يستعيد قطته مقابل أن يعطيه الكاميرا و النظارة، فيقبض عليه بتهمة وضع متفجرات وألغام في المستوطنة ومن ثم يوضع في السجن، وعندما يخرج تكون البنت قد كبرت، وتذهب مع دعاة السلام للمظاهرة ضد بناء الجدار العازل.

" التفتت البنت ورأته هناك مع الكاميرا ورأى عينيها في العدسة مثل السماء، مثل النرجس، مثل شبابيك مفتوحة على أفق الغرب حيث الأزهار و النسائم وسحاب الصيف. أحس بنفسه في مرجوحة وجسمه يتماوج ويرفرف مثل عصفور. تروح وتجيء أمام العدسة كبندول كبير فيدق قلبه كالساعة وجيتار أخيه. تك تك ، بم بم ، تك تك بم بم . وعيناها عليه كشباكين صيفيين بدون ستائر. ما أجملها ! ما أحلاها . وغرة قصيرة تطير مع الريح وهي تعبر ثم ترتد فتتساقط شعرات الحرير "[١] .

" وفي غمرة الفوضى وذهوله وصفعات تنزل على رأسه ووجهه وعينيه وسباب الجند وصراخ عيسى وعواء الكلاب ... رأى ميرا تقف مذعورة بفستان نوم صغير قصير له كشكش، فبكى حزناً وهمس : ميرا ! وانطلق صفير "[٢] .

ودخل احمد السجن بتهمة زرع متفجرات في المستوطنة، وبعد أن انتهت محكوميته أخذ يعمل في الإسعاف، فرأى ميرا مع دعاة السلام. " ورأى ميرا. ميرا كبرت، فدق قلبه. ما كان رآها منذ سنين منذ سنتين أو ثلاث وربما أكثر، وحين رآها في ذاك الليل بعد القطة كانت بفستان نوم قصير وله كشكش. أما الآن فهي بالجينز وبلا ذيل فرس، بل حلقت شعرها كالفروة، فروة قطة وبدت أجمل "[٣] .

---

[١] - الرواية ، ص ، ٣٥ .
[٢] - الرواية، ص ، ١٣٢ .
[٣] - خليفة سحر ، ربيع حار ، مصدر سابق ، ص ، ٣١٩ .

فيتذكر الخيانة والغدر" ثم تذكر ذاك الإحساس بالخيانة حين غدرت به وسرقت عنبر. ثم كان ما كان منذ ذاك الحين من سجن وعذاب واجتياحات واغتراب أخيه واهتزاز أبيه ... فلماذا القلب يدق ؟ ! وهل هذا حب أم لعنة ؟ "[١] .

حاولت منعه من تفجير نفسه ولكنها فشلت ، " وميرا تصيح وهي تولول Go on hurry up رآها تبكي وتذكر كم بكى هو حين اعتقلوه بعد القطة . كم تمنى لو أبكاها بدل الدمعة آلاف الدموع. لو عذبها مثل عذابه ... والآن تبكي من العسكر، عسكرها هي ومن خلفها . يا بنت الكلب كم أحببتك ! تبكين الآن ؟ دموع التماسيح "[٢].

" صاحت ميرا : ارجع رفيرس . ارجع، ارجع. و الجرافة تقترب منه. رجع للخلف ثم استدار فرأى العسكر في مواجهته. رأوه يقترب من الحاجز صلية رشاش على الأمبولانس فانكسر الزجاج وتطاير. ادعس، ادعس و ميرا تصرخ HURRY UP HURRY UP. صلية رشاش ثانية فطار صوابه. صور من غير صور، داخل عقله، إن بقي عقل. واندفع بكامل أجنحته مثل الصاروخ نحو العسكر ... فصاح الوالد : ابني استشهد ! وفي اليوم التالي سمعنا الخبر قالوا : إرهاب "[٣] .

وبذلك تكون ميرا رمزاً لتعايش صعب بين العرب واليهود ، لأن قتل الآخر وظلمه لا يدفع إلاّ لمزيد من إراقة الدماء ، فالحرب والعدوان ، والقمع والتمييز ، والاستيطان العنصري ، يسحق المشاعر الإنسانية ، الطبيعية ، الطفولية ، البريئة ، ولكنه ممكن بدون آلة الحرب والدمار ، واحترام الآخر والاعتراف بحقه في العيش بحرية وكرامة .

---

[١] - الرواية، ص ، ٣١٩+٣٢٠ .
[٢]- الرواية، ص٣٧٢.
[٣]- الرواية ، ص ٣٧٣ + ٣٧٤ .

الفصل الثالث :

رسم صورة المرأة في روايات سحر خليفة

أولاً : الأسلوب التصويري :

ثانياً : الأسلوب الاستبطاني :

ثالثاً : الأسلوب التقريري :

الفصل الثالث : رسم صورة المرأة في روايات سحر خليفة

استخدمت الكاتبة سحر خليفة مجموعة من الأساليب في رسم صورة المرأة ، فاستخدمت الأسلوب التصويري ، الذي يعتمد على الحركة والحدث في رسم الشخصية ، وهي تتحرك وتتفاعل مع ما حولها ، والأسلوب الاستبطاني ، الذي يعمل على سبر أغوار الشخصية ويتغلغل في داخلها ، ويكشف عن بواطنها الداخلية ، من خلال تعاملها مع العالم الخارجي وتفاعلها معه ، و الأسلوب التقريري ، الصحفي الذي يقدم الشخصيات دفعة واحدة ، ويكررها ويختزل الأحداث ، حيث يبعد الرواية عن كونها عملاً فنياً ، في رسم شخصياتها المختلفة .

أولاً : الأسلوب التصويري :

وهو أسلوب" دينامي تطوري تكشف فيه الرواية التغيير وهو يحصل "[١]، ترسم فيه الشخصية الروائية من خلال الحركة و الفعل و الحوار و الصراع مع الذات ، أو مع الغير من قوى اجتماعية أو طبيعية ويرصد نمو الشخصية وتطورها. وأهم عناصر الأسلوب التصويري هي : الحدث، والحوار، وحديث الشخصيات الأخرى مثل السارد ، فـ" الأسلوب التصويري في أبسط تصور له هو ذلك الأسلوب الذي ينتهج رسم الشخصية الروائية من خلال حركتها وفعلها وحوارها، ومن خلال حديث الشخصيات الأخرى عنها، فيصورها وهي تخوض صراعها مع ذاتها، أو مع غيرها أو مع ما يحيط بها من قوى اجتماعية أو طبيعية راصداً نمو الشخصية من خلال نمو الواقع وتطورها الذي ينتج عن تفاعل تلك الشخصية معها بحيث لا ينفصم التلازم بين الشخصية و الحدث، فيتضمن كل تطور في الحدث تغيراً في الشخصية، ويتبع كل نمو في الشخصية تغير في الحدث وتنام في الصراع "[٢] .

وهي الطريقة التي يقف فيها الروائي على الحياد " ويسمح لأشخاصه أن تكشف عن نفسها بواسطة الكلام و الحركة ويجعلهم يعبرون عن نفوسهم بما يضعه في

---

[١]- ويليك رينيه و أوستن وارين ، ، نظرية الأدب، ترجمة محي الدين صبحي ، الطبعة الثانية ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت ، ١٩٨٧ ، ص ، ٢٣٠ .

[٢]- سماحة فريال كامل ، رسم الشخصية في روايات حنا مينة ، الطبعة الأولى ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ١٩٩٩،ص١٤٠.

أفواه الأشخاص الآخرين من تعليقات عليهم وأحكام " [١] . وفي هذا الأسلوب نجد أن " الشخصية يجب أن تكشف نفسها أكثر مما تحلل من الخارج "[٢]. فتكشف نفسها من خلال الحدث والحوار وحديث الشخصيات الأخرى عنها .

وفي هذا الأسلوب يتابع الراوي " سير هذا الشخص إلى الأعلى أو إلى الأسفل تحت تأثير الناس الآخرين و الأحوال المحيطة و التجارب الشخصية وكل ما يدخل كعامل مكون في حياته " [٣]. وفيه " يتحاشى كتاب القصة الحديثون التفسير و التعليم و الكشف عن الجوانب النفسية التي تتحكم في سلوك الشخص، وتجعل القارئ يفهم سلفاً كل ما سيفعله إزاء الأحداث أو اتجاه الآخرين " [٤] . وفي هذه الطريقة " تظهر حرية الإنسان في صراعها الكامل مع عوامل نموها أو تعويقها وهي أهم ما يحرص الكاتب على جلائه في قصته "[٥].

وفي هذا الأسلوب " تفسر العواطف والانفعالات تفسيراً آلياً في ظاهره، ولكنه قوي في إيحائه متى استخدمه عباقرة القصة. وهؤلاء يقللون من قيمة التحليل النفسي ، لأن الوعي الباطني لا وجود له في الأشخاص في بعض الحالات ، الجنون و السكر مثلاً، فلا يمكن استبطان الشخصيات فيها و الطريق الأوضح حينئذ هو وصف الصورة الخارجية " [٦]. و " يفرض فيه المنظور سيادته على ما سواه من ثنائيات ، ويأتي بعده في الأهمية الإيقاع والمادة "[٧]. وقد استخدمت الكاتبة هذا الأسلوب في معظم رواياتها ، حيث فرضت رؤية الرواية وأدواتها الفنية استخدام هذا الأسلوب، فمثلاً في رواية الميراث، كان الحدث أبرز العناصر التي أسهمت في رصد نمو الشخصيات، وإظهار تطورها سلباً أو إيجاباً، وكان ذلك عن طريق العرض لا الإخبار، فأظهر هذا الأسلوب نمو الشخصيات وملامحها النفسية و الفكرية، وأفعالها وردود أفعالها .

وجاء بعده في الأهمية الحوار الناضج، الذي أسهم في تنمية الصراع وتأزيم المواقف، وكان له دور مهم في صنع الأحداث ونقلها، ثم حديث الشخصيات الأخرى

---

[١]- أمين أحمد ، النقد الأدبي ، الطبعة الثالثة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٣، ص ١٢٣.
[٢]- المرجع السابق ، ص١٢٣ .
[٣]- أمين أحمد ، النقد الأدبي ، مرجع سابق ، ص١٤٢ .
[٤]- هلال محمد غنيمي ، النقد الأدبي الحديث ، د.ط ، نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع ، ٦من أكتوبر ، ٢٠٠١ ، ص ٥٣١.
[٥]- المرجع السابق ، ص٥٣٢ .
[٦]- المرجع السابق ، ص٥٢٠.
[٧] - فضل ، صلاح ، أساليب السرد في الرواية العربية ، دار سعاد الصباح ، الكويت ،الطبعة الأولى ، ١٩٩٢ ، ص ، ١٢ .

عن الشخصية كشف لنا عن ملامحها المادية والنفسية والمادية والفكرية، وهذا ما فرض رؤية الرواية .

١- رسم شخصية سهى في رواية لم نعد جواري لكم :

استخدمت الكاتبة الأسلوب التصويري في رسم شخصية سهى من خلال حركاتها وأفعالها وحوارها مع شخصيات الرواية كاشفة من خلال ذلك ملامحها النفسية و الفكرية و المادية ،فهي رسامة موهوبة – فتاة جميلة ولها نفسية غريبة _ " ولها شفتان جريئتان وابتسامة ماكرة وشعرها أسود أملس ينحدر خيوطاً حريرية سوداء مغطياً كتفيها ونهديها . أما نهداها فكانا قبتين شامختين " [١].

وتحدثت الساردة عن ماضي الشخصية لـ " تبين أنها من عائلة فقيرة مغمورة الشأن والدها سكير يدمن الخمر ويدمن ضرب أمها ليلاً ،فهل هذا هو السبب ؟ " [٢] . وهي شخصية قوية تعبر عن آرائها ورغباتها بصدق وتعطي رأيها في الآخرين فقد قالت عن سامية : " سامية امرأة مهووسة، تقتات بالأحلام وتعيش على هامش الواقع ! "[٣] وعن سميرة " فتاة ذكية، لكنها كسمكة مجففة، فهي بدون عواطف ! " [٤].

وترسمها من خلال الحوار الخارجي مع الشخصيات ،فهي تتحدث عن رغباتها الداخلية دون مواربة أو حياء " كنت أشتهيه ! ابتسم وطأطأ رأسه ولم يعقب، فقالت بحدة : نعم كنت أشتهيه، ماذا، ألا يحق لي أن أشتهيه ؟ ! " [٥].

و من خلال الحوار الداخلي الذاتي ، المنولوج الداخلي ، الذي يكشف عن سمات هذه الشخصية ، ويبرز ملامحها النفسية والفكرية ، إذ يكشف الحوار عن امرأة متحررة لا ترضخ لقيم المجتمع ، ولا تهتم به ، فيكشف هذا الحوار عن امرأة شهوانية تعبر عن رغباتها الداخلية . " لو أنه دخل غرفتي ؟! أتمنى أن أعرف كيف يمارس الحب، وبأية نفسية ! .. يعجبني شكله ، وأظنني سأشتهيه بعنف أكثر إذا واصلت التحديق في وجهه، وتتبع حركاته، و الاهتمام بخصوصياته " [٦].

١- خليفة سحر، لم نعد جواري لكم ، مصدر سابق ، ص ٢٣.
٢- الرواية ، ص ٦٣.
٣- الرواية ، ص، ١١٨.
٤- الرواية، ص ١١٨.
٥-الرواية ، ص١٢٠.
٦- الرواية، ص ٢٢ + ٢٣.

ومن خلال الحوار الخارجي ، حيث يكشف حوارها مع بشار ، موقفها من الزواج والعائلة ، وهذا الحوار يتناسب مع الشخصية ومستواها الفكري والاجتماعي ، فترفض الزواج من بشار بكل صراحة بالرغم من أنها مارست الجنس معه : " لقد أفهمتك منذ البداية أني لن أتزوجك! فأمسك بذراعها يهزها وذاك الحب ؟ وذاك العنف ؟ وذاك الالتحام ؟ قالت بشرود : تجارب يا عزيزي ".[١] وتخاطب عبد الرحمن المثيلوني " مهما قلت، مهما زجرت، مهما وعظت ، فأنا أحبك ! "[٢] ، وبذلك نجد أن الحوار استطاع أن يبين مقدار التطور الذي طرأ على شخصية سهى نتيجة الأحداث واستطاع الحوار رسم جوانب الشخصية ، وإلقاء الضوء على حركتها وتطورها فكان مناسباً لطبيعة الشخصية ومستواها الفكري .

٢ ـ رسم شخصية سعدية في روايتي : الصبار وعباد الشمس :

قدمت لنا الكاتبة شخصية سعدية من خلال الأسلوب التصويري، الذي يرصد حركات الشخصية ومعالمها الخارجية و الداخلية ،من خلال تيار الوعي و الحلم ،الحوار .

فهناك مجموعة من الأحداث المهمة ساهمت في تشكيل شخصية سعدية، فبعد أن كانت امرأة تقليدية، مثلها مثل نساء الحارة، حدثت مجموعة من الأحداث أدت إلى انقلاب في شخصيتها، وأول هذه الأحداث وأهمها، استشهاد زوجها زهدي، الذي كان المسؤول الأول عنها وعن البيت، فأصبحت امرأة وحيدة تعاني من الرملة و أقوال الناس، فصارت تصارع المجتمع الذي لا ينظر نظرةً سوية إلى المرأة الأرملة ، فأم تحسين تصفها بأنها امرأة غير سوية " أنا عندي طوابق مطبقة ؟ أنا أخزي الشيطان يا مخزية يا دايرة يا أم الليرات الحرام " وتقهقه سعدية بغيظ وتدق قبضتها على كفها وتصيح من كيدك وكيد جوزك يا عايزة .. " [٣].

---

[١] ـ الرواية ، ٥٢

[٢]ـ الرواية، ص ١٧٣.

[٣]ـ خليفة سحر ، عباد الشمس ، مصدر سابق ، ، ص ٣٦.

لقد أصبحت سعدية المسؤولة الأولى عن البيت والأولاد و المصاريف، فعملت في الخياطة ، وتعاملت مع الرجال في المجتمع فكان لها مصداقية في التعامل مع الناس" لكن الحق إنه شغل سعدية أنظف شغل ومعاملتها أنظف معاملة . حتى اليهود بعترفوا وبقولوا أم حمادة تمام، شغل تمام وموعد تمام وكله تمام بتمام " [١]. وكان اللقاء بخضرة مفصلاً مهماً في تاريخ حياتها ، حيث تعرفت إلى امرأة متمردة على قيم المجتمع، لا تعترف بالعادات والتقاليد و الشرف ، مما جعلها تخرج من ظرفها الحالي إلى الاندماج في المجتمع، فبعد أن كانت تخاف على رشاد أصبحت تحثه على المقاومة ، " وقفت سعدية ، لمحت رشاد ، يضرب من فتحة مقليعة، من أعمق الأعماق صاحت عليهم يا رشاد ، عليهم يا ولدي . عليهم يا حبيبي يا زهدي ! "[٢] .

وقدمتها الساردة من خلال الوصف الخارجي، حيث أعطى العمل لسعدية حيوية ونشاطاً ومظهراً جديداً ، " كانت تلبس تنورة سوداء وبلوزة بيضاء بأكمام طويلة ، وكانت قد هزلت كثيراً واختفت النتوءات من جسمها واستبدلت بانحناءات انسيابية لطيفة . واختفى الشعر الطويل وحلت بدلاً منه قصة مستديرة أعطتها مظهراً أكثر حيوية وشباباً "[٣].

و رسمتها من خلال المنولوج الداخلي ، الذي يعد وسيلة إلى إدخال القارئ للحياة الداخلية للشخصية المراد رسمها ، يعرف " دوجاردين " المنولوج الداخلي " بأنه وسيلة إلى إدخال القارئ مباشرة في الحياة الداخلية للشخصية، بدون أي تدخل من جانب الكاتب عن طريق الشرح أو التعليق وبأنه التعبير عن أخص الأفكار التي تكمن في أقرب موضع من اللاشعور"[٤] . " فغداً يكبر الأولاد ، سيتخرج حمادة بعد ثلاث سنوات، وسيعمل في السعودية أو الخليج ليساهم في تعليم إخوته وليدخر قرشين يبني بهما بيت لنفسه. وسيلحق به جمال ثم سمية ثم رشاد وأخيراً عزيز الصغير . وسينتشر الأبناء هنا وهناك، وتظل هي وحيدة في بيتها البعيد في أعلى

---

[١]- الرواية، ص٧٣.
[٢] - الرواية، ص ، ٢٧٩ .
[٣]- الرواية، ص ٢٣.
[٤]- ويليك رينيه و أوستن وارين ، نظرية الأدب ، مرجع سابق ، ص٢٣٥ .

الجبل . وستكف عن الخياطة حين يشتغل الأولاد وتتزوج سمية ، ولكنها ستعاني الوحشة القاتلة وتصبح عجوزاً قبل الأوان بسنوات عديدة " [١] .

ورسمتها من خلال الحوار الداخلي ،ومن خلال حديث الشخصيات الأخرى عنها ، فالحوار اسهم في الكشف عن النمو والتطور في الشخصية " أما سعدية فشئ آخره فشئ آخر ، اختلفت كثيراً يا رجل ألا تعتقد؟ ولها ابن عفريت اسمه رشاد ، تعرفه؟

ـ أعرفه

سعدية اختلفت حقاً ، انقلاب عجيب ولكن شحادة بالمرصاد شحادة ليس سيئاً تماماً ، لكنه لن يحل مشكلة سعدية " [٢].

وتشتري سعدية الأرض ولكنها تعيش صراعاً داخلياً ، فكيف تهجر سعدية الحارة ؟ فهي تريد الخلاص من هذه الحارة التي تتحدث عنها بالباطل ولكنها في الوقت نفسه تحب هذه الحارة التي عاشت فيها سنوات طويلة ، أنت تهجرين الحارة؟ أنت الحارة يا سعدية آه يا صالح ،وغدا تبكي أراملنا في البرية و لا يجدن إلا من كان مثلنا مهدور الدم " [٣]. ورسمتها من خلال الحوار الخارجي مع المختار الذي كشف عن مستوى هذه الشخصية ، وألقى الضوء على التطور الذي طرأ على هذه الشخصية " أصاب سعدية فتصدت

عيب يا ولية

ولية بعينك شايب وعايب

يا حرمة !

أنت الحرمة "[٤] . وبذلك تكون الكاتبة قد قدمت شخصية سعدية من خلال الأسلوب التصويري، الذي يعتمد على الحدث والحركة والفعل ، والحوار الداخلي والخارجي لكشف جوانب الشخصية .

---

[١]- خليفة سحر، عباد الشمس ، مصدر سابق ، ص ٣٤.
[٢]- الرواية، ص١٥٣ .
[٣]- الرواية، ص ٢٣٠.
[٤] - خليفة سحر ، عباد الشمس ، مصدر سابق ، ص ، ٢٧٨+٢٧٩ .

٣- رسم شخصية خضرة :

قدمت لنا الساردة شخصية خضرة من خلال الأسلوب التصويري ، معتمدة على الحوار الداخلي " تيار الوعي " و الحوار الخارجي والصراع مع الشخصيات الأخرى . فالحوار مع الشخصيات ، يكشف لنا الكثير عن شخصية خضرة ، فهي امرأة مستهترة لا تؤمن بالله ولا تراعي العرف والعادات والتقاليد الاجتماعية ، فهي رافضة لقيم المجتمع .

" وسمعت خضرة تعلق :

والله هالقعدة بتسوى الدنيا وما فيها . أي قعدة ؟ أي قعدة يا فاجرة ؟ القعدة بين الرجال في عيونهم خيطان وإبر ؟ القعدة في تل أبيب عند اليهود ؟ "[١] . " قالت خضرة والله أنا ما بخاف ولا من الله . تل أبيب بطبلها وزمرها بحطها بقاعي وبقول ما شفت حدا ضحكوا . وسخر أحدهم وتساءل :

تسع ؟ ردت خضرة بجلافة :

وتسعك أنت كمان . "[٢] .

فالحوار السابق يكشف قوة شخصيتها ، وعدم اكتراثها بأي شيء " والتفتت إليها خضرة وصاحت بغيظ وبعدين معك يا مدلله ؟ ناقصكم ؟ على إيش يا أختي ؟ على إيش ؟ ما ظل إشي نخاف عليه . علي الطلاق إني مستعدة أموت من غير ما أنزل دمعة ومستعدة أقلع عين ديان الصحيحة و اللي بدهم إياه يعملوا "[٣] .

و يظهر الحوار ملامح من شخصيتها فهي امرأة متمردة متبلدة ، لا تحس بالضرب لأن الجميع كان يضربها فأصبح الضرب شيئاً عادياً . " - هه، ضربوني، و الله قتلة حرزانة تعبي الراس ، طز ، أكلت مثلها بعدد شعر الراس . الأب يضرب و الجوز يضرب واليهود تضرب، ضرب في ضرب لا و الله ضرب اليهود أحسن ، على الأقل الواحد بحس إنه محترم. بكرة أخرج وأقول اعتقلوني "[٤] .

---

[١] - الرواية ، ص ، ٧٠ .
[٢] - الرواية، ص ، ٧١ .
[٣] - الرواية، ص ، ٧٧ .
[٤] - الرواية، ص ، ٨٢ .

و رسمتها من خلال التذكر والعودة إلى الماضي " الاسترجاع " حيث تكشف العودة إلى الماضي طبيعة الشخصية ، فقد عاشت يتيمة تعاني من القمع والفقر والعذاب ، وبعد أن كبرت تزوجت من رجل متزوج له أولاد كبار ، والكل كان يضربها ، فأصبح الضرب عندها أمراً عادياً ، وبعد هربها من زوجها تركت أولادها وسقطت ، فكانت ضحية لمجتمع لا يرحم ، فالمجتمع هو الذي دفع خضرة الفقيرة إلى التمرد والسقوط بعد أن حرمها من أبسط حقوقها في العيش ، الطعام والشراب والمأوى ، " أول قتلة مضبوطة أكلتها كانت فوق أمي . خرجنا من البلاد على رجلينا مشي . كنا نمشي و الدم بين رجلين أمي يسيل . كانت نفسا . و الولد مات بين يديها ... وارتمت على الأرض وغمضت عينيها وراحت للي خلقها . وصرت أصيح وأقول يما والرصاص و العرب وأبوي يصيح وأنا أصيح . وما قمت عن أمي إلا بعد ما أكلت قتلة ولا إلي شفتيها بعينك "[١] .

وهي بالرغم من كون أنها امرأة ساقطة اجتماعياً ، فهي ترفض أن تكون جاسوسة وعميلة ، فالحوار يكشف أنها امرأة وطنية فغضبت عندما قالت عنها النسوة في الحمام جاسوسة" ونظرت باتجاه سعدية :أنا جاسوسة ؟ أنا يا بلد جاسوسة ؟ أنا اللي بست تراب رجلين رجالك وحملتك في الليالي السود من مخيم لمخيم و من شارع لشارع ، وسحبتك من إيدك والضرب فوق راسنا شغال وما مديت إيدك تساعديني أو تساعدي حالك . وظليت تصيحي وتقولي : منشان الله أنا جاسوسة ؟

وقفزت الدموع إلى عينيها فجاءة ، فدبت النار في قلب سعدية وبدأت تبكي . وواصلت خضرة ودموعها تسيل و الحسرة تموج في صوتها و العتاب "[٢] ، وبذلك تكون الساردة قد رسمت شخصية خضرة من خلال التذكر والحوار .

٤- رسم شخصية نوار الكرمي :

ترسم الساردة الشخصية من خلال الأسلوب التصويري والسرد ، " مرت أمامه كعود الخيزران .كانت ترتدي بنطلوناً وقميصاً بسيطين . وشعرها الأملس الطويل منسدل على بشرتها . بشرتها صافية كالحليب "[١] .

---

[١] - خليفة سحر، عباد الشمس ، مصدر سابق ، ص ، ٨٤ .
[٢] - الرواية ، ص ، ١٧١ .

" البنت تكبر، في منتصف العشرينات، وغداً تصبح في الثلاثينات وما زالت تنتظر . وماذا تنتظر؟ تحقيق الحلم ؟ وما كانت الأحلام قيد خطوة أو خطوات سنوات قد تعقبها أجيال، الشعوب تراهن على التاريخ ، أما تاريخ الفرد فأقصر "[٢] .

ومن خلال الحوار مع الشخصيات "وانتبهت لسعدية وهي تتساءل : - قسمتهم .. يعني اللي يموت نموت معه ؟ واللي ينحبس ننحبس معه؟ ما هي مزحة ، فاهمة ؟ وتستني يا نوار حتى يضيع شبابك ؟ "[٣] . فهي شخصية رقيقة وشفافة تشعر مع الأطفال .

كانت في البداية شخصية صلبة ثم وهنت " قال مازحاً : - يحلّها الحلال

قالت بحدية : نحلّها نحن

رمقها . متفحصاً . تساءل : - و الحياة صعبة . أليس كذلك ؟

وأحياناً يضطر الإنسان لأن يطأطأ

رفعت عينيها . سحبت كتبها من يده :

الأقوياء ، لا يطأطئون .

وهل أنت قوية ؟

أحاول "[٤] . فهي ترفض الاستسلام والرضوخ للأمر الواقع وتظهر نوعاً من الصبر والجدية والتحمل ، فالسنوات تمر وما زالت تنتظر صالح الصفدي القابع في سجون الاحتلال .

٥- رسم شخصية رفيف :

قدمت شخصية رفيف من خلال الأسلوب التصويري ،رسمتها من خلال الوصف والتصوير ،" وعلى شفتيها ابتسامة فيها مزيج من الشهوة والانجذاب العلوي . فيها شيء يثير الروح و الحواس معاً و الضوء و الليل وبرد آذار ورفيف كل ذلك

---

[١] - خليفة سحر ، الصبار ، مصدر سابق ، ص ، ٣٢ .
[٢] - خليفة سحر ، عباد الشمس ، مصدر سابق ، ص ، ٣٨+٣٩ .
[٣] - الرواية، ص ، ٢٩ .
[٤] - الرواية ، ص ، ٣٣ .

يعطي إحساساً باحتدام العالم "[١]. ومن خلال الحركة الخارجية . " وصاحت وهي تدور حول نفسها :

دوري يا دنيا دوري . ورفعت وجهها للسماء وهي تطلق عواءات حيوانية ، مزيج من العذاب وفرح الطفولة . شعرها يطير وعيناها تموجان ، فأحس بها قريبة جداً منه . وأن العالم دافئ ،له طعم النبيذ، وأراد أن يحتويها ، وأن يقول لها أشياء حميمة ، وأن يقبلها ، وينام معها ، على الحشيش ، وأن يستمر معها في الطيش و الجنون و النسيان . لكن الواقع أزمة ... وضع يده حول خصرها وحاول أن يشدها إليه . أجفلت وارتدت عنه . واستدارت بوجهها وهي تحاول الابتعاد "[٢] . فالوصف السابق يعطي صورة لامرأة متحررة تعبر عن نفسها من خلال أصوات الحيوانات ، يحبها الرجل ويحاول التقرب إليها ، ولكن الواقع والشرط الاجتماعي للفرد يمنعه من ذلك .

و رسمتها من خلال الحوار الذي يظهر لنا امرأة متعلمة مثقفة ، تجعل قضية المرأة من قضية الوطن ، وترى أن رجال الشرق معقدون ،" قضية الوطن مختلفة عن قضية المرأة ؟ بل هذه من تلك ولا مجال للفصل . قضية المرأة جزء أساسي من قضية الوطن . يحلون عقدهم على حسابي فاتعقد وأعقدهم معي، و الحلقة اللانهائية تدور تدور، وندور معها "[٣] . وجدت أن زاوية المرأة لا تعبر عن طموحها فسأمتها وحاولت تركها ، لأنها لا تعبر عن طموحاتها ، وترى أن ما تقدمه مجموعة من السخافات ، وترى أن المرأة مساوية للرجل في إنسانيتها وعليها أن تقرأ ما يقرأه الرجل .

" - وزاوية المرأة ؟

- سئمتها ، أفكر بتركها ...
- ولماذا نستمر في تقديم هذه السخافات ؟

... إن كنت تقدميه فعلاً فعلينا التوقف فوراً عن معاملة المرأة كما لو كانت شريحة اجتماعية منفصلة .هي إنسان وعليها أن تقرأ ما يقرأه الرجل .اهتماماتها هي نفس

---

[١] - الرواية ، ص ، ١٦ .
[٢] - الرواية، ص ، ١٦+١٧ .
[٣] - خليفة سحر ، عباد الشمس ، مصدر سابق ، ص ، ١٧ .

اهتماماته ،فلماذا نخصص لها زاوية منفصلة ؟ سخافة "[١] .فتطالب بالتغيير ، لأن الوضع الحالي لا يعبر عن طموحات المرأة .

وترسمها من خلال الحوار الداخلي ، الذي يلقي أضواء داخل الشخصية ، فهي كامرأة مثقفة ، ترى أن الغيرة ليست غريزة في المرأة ، بل هي إحدى الرواسب القديمة التي أوجدها المجتمع ، بسبب الكبت وعدم الثقة ، والمفاهيم الاجتماعية الخاطئة ، التي تجعل من المرأة كائناً آخر غير الإنسان .

" كفى سخفاً ،أغار عليه .الغيرة ليست غريزة ،بل غريزة ،بل إحدى الرواسب المختلفة وبصمة من بصمات الكبت وعدم الثقة ،ونزعة للاحتكار والاحتلال وكل ما هو ضيق . المفاهيم العفنة و الجذور الممتدة من بداية العصر البطريركي "[٢] .

ومن خلال الحدث حيث تقدم مشروعاً جديداً ، منافساً للمشروع الذي قدمه عادل الكرمي ، فهي ترى أن من حق المرأة نصف المجلة ، لأنها نصف المجتمع ، فالزاوية تتخذ طابع الرشوة والمهدئ ولا تعطي المرأة كل الاهتمام ، وطرحت مشروعها " قالت رفيف وهي تنظر في وجه المدير وحده – لدي مشروع مشابه لمشروع عادل ،إلا أنه لا يحتمل طابع المجازفة التي أخافتكم .فهو من ناحية سيزيد من عدد قراء المجلة فترتفع نسبة المبيع ،وهذه المسألة واردة ولا نستطيع إنكار أهميتها يا أستاذ عطا الله "[٣] .

وشرحت وجهة نظرها، "إن الزاوية تمر بمشاكل المرأة مرور الكرام دون أن تتوغل فيها وتحاول نبشها بشكل جدي ،وبذلك اتخذت الزاوية طابع المهدئ و الرشوة بدل أن تتخذ طابع التثوير و التوعية "[٤] . " فلماذا لا نقدم لها مقابل ما تدفعه فائدة حقيقة تساهم في رفع مستواها الفكري ووعيها الوطني و الثوري ؟ "[٥] . و المشروع هو " قالت وقد استعادت قدرتها على التحدي و الثورة : - وبناء على كل ما أوردت أقول : لنصف الشعب الحق في نصف المجلة "[٦] .

---

[١] - الرواية ، ص ، ١٠٧ .
[٢] - الرواية، ص ، ١١٠ .
[٣] - خليفة سحر ، عباد الشمس ، مصدر سابق ، ص ، ١٤١ .
[٤] - الرواية، ص ، ١٤٢ .
[٥] - ا لرواية، ص ، ١٤٣ .
[٦] - الرواية، ص ، ١٤٧ .

ويكشف الحوار الداخلي طبيعة الشخصية ، ويلقي لنا أضواء على عالمها الداخلي ، فرفيف ترى أن مشكلة المرأة الحقيقية ، أنها تتعامل بالعاطفة وأن تفوق الرجل عليها جاء من خلال تعامله بالعقل ، " أشعلت سيجارة وهي تهتز ذلاً وحسرة لو أني ما كنت عاطفية لما أحببت بهذا العمق ،و لما آلمني الجرح بهذا العمق .اللعنة على العواطف وكل العاطفيين "[١] .

فبعد تحررها من قيد العاطفة ، نضجت وغيرت طريقة تفكيرها ، فرفضت تخطي الحاجز وحدها ، وترى أن الرجال يخافون من المرأة المثقفة المتعلمة ، خوفاً من أن تتفوق عليهم وتعتاد العيش بدونهم ، " قالت ورأسها مازال في النافذة : - وما فائدة أن أتخطاه وحدي ؟ أية أحداث سأغطي ،أنا وحدي ؟ ... كبرت يا رفيف ... ألهذا يصعب عليهم تطبيق مبادئهم تجاه المرأة ؟ يخافون أن تقوى عليهم وتعتاد العيش بدون حمايتهم فتفقد الحياة طراوتها ... ولكن لذلك ثمناً باهظاً، و الثمن حريته "[٢] .

٦- رسم الشخصية نزهة:

قدمتها من خلال الأسلوب التصويري ،" وجه برئ ولسان بذيء وفعال قذرة ! من يقول إن وجهاً كهذا باستطاعته التفوه بأقوال كهذه ! "[٣] ، فكانت نزهة انعكاساً لبيئة سيئة عاشت بها وعانت فيها العذاب والقمع .

و الحوار مع الشخصيات يظهر لنا أنها شخصية مرفوضة من قبل المجتمع ، لأن الجميع ينظرون إليها بعين الشبهة ،"- أنا ميت مرة طلبت أشوفك ترجيت عمتك وبوست إيدها ورجليها وحلفتها بالله ومحمد وكل غالي عليه، وما فيش فايدة . حتى بالأول قبل ما أحكي معها، كنت أقول صباح الخير وكانت ترد الصباح . بس هالقيت بقول صباح الخير بتعمل حالها ولا هي هون. شو صار للدنيا ؟ شو صار للناس؟ إذا كانت الانتفاضة هيك بدناش انتفاضة "[٤].

ومن خلال حوارها مع سمر ، نعرف أن نزهة غير مهتمة بالانتفاضة ، وغير مهتمة بالتغيرات التي طرأت على المرأة خلال الانتفاضة ، " بس بدي أفهمك إني لا

---

[١] - الرواية ، ص ، ١٤٩ .
[٢] - الرواية، ص ، ٢٥١ .
[٣] - خليفة سحر ، باب الساحة ، مصدر سابق ، ص ، ٧٤ .
[٤] - خليفة سحر ، باب الساحة ، مصدر سابق ، ص ، ٧٣ .

قلقانة بالانتفاضة ولا قلقانة بالمرأة ولا قلقانة بالناس . ما تسألينش ليش ومش عارفة إيش وتعملي حالك مش عارفة ، إنت عارفة وأنا عارفة و الحارة كلها عارفة . وأنا بعد اللي صار و اللي جرى لا أنا قلقانة بحدا ولا سائلة عن حدا . يعني ضاربتها صرمة "[١] .

فهي تعيش وحيدة بعد موت الأب والأم وزواج الأخوات فلا يتعرف عليها أحد ، ويكشف حوارها مع سمر عن المصائب التي حلت بالفتاة منذ الصغر ، فقد تزوجت صغيرة من رجل يكبرها بعشرات السنين ، لأن أمها لم تستطع أن تتحمل مصاريف البيت بعد موت الأب ، ثم هربت نزهة مع حلاق أوهمها بأنه يحبها وعندما نال غرضه منها تركها " البنتين متزوجات في الزرقاء و السعودية و الله ساتر عليهم . وأخوي الكبير هرب لأمريكا ، وأخوي الصغير في الجبال ، وأنا زي ما انت شايفة ، قاعدة هون .

- أنت في الدار لحالك ؟
- لحالي لبالي لا سائلة عن حدا ولا حدا سائل عني "[٢] .

ويأتي حديث الشخصية عن نفسها ، ليكشف عن شخصية قوية متمردة تعمل ما يحلو لها ، بدون أي ضابط فالتذكر يكشف لنا عن فتاة قوية صلبة متمردة على الواقع منذ أيام المدرسة ، حيث كانت تهرب من المدرسة وتشارك في المظاهرات ،" أنا هيك طبعي ، لا بخاف ولا بحسب حساب ، طول عمري هيك ، اللي يخطر على بالي بعمله من أيام المدرسة كنت هيك . كنا لما نطلع في المظاهرات أنط عن سور مدرسة الأولاد وأخرج أولاد الصلاحية و الجاحظ و العامرية وكل هداك الخط . كانوا الأولاد مسميني الكاسرة "[٣] .

فحديث نزهة عن نفسها يظهر لنا أنها إنسانة تحب وتخلص وتشعر وتتألم ، " حتى نزهة ، لما بتحب ، بتحب كتير ، ولما بتخلص ، بتخلص كتير ، ولما بتحس ، بتحس كتير ، ولما تتوجع ، برضه كتير "[٤] . " طبعاً بعرف ، ليش أنا هبلة ؟ ولا يعني عشان

---

[١] - الرواية ، ص ، ٨٤ .
[٢] - الرواية ص ، ٨٦ .
[٣] - الرواية، ص ، ٩١ .
[٤] - خليفة سحر ، باب الساحة ، مصدر سابق ، ص ، ١٧٤ .

أنا شقرا وبيضا ودمي خفيف وساكنة بهالدار ، وحتى بهالدار أنا إنسانة ، إلي قلب وروح وبخلص كتير للي بحبه أنا إنسانة ، ليش ما بتفهم "[١].

ومن خلال حديثها عن أمها يظهر لنا أنها كانت تحب أمها ، لأن أمها هي الأخرى كانت ضحية للمجتمع والجهل ، فالمرأة الفقيرة غير المتعلمة تكون فريسة سهلة الوقوع والسقوط ." - أحبها ليش الكذب ؟ ولحد هالقيت ببكي عليها، ومهما قالوا عنها مش ممكن أصدق. أمي عميلة ؟ مش ممكن . طب أنا يوم ما انحبست ما حدا وقف معي إلا هي ، ما اتخلت وقفت معي من أول دقيقة لأخر دقيقة . وكانت تعرف كل اشي، لو كانت بدها تحكي حكت، بس ما حكت "[٢] .

فعملها بالسياسة لم يكن من أجل فلسطين ، بل كان من أجل القائد عاصم المربوط ، الذي غرر بها وخدعها من أجل الوصول إلى أهدافه الشخصية " حب للمربوط ومش لفلسطين . أنا لما بديت ألعب بالسياسة، ما لعبتهاش عشان أحرر البلاد . طز و طزين ، مش قلقانة ! بس لما حبيته ابن ها العرص انعمى ضوي . صرت حايرة كيف أرضيه . قاللي روحي على ناتانيا رحت ، روحي على تل أبيب رحت ، سايري الضابط سايرت ، اشتري سلاح اشتريت ، خبي سلاح خبيت ، لو قاللي روحي الهند و السند و المريخ كنت رحت . حبيته ، بقولك حبيته صحيح "[٣] .

وتنمو شخصيتها من خلال الحدث ، فموت أحمد دفعها إلى المقاومة والنضال ، وغير في شخصيتها فجعلها شخصية إيجابية ، تعمل في المقاومة من أجل أحمد الشهيد وليس من أجل هدف شخصي كما كان مع عاصم المربوط ، " وقفت نزهة وسط الساحة تتطلع نحو المشهد بوجه جامد. هناك الجنود فوق النقطة ، وهناك النسوة في الساحة ، والشباب مازالوا ينحتون ببطء شديد جسم الصخرة . معاول ومناشير ومقادح . همست بذهول : لشو هالضجة ؟ وكله ، وكله عشان غولة ! ومشت تترنح نحو الفتاة ، وكانت النسوة حواليها و الحجة و شنطتها المفتوحة . كانت الزجاجة ملقاة بجوار الجدار تحت العلم. حملت الزجاجة وفتحتها ببطء شديد، ورشت السائل على اللونين ،

---

[١] - الرواية، ص ، ١٧٥ .
[٢] - الرواية ، ص ، ٩٣ .
[٣] - الرواية ، ص ، ١٠٤ .

ومدت يدها ، وحملقت في وجه سمر. همست سمر : أخيراً عملتيها يا نزهة ؟ هزت رأسها بدون تأثر وهمست بفحيح : مش عشان الغولة، عشان أحمد . وتناولت عود الكبريت "[١] .

٧- رسم الشخصية نهلة :

قدمتها من خلال الأسلوب التصويري والسرد ، و التذكر" هذا اللي نلته من عمري ، وهذا اللي ضيعت شبابي في الغربة عشان أناله ! هذا اللي نلته من عمري ، هذا اللي صرفت عليه من شقى عمري وعرق الكويت عشان ألقاه ؟ "[٢]. " وأنا في الكويت زي البقرة أحلب وأعلم واربي وهم دايرين ومش سائلين . كل واحد عنده عر ولاد ومرة وثنتين وأنا قاعدة هون زي التيسة أداري الرجال المجلوط "[٣] ، فالتذكر السابق " الاسترجاع " يكشف لنا عن جوانب من هذه الشخصية ، فقد كانت تعمل معلمة في الكويت ، وتنفق على الأسرة ، وقد مرت السنوات سريعاً ، فوجدت نفسها في الخمسين من عمرها ، بلا زوج ، بلا ولد ، بلا أسرة ، ولذلك فهي تعاني من الوحدة والحرمان العاطفي والأسري . في السابق كانت نهلة مركز اهتمام الأسرة عندما كانت تعمل في الكويت ، حيث كانت تنفق على العائلة ، فالجميع كان يهتم بها لأنها كانت تحقق مصالحه الشخصية المادية ، فكانت نموذجاً للتضحية والإيثار .

ويأتي حديث الراوي عنها ليفسر لنا التغيير الذي طرأ على حياة نهلة ، فقد أصبحت تهتم بنفسها وتحاول البحث عن شريك فهي تعاني من الحرمان العاطفي والجنسي " واقع امرأة في الخمسين كانت حلوة، نضرة، صغيرة، مليئة بالحب والعواطف، أفاقت فجأة ووجدت نفسها ابنة خمسين، بلا مأوى وبلا جدوى وبلا إشباع . فعادت تلملم دنياها وما بقي لها من واقعها و تحاول عبثاً أن تحيا . بدأت ، مثلاً ، تضع الكحلة في عينيها ، كحل خفيف خجول صغير ، كسر صغير ، ثم الأحمر على خديها ، وتلف شعرها بالرولات كل ليلة ، وتنزل إلى نابلس كل خميس وتعود بأكوام الملابس و الدناديش. وتقعد في غرفتها طول النهار تقيس الفساتين وتجرب الكحل "[٤].

---

[١] - الرواية، ص ، ٢٢٢ .
[٢] - خليفة سحر ، الميراث ، مصدر سابق ، ص ، ٧٠ .
[٣] - الرواية، ص ، ٧٠ .
[٤] - الرواية ، ص ، ٩٥ .

ويأتي الحديث الخارجي مع الشخصيات الأخرى ، ليبين التطور والنمو الذي ظهر على الشخصية :" وقالت أنها سمعت أن نهلة تقيم علاقة مع ابن عمها السمسار ، وأن السمسار المتزوج و أبا العشرة يريد أن يتزوج من نهلة على امرأته أم أولاده وان أولاده سيجنون، وقالوا بطخوها وبطخوه "[١] . فالحوار الخارجي ساهم في دفع الحدث إلى الأمام وإلى التأزم ، فبدأت المرأة تهتم بنفسها ، وتستخدم المساحيق وأدوات التجميل . ومن خلال التغيرات التي طرأت على شخصية نهلة ، يظهر لنا هذا التغيير . " جلست نهلة أمام المرآة وبدأت تدعك بشرتها بالكريمات وبزيوت أحضرتها من عند العطار في نابلس "[٢]. " وهي نهلة ، ست الستات ، هي الفصيحة الشاطرة الحلوة ،اللي كانت حلوة وكانت نغشة وكانت صغيرة وعيوقة وما بقي في الحارة إنسان إلا خطبها وهي تقول لأ ، لأ ، لأ . طيب وبعدين ، ها أخرتها ، أخرتها سمسار ، سمسار مش متعلم بطنه منفوخ طوله شبرين الحطة نازلة لعيونه وعيونه دائماً منفوخة لكن نظرته معقولة فيها غليان وتحركها من فوق لتحت "[٣] .

وتسهم الأحداث سلوكها ،فمقتل السائق يجبرها على البقاء في نابلس" انحبست نهلة في نابلس بفضل مقتل سائق صهريج للبنزين .أغلقت المدينة وحوصرت وفرض نظام منع التجول "[٤] .

أما الحوار الداخلي فيبرز آمالها وتمنياتها ، فهي تتمنى العودة إلى الماضي كي تحقق بعض الذي فاتها ، من زواج وحمل وولادة . " آه يا خسارة ، لو عشر سنين ، لو عشر سنين ناقص عمري كان ممكن أحبل وأخلف وأجيب لي ولد . لكن هالقيت ، له يا خسارة ، يالله شو نعمل ، و لا البلاش "[٥].

" إذ بعد يومين اختفت نهلة . هربت إلى القدس ولجأت إلى البيك ثم إلى أميرة ... وكانت صدمته كما توقعنا مضاعفة لأن نهلة ، على حد قوله، ضاعت مرتين : ضاعت بالجسم وضاعت بالعقل . وبدا متأثراً وخائفاً من الفضيحة أكثر من قلقه على نهلة "[٦] .

---

[١] - الرواية، ص ، ٩٦ .
[٢] - خليفة سحر ، الميراث ، مصدر سابق ، ص ، ٩٦ .
[٣] - الرواية ، ص ، ٩٨ .
[٤] - الرواية ، ص ، ١٠٩ .
[٥] - الرواية ، ص ، ١١٤ .
[٦] - الرواية، ص ، ١٥٩ .

فهروب نهلة دفع بالحدث إلى التأزم مما جعل البيك والست أميرة يتدخلان من أجل تزويج نهلة ولم الموضوع .

أما صراعها مع أخيها سعيد ، فأنه يكشف بعداً جديداً من أبعاد شخصيتها ، وهو الدفاع عن النفس وعدم الاستسلام للواقع ، " وبدا يدق وهو يصيح : افتحي يا عايبة يا بنت الكلب ، وهي تصرخ من خلف الباب : أخرج بره ، والله لأناديلك البوليس . لكنها كانت تعرف ، وهو يعرف ، ألا شرطة وألا بوليس ، فالبلد فوضى بدون حكم وحكومة وبدون رقيب "[١] . " ثم فجأة انفتح الباب ورأيت تقف هناك وبيدها مسدس ضخم تصوبه إلينا بيد مهزوزة ومرتعشة . لم تقل شيئاً ، فقط تصوب وهي تحملق "[٢] .فالحدث ساهم في تأزم الموقف وكشف لنا أن كثرة الضغط يولد الانفجار ، فنهلة الضعيفة المستلبة ، هبت فجأة لتدافع عن نفسها ، وأطلقت النار على أخيها سعيد ، ورفضت التنازل عن حقوقها ، وهذا يكشف عن جانب مهم في شخصيتها ، وهي أن نهلة المستلبة رفضت التفريط في حقها مرة ثانية في الحياة ، لأنها تعلمت من المرة الأولى فكثرة التنازلات جعلها إنسانة عديمة القيمة ، أضاعت عمرها من أجل لا شيء ،وبذلك نجد أن الكاتبة قد قدمت هذه الشخصية من خلال الأسلوب التصويري وجعلت القارئ يتعرف عليها شيئاً فشيئاً .

٨- ميرا الفتاة اليهودية :

قدمت الساردة هذه الشخصية من خلال الأسلوب التصويري ، الذي يعتمد على الحدث والحوار ، في الكشف أولاً بأول عن الشخصية ، فصورتها من خلال الحوار كشف عن صداقة بريئة بين طفلين ، دون أن تثير الأحداث أحقادهما ،" فامسك بالكاميرا وصوبها نحوها و ادعى أنه يقوم بالتصوير فخبأت وجهها بين كفيها وهزت رأسها وقالت " لو، لو" فقال ضاحكاً " لو لو : لا لا ؟ "... ورأت الكاميرا معلقة على صدره، فحدقت فيها مبهورة وقالت همساً : " كاميرا ديجتال ! " ... وقال باعتزاز " ساعة ديجتال "[٣]. " لكنه سمعها تقول " آني ميرا " فهز رأسه وابتسم لها وهو يشير

---

[١] - الرواية، ص ، ١٦٣ .
[٢] - الرواية، ص ، ١٦٤ .
[٣] - خليفة سحر ، ربيع حار ، مصدر سابق ، ص ، ٤٤+٤٥ .

إلى صدره " أنا أحمد، أنت ميرا " قالت مرددة خلفه " آني ميرا آتا آهمد " - ويظهر هنا تدخل الساردة التي وضحت بعض الأشياء ، مثل عدم مقدرة أحمد على إفشاء سر هذه العلاقة بينه وبين ابنة مستوطن - وهكذا وصارا صديقين، أو ربما مشروع صداقة سر صداقة . سر لا يجرؤ على البوح به حتى لأخيه ولا لأمه فمن هي صديقته هذه ؟ ابنة مستوطن بطاقيه ورشاش ضخم، وأبوه يقول من أوسخ بشر "[١] .

ومن خلال حديث الشخصيات الأخرى ، نعرف أن أحمد ذهب إلى المستوطنة ، للبحث عن قطته ،حيث إن حديث عيسى أزم الموقف ودفعه إلى الذهاب للمستوطنة ، " آه يا عنبر .. قال عيسى إن ميرا اشترت لها سلة من القش مثل السرير وله فرشة واشترت لها علب التونا وبسكويت صغير عليه صور لقطط تضحك لكن العملية لا بد منها . أم ميرا قالت هيك أحسن، أنظف وأحسن، إحنا ناقصنا ؟ القطة تحبل وتفقس مثل العرب "[٢] .

فكشف عيسى عن حال القطة التي وضعت في قفص خوفاً من هربها " قال عيسى أن ميرا تحبس عنبر في قفص كبير حتى تعتاد، لأن القطط تهرب وتعود إلى بيتها حيث نشأت. هذا ما قالت أم ميرا، وهذا ما سمع عن القطط من كل الناس. لكن، لكن. لكن ماذا ؟ عنبر في القفص ويوم الخميس العملية "[٣] .

وصورتها من خلال الحدث ، الذي أدى إلى تطور العلاقة بينها وبين أحمد ، ومن ثم تأزمها ، حيث خرجت له ميرا في البداية من تحت الشبك ، ومن ثم تأزم الحدث بعد سرقة ميرا للقطة ، مما دفع ذلك بأحمد للدخول إلى المستوطنة ، ومن ثم الحكم عليه بالسجن " وأعطته العمود وظلت تقول " هات، هات "، وهو يرفع. ارتفع الشبك وأصبحت الفتحة تتسع لطفل فبدأت تزحف. وقف على قدميه وابتعد خطوة وحرك يديه مشيراً لها أن تتراجع وهو يردد " لولو، لالا. " لكنها زحفت نحوه وصارت عنده. ورفعت يدها فمد يده بتلقائية وسحبها إليه. هجم بوبو على الاثنين وأخذ ينبح ويلحس ساقيها ويرفرف بذيل النخلة "[٤] . فهروب القطة كان سبباً في دخول أحمد للمستوطنة ،

---

[١] - الرواية، ص ، ٤٧ .
[٢] - الرواية، ص ، ١٢٠ .
[٣] - خليفة سحر ، ربيع حار ، مصدر سابق ، ص ، ١٢٢ .
[٤] - الرواية ، ص ، ٥٣ .

" ميرا تركته يبحث وحده. نظرت إلى القطة وابتسمت وقالت " يوفي " لكنها حين نبح الكلب على القطة لم تبد اهتماماً ولا قلقاً . اختفى الكلب واختفت القطة وذهبت ميرا . وبقي وحده يبحث بقلق "[١] .

ويأتي الحدث الضخم وهو حدث الاجتياح ، ليسحق هذه العلاقة ،فالاجتياح دمر كل شيء ، وخرب الأرض والمباني والمستشفيات ، وطارد الشباب وقتلهم ووضعهم في السجون والمعتقلات ، مما دفع بالشاب إلى تفجير نفسه والاستشهاد " صاحت ميرا : ارجع رفيرس . ارجع، ارجع. و الجرافة تقترب منه. .. صلية رشاش ثانية فطار صوابه. صور من غير صور، داخل عقله، إن بقي عقل. واندفع بكامل أجنحته مثل الصاروخ نحو العسكر ... فصاح الوالد : ابني استشهد ! وفي اليوم التالي سمعنا الخبر قالوا : إرهاب "[٢] . وبذلك تكون الساردة قد قدمت شخصية ميرا من خلال الأسلوب التصويري الذي يكشف عن سمات الشخصية أولاً بأول.

ثانياً : الأسلوب الاستبطاني :

وهو الأسلوب الذي يدخل من خلاله الروائي إلى العالم الداخلي للشخصية. ويسجل ما يدور في داخلها من أفكار، وما يتصارع فيه من عواطف وانفعالات ورؤى وأحلام وذكريات، كي يكشف عن حقيقة الشخصية ، وتقنيات هذا الأسلوب تستخدم في نوعين من الرواية : النوع الأول : تيار الوعي الذي يعتمد على رؤية فلسفية حديثة ،حيث ينظر إلى النفس على أنها وعاء يختزن مواد أولية وهذه النظرة متأثرة بدراسات علم النفس ، و النوع الثاني يستخدم الأسلوب الاستبطاني في رسم الشخصية، حيث يبرز ما في داخلها مرتبطاً مع الخارج ، فالرواية النفسية تقسم إلى اتجاهين : " الرواية الذهنية ، ورواية تيار الوعي . ويقوم هذا التقسيم على أساس أن الأعمال الأدبية التي قدمها " هنري جيمس " تمثل مرحلة النشاط الذهني ، أو مرحلة التفكير والكلام ، على حين تهتم رواية " تيار الوعي " بمرحلة ما قبل الكلام ، ذلك أن النشاط الذهني يمثل الجزء الظاهر من الوعي ، وهناك مناطق مجهولة ترقد تحت هذا السطح هي مجال رواية تيار الوعي . وأصحاب هذا الرأي يشبهون الوعي بكتلة الجليد ، فإذا كان الذهن

---

[١] - الرواية، ص ، ١٠٩ .
[٢] - الرواية، ص ، ٣٧٣+٣٧٤ .

هو الجزء الظاهر فالوعي هو كل الكتلة التي يجب أن يهتم بها الأديب في رواية تيار الوعي "[١] . فالإنسان كائن اجتماعي له مجموعة من العلاقات لا يمكن أن يعيش منعزلاً عن الآخرين ويستخدم هذا الأسلوب مجموعة من التقنيات أهمها : الحوار الداخلي و التذكر و الحلم والتداعي .

ويعتمد هذا الأسلوب على " التحليل النفسي للشخصيات، عن طريق تفسير كل شخصية بسلوكها، وبصدى كل حدث في أعماقها، وتغير هذا الصدى بتغير الحالات. وفي هذا التفسير الموضوعي يرمي الكاتب إلى استبطان الوعي الداخلي لشخصياته، فالأحداث لا قيمة لها إلا في كشفها عن هذا الوعي ، وهم الكاتب في هذه الحالة منصرف – بخاصة – إلى الكشف عن أحد الأبعاد النفسية، وهو في العمق قد يلجأ إلى الكشف عن هذا العمق بالحديث النفسي للشخصية "[٢].

وهو " الأسلوب الذي يمكن الروائي من ولوج العالم الداخلي للشخصية الروائية ، وتصوير ما يدور فيه من أفكار ، وما يتصارع فيه من عواطف وانفعالات ، وما يتناوب عليه من رؤى وأحلام وذكريات في عفويتها وتلقائيتها ، كاشفاً بهذا التصوير حقيقة تلك الشخصية في خصوبتها وتفردها ، مع حرصه على الاختفاء من أمامها دون أن يفقد حيوية أسلوبه وعفويته ، ودون أن يتحول في عمله هذا إلى عالم من علماء النفس " [٣].

فالشخصية عند أصحاب هذا التيار وحده مستقلة عن العلاقات الإنسانية والاجتماعية ، يسعى فيها الكاتب إلى إظهار الصورة الداخلية للشخصية ، فالشخصية الروائية مثل المحيط ، لا يظهر على سطحها سوى القشور بينما يمور الداخل ، بالتيارات والأعماق المظلمة المخيفة ، بتناقضاتها وهيجانها وسكونها دون تدخل من الروائي . حيث يسعى هذا الأسلوب إلى " ارتياد مستويات ما قبل الكلام من الوعي بهدف الكشف عن الكيان النفسي للشخصيات " [٤].

---

[١] - عبد الله عبد البديع ، الرواية الآن ، مرجع سابق ، ص ، ٩١ .
[٢] - هلال محمد غنيمي ، النقد الأدبي الحديث ، مرجع سابق ، ص ، ٥١٨ .
[٣] - سماحة فريال كامل ، رسم الشخصية في روايات حنا مينة ، مرجع سابق ، ص ، ٤١ .
[٤] - روبرت همفري ، تيار الوعي في الرواية الحديثة ، ترجمة محمود الربيعي ،د. ط، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٧٤، ص ٢٢.

١ـ رسم شخصية عفاف في رواية مذكرات امرأة غير واقعية:

استخدمت الساردة الأسلوب الاستبطاني في رسم شخصية عفاف ، الذي يعتمد على إجلاء البواطن الداخلية للشخصية ، عن طريق تيار الوعي " المنولوج الداخلي " والتذكر ، والرمز والإيحاء ، والأحلام فالصور مرتبطة بما يدور بالعالم الخارجي ومتأثرة به . حيث صور هذا الأسلوب الشخصية بتلقائيتها وعفويتها كاشفاً حقيقة هذه الشخصية، وما يمور في داخلها من مشاعر وأحاسيس ، دون أن تتحول الكاتبة إلى عالمة نفس ، فقد فرضت رؤية الرواية استخدام هذا الأسلوب في رسم هذه الشخصية ،لأن الشخصية ضعيفة ومأزومة ، لا تستطيع أن تعبر عن مشاعرها وأحاسيسها بشكل صريح ، فذلك يسبب لها المشاكل مع العالم الخارجي ، التي لا تستطيع مواجهته .

رسمتها الساردة من خلال عمليات الإسقاط على القطة ، والرمز بالتفاحة ، وترجع أهمية الرمز في الرواية إلى " أنه إحدى الوسائل التي تعبر عن الحالات الذهنية القائمة على التصورات الغامضة ، التي تسقط سريعاً على الذهن وتجري فيه ، ولا يمكن أن يعبر المؤلف عنها بطرق التعبير المباشرة ، لأن عملية التداعي الذهنية ، لا تسير وفق تسلسل منطقي مرتب ، ولكنها لحظات طارئة سريعة ، تتمثل على هيئة أفكار متتالية ، أو صور كثيرة لا يمكن السيطرة عليها أو إيقاف تدفقها لأنها بعيدة عن سيطرة العقل الواعي ، فهي تتم بصورة غامضة أو مبهمة ، ولا تخضع لمقاييس المنطق . ولذلك يكون التعبير الرمزي الإيحائي معادلا مكافئاً لها ، يمكن الكاتب من أن يعبر عما لا يمكن التعبير عنه عادة "[١] . ولذلك كانت القطة معادلاً موضوعياً للتعبير عن مشاعر البطلة والكشف عن الحرمان الجنسي والعاطفي الذي تعاني منه، " ولهذا كنت أعي عمليات الإسقاط التي أقوم بها من خلال قطتي وكنت أكتشف اكتشافات مذهلة حول عالم الإنسان والحيوان معاً من خلال قطتي وأنا "[٢]. والرمز الجنسي من خلال التفاحة واضح، " أمسك بيدي يقبلها بلهفة . نفس الإحساس ، كما لو كنت تفاحة . بكيت تحت وطأة الدفء و الحنان المجنح . وقال " أنت ناعمة وحلوة " [٣].

---

[١] ـ عبد الله عبد البديع ، الرواية الآن ، مرجع سابق ، ص ، ٩٥ .
[٢] ـ خليفة سحر ، مذكرات امرأة غير واقعية ، مصدر سابق ، ص ، ٣٥ .
[٣] ـ الرواية ، ص ، ١٥٠ .

ورسمتها من خلال الحوار الداخلي الذي يكشف عن باطن الشخصية ، فتقنية تيار الوعي هو " الذي يستخدمه الروائي لتقديم المحتوى الذهني و العمليات الذهنية للشخصية عن طريق وصف المؤلف الواسع المعرفة لهذا العالم الذهني من خلال الطرق التقليدية للقصص و الوصف " [١] .

ونقرأ أيضاً هذه العبارة التي تكشف عن ملامح الصورة الداخلية للبطلة ، " ولكني لم أتوقع أن تقودني خيالاتي ويقودني إحباطي إلى هذا النوع من الجنون و السادية . السادية ! صحيح أني لم أقم بكل ذاك ... ولم أذبح عنقه كما أذبح عنق الدجاجة ، لكن المتعة التي أحس بها وأنا أتصور تلك الخيالات هي دليل على استعداداتي الكاملة " [٢] . فالحوار السابق كان انعكاساً للأحداث الخارجية ، أظهر لنا شخصية مأزومة تظهر غير ما تبطن ، فهي تعاني من حرمان عاطفي وجنسي .

ورسمتها من خلال الحوار الداخلي ، الذي يستخدم ضمير المتكلم فيظهر ذلك اضطراب الشخصية وترددها ، حيث يبين لنا الحوار سبب غيرة عفاف ، وهو استبدالها بهذا الشكل المذل ، لأنها إنسان له حريته وكرامته، " لماذا أفكر هكذا ؟ هذا ما واجهت به نفسي طوال الليل ، واهتديت إلى عدة مبررات . وربما كان مبرري الأكبر أني رأيته يستبدلني بهذا الشكل المذل بعيني . كان يغازل النسوة أمامي ويحاول إغواءهن على مسمع مني . وكان في مواقف كهذه يهمل وجودي إهمالاً تاماً كما لو كنت غير موجودة على الإطلاق . في البداية كنت أعبر عن احتجاجي واستهجاني وقرفي بطريقة من الطرق ، وحين يئست من إمكانية تغيير طباعه ما عدت أقول شيئاً ، لكن خيالاتي باتت تقول الكثير" [٣] .

و كشف الحوار الخارجي ما بين عفاف وأمها ، عن خوف عفاف من العقم ، فمن سيتزوج من امرأة عقيم ؟ " - ما عاد بيننا أسرار يا عفاف ، قولي لي وفشي لي قلبي ودعيني أفهم برضاي عليك . ما دمت آسفة على الطفل ، فلماذا أسقطه ؟ " [٤] .

" - لست على آسفة على الطفل ،كنت أريده .

---

[١] - - روبرت همفري ، تيار الوعي في الرواية الحديثة ، مرجع سابق ، ص ، ٥٦ .
[٢] - خليفة سحر ، مذكرات امرأة غير واقعية ، مصدر سابق ، ص ، ٣٦ .
[٣] - الرواية ، ص ، ٣٧ .
[٤] - الرواية ، ص ، ٣٨ .

– فلماذا البكاء و النوم إذن ؟

– لأنني تكسّحت تماماً . من سيتزوجني بعد اليوم ؟ " [١] .

وكان استخدامها لتيار الوعي في هذا المقطع انعكاساً مباشراً للخارج ، حيث كشف عن انفعالات الشخصية ، وصراعها ، وحركتها الداخلية ، فساعد ذلك القارئ على ملاحظة أثر الحدث الخارجي في تشكل العالم الداخلي للشخصية ، فالحرمان العاطفي والجنسي ظهر من خلال الرمز للحاجة الجنسية من خلال عنق الدجاجة ، فالرمز بالوتد والتوتر والماء البارد الذي يسيل يشير بشكل مباشر إلى الحرمان الجنسي " وأحياناً حين استعملها لتقطيع اللحم أتساءل وابتسامة غامضة على وجهي " لحم من هذا ؟ " وأسحب عنق الدجاجة حتى يصبح متوتراً كالوتد وأقول "عنق من هذا ؟ " ما هذا ؟ " وأحس بماء بارد يسيل من قمة عمودي الفقري حتى نهاية ظهري وأتساءل : ما الذي تفعلينه يا عفاف؟ فتقول عفاف : لم أفعل شيئاً أين الوعي يا عفاف ؟ فتقول عفاف : أي وعي ؟ " [٢] .

ورسمتها من خلال الإسقاط عن طريق الفن والتعبير من خلال الرسم ، فالمرأة لا قيمة لها في المجتمع الشرقي فالفتيات كالدود ، والقيود على الحرية بالأسوار العالية ، والعقاب جاهز لكل من يخرج على العرف " وباتت الوجوه المرسومة أكثر تجهماً وجنوناً.وباتت الواني أكثر شراسة وخرافية.العيون ذات لون أحمر ، و الشفاه زرقاء ، وشعر منفوش وفتيات صغيرات بحجم الدود يقبعن في ساحات معتمة محاطة بالأسوار العالية العاتية وفتيات شاحبات تمتلئ وجهوهن بالندبات و الظلال السوداء وأعناقهن محاطة بحبال مشانق مدلاة من سقوف شديدة الانخفاض. وكان الناس ينظرون إلى لوحاتي بإشفاق وقرف وسمعتهم يستغيبونني ويستغيبون انحرافي وشذوذي وأنا مختبئة خلف قطع العفش الموروبة أصورهم بأشكال هلامية وأخرى وحشية ، وألسنتهم تتدلى حتى عوراتهم،وأذرعهم طويلة كالحبال وأمامهم تفاح وطبيخ وبنات" [٣] .

---

[١] - الرواية ، ص ، ٣٩ .
[٢] - خليفة سحر ، مذكرات امرأة غير واقعية ، مصدر سابق ، ص ، ٤٩ .
[٣] - الرواية ، ص ، ٥١+٥٢ .

و يكشف الحوار النوايا للبطلة وما تخطط له وما تتمناه ، " أنت نفسك ألا تتمنين أن تكوني ذكراً لا يخاف من مقص الشهر ولا من غشاء البكارة ولا من الوقاحة والقتل؟ لا تضحكي، ألا تتمنين أن يدللوك ويخدموك ويجعلوك الحارس و المحروس ويضيئوا لك الشموع و المبخرة ويرقوك من عين الحسود؟ " [١] .

أما التذكر " الاسترجاع " فيوضح ماضي الشخصية ، ويضيء لنا عن علاقاتها الراهنة ، فيكشف الحاضر ويزيده خصوبة ، ويكشف عن انفعالاتها في بحثها عن الذات ، وحيرتها وترددها في البحث عن هدف ، " ومنذ تلك اللحظة لم تفارق يدي يده، ومشينا تحت ظلال أشجار أرصفة جبل عمان كلها ، وأما أعين كثيرة ما عبئنا إن كانت تعرفنا أو لا تعرفنا. كل ما همنا أننا اهتدينا أخيراً إلى بعضنا ، وأننا نسير متشابكي اليدين، وأننا لا نحس بالوحشة التي داهمتنا ونحن ما زلنا صغيرين " [٢] .

فتذكر الماضي كشف عن قمع أسري وضغوط اجتماعية من خلال الأب والأم "لكن أبي تدخل فوراً وحسم الموقف إذ قال لابنة المفتش متملقاً " الفضل لك فأنت الفنانة الأصلية "[٣] وتذكر فعل الأم ." وهرعت من فورها نحو الدار ومزقت لوحة التفاحة و الطفلة الضاحكة . وبكيت كما بكيت على التفاحة المقشرة وأنا بحجم القطة " [٤] .

وبذلك تكون الساردة ، قد كشفت عن الجوانب الشخصية الغامضة من خلال الأسلوب الاستبطاني الذي استخدم تقنيات متعددة ، حيث أسهم هذا كله تجسيد رؤية الرواية وقضيتها الكلية ،فالغربة والصحراء ، والبعد عن الأهل والوطن ، والوحدة ، فرض اللجوء إلى هذا الأسلوب ، فالبطلة وحيدة بدون أطفال ، متزوجة من مقامر سكير تكرهه ، ولا تستطيع أن تواجهه بالفعل ، فلجأت إلى الإسقاط والرمز والحوار الداخلي .

---

[١] - الرواية، ص ، ٥٢+٥٣ .
[٢] - الرواية ، ص ، ١٠٣ .
[٣] - الرواية، ص ، ١٤٨ .
[٤] - الرواية، ص ، ١٤٩ .

ثالثاً : الأسلوب التقريري :

وهو أسلوب سكوني مسطح يقوم فيه السارد بتقديم الشخصية ، " التشخيص المسطح ، الذي يتراكب عامة مع التشخيص السكوني ، سجية منفردة ، ترى على أنها السجية السائدة أو الأكثر وضوحاً من الناحية الاجتماعية . وقد تكون كاريكاتوراً كما قد تكون تجريداً مثالياً "[١] . من خلال وصفها و التحدث عن مشاعرها وأفكارها ، ويستخدم في ذلك أسلوب الحكاية معلقاً على أفعالها معللاً لها فتبدو الشخصية جامدة ثابتة باهتة الملامح عاجزة عن القيام بأفعال حقيقية غير قادرة على التفاعل و التأثر بالأحداث ، " وتصبح الغلبة فيه للمادة المقدمة في السرد حيث تتسق أجزاؤها في نمط أحادي يخلو من توتر الصراع ، ثم يعقبها في الأهمية المنظور والإيقاع "[٢] وهو أسلوب مباشر يخلو من الإيحاء ، و يأتي فيه الحديث عن الشخصية بصيغة الماضي كان والكتّاب لهم طريقتان في هذا الأسلوب الأول : أن يقدم المؤلف الشخصية الروائية و الثاني : أن تقدم الشخصية نفسها من خلال ضمير متكلم. مثل شخصية ميرا الفتاة اليهودية ، وشخصية لورا الوشمي ، وشخصية أم سعاد في رواية "ربيع حار " .

وهو الأسلوب الذي سماه أحمد أمين بالطريقة المباشرة حيث " يصور الروائي أشخاصه من الخارج ويحلل عواطفهم ودوافعهم وأفكارهم واحساساتهم وكثيراً ما يصدر أحكامه عليهم" [٣]. فيقدم الكاتب الشخصيات الرئيسية " بفقرة تصف بالتفصيل المظهر الجسدي وفقرة أخرى تحلل الطبيعة الخلقية و النفسية . غير أن هذا النوع من التشخيص الجاهز قد يتضاءل إلى مستوى إلصاق صفات تمهيدية وقد تتحول الصفات الملصقة إلى حيلة من حيل التقليد بالإشارات أو التمثيل الصامت المضحك إلى شيء من السلوك المعتاد أو الإيماء أو القول الذي يعود إلى الظهور " [٤].

فهو أقرب إلى الأسلوب الصحفي التقريري الذي يعطي تقريراً عن أحداث الجرائم أو المشاكل الاجتماعية، و" حين يرسم المؤلف الشخصية بهذا الأسلوب ، فأنه

---

[١] - ويليك رينيه و أوستن وارين ، نظرية الأدب ، مرجع سابق ، ص ٢٣٠ .
[٢] - فضل صلاح ، أساليب السرد في الرواية العربية ، دار سعاد الصباح ، الكويت ،الطبعة الأولى ، ١٩٩٢ ، ص ، ١٢ .
[٣]- أمين أحمد ، النقد الأدبي ، مرجع السابق ، ص ١٢٣.
[٤]- ويليك رينيه و أوستن وارين ، نظرية الأدب ، مرجع سابق ، ص ٢٢٩.

يسطحها ويجمدها ويوقف حركة الحدث أي انسيابيته ، ويبدل الشخصية من الحيوية والعفوية رتابةً وإضجاراً ، فلا يشعر القارئ نحوها بألفة أو صداقة ، لوجود الحواجز التي تحول بينه وبينها " [١].

فالشخصية تقدم بمجموعة من الأحكام المسبقة ، دون أن تتيح للقارئ فرصة التعرف إليها ، واكتشافها أولاً بأول ، " الشخصية تقدم من البداية بمجموعة من الصفات والأحكام العامة التي تشمل طبيعتها المادية و النفسية فالرجل إذا كان خيراً فهو شجاع صادق أمين وفي ... الخ، و المرأة الخيرة الجميلة فاتنة وفية مخلصة ... الخ، والرجل الشرير دنئ حقير انتهازي ماكر، و المرأة الشريرة مخادعة كاذبة خائنة ... الخ، وهذه الأحكام العامة من طبيعتها أن تفقد الشخصيات الخيرة طابعها الإنساني، و تجعل صورتها باهتة وملائكية وجامدة، كما أنها تفقد الشخصيات الشريرة طابعها البشري أيضاً وتحيلها إلى صورة شيطانية تفقد ملامحها الإنسانية وتفقد الشخصية الخيرة نتيجة لذلك أي مظهر من مظاهر الصراع أو القلق الإنساني كما تفقد الشخصيات الشريرة تعاطف الكاتب معها لأنه يقف منها موقف القاضي القاسي الذي يحكم عليها، وتتفق الشخصيات الشريرة مع الشخصيات الخيرة في أنها تتشابه في مظهرها الخارجي وفي طبيعتها النفسية في جميع البيئات و المواقف، حزنها واحد وحقدها واحد، وتتحرك في تصرفها وانفعالها بصورة موحدة "[٢]. وهو الأسلوب الذي سماه إبراهيم السعافين بالطريقة التسجيلية، " فالطريقة التسجيلية التي تبنى بها الرواية تحول دون تعمق الشخصية ومن ثم ربطها بالأحداث ربطاً عضوياً، بحيث يتبادل كل منهما التأثير من خلال التوتر المستمر المتصاعد "[٣] . وبذلك تكون الشخصية التي تقدم من خلال هذا الأسلوب شخصية باهتة الملامح محكوماً عليها سلفاً ، والحكم غير قابل للتعديل ، لأن الكاتب قد ألصق بها صفات لا يمكن تعديلها أو تغييرها ، ومن الملاحظ أن الكاتبة قد استخدمت هذا الأسلوب ، منذ رواياتها الأولى ، ولكنها استخدمته مع الشخصيات الثانوية المسطحة ، مثل شخصية : نسرين في رواية " لم نعد جواري لكم"

---

[١] - سماحة فريال كاامل ، رسم الشخصية في روايات حنا مينة ، مرجع سابق ، ص ، ٥٠ .

[٢]- بدر عبد المحسن طه ، تطور الرواية العربية الحديثة في مصر "١٨٧٠-١٩٣٨ " ، الطبعة الخامسة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٢، ص ١٦٨.

[٣]- السعافين إبراهيم ، تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام ، ١٨٧٠- ١٩٦٧ ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨٠،ص ٢٩٩.

، وشخصية أم أسامة الكرمي وأم صابر في رواية " الصبار " ، وعادت واستخدمته في روايتها الأخيرة ربيع حار ، لأنها وقعت في شرك الصحافة ، فهي تنقل عن الصحفي رشيد هلال ، فنراها تقول : " فكل ما جاء في تلك الفصول مستمد أو مستوحى أو مستعار من تجربة الأستاذ هلال التي نشرها في صحيفة الوطن الكويتية ٠٠٠ والفقرات المدرجة بين مزدوجتين مقتطفة حرفياً – مع تنقيحات بسيطة كي تنسجم وتندمج في النص – من مذكرات الأستاذ هلال " [١] . لقد كان هذا الأسلوب في رواياتها الأولى باهتاً ، ولكنه كان واضحاً في روايتها الأخيرة ، لأنها كانت تنقل من مذكرات الصحفي الأستاذ هلال .

١ـ لورا الواشمي :

قدمتها الساردة من خلال السرد والوصف ، الذي يكشف عن فتاة متحررة تلبس على الموضة " انتبه فجاءة على صوت رقيق، ينادي، " لاكي " فنظر من النافذة ورأى بنتاً تلبس الجينز و قميصاً قطنياً لاصقاً وبلا أكمام. كانت حلوة وشابة وبيضاء بشعر أسود ملفوف في حلقات ورقبتها طويلة كالنرجس .همس مجيد " بنت الجيران أصحاب الدار "[٢] ." كانت قدمها الصغيرة في صندل يكشف أصابعها المطلية بالأبيض وساقها المشدودة بالبنطلون رقيقة ومسحوبة بانسياب يحاكي بقية أجزائها ذات التعاريج والانحناءات و الاستدارات. وبدت مستديرة في كل شيء، وجهها مستدير، شعرها مستدير، فمها، عيناها، ونهداها، وحتى حوضها وهي تجلس . ورغم نحافتها النسبية، إلا أنها ذات انحناءات واستدارات وامتلاءات . والأغرب من ذلك كله أنف مشقول كالأجانب " [٣] .

فالساردة تبين أصولها الاجتماعية وممارسات ذويها في السابق، " كان أبوها من قبيلة نور حطت رحاله مع بداية القرن الماضي في رام الله، واشترت الأرض ببضع معزات وملاقط وأسياخ لحم ومجامر، وكذلك بالرقص وضرب الودع ووشم الأوداج . ثم ترقوا، ومع الأيام صاروا حمولة ثم عشيرة، ثم كنية ذات صيت خطير بين

---

[١] ـ خليفة سحر ، ربيع حار ، مصدر سابق ، ص ، ٣٧٥ .
[٢] ـ الرواية ، ص ، ٦٥ .
[٣] ـ الرواية، ص ، ٧١ .

أهل البلد بأن الوشاشمة هو قوم غلاظ بلا أخلاق، يعملون بالسر، ثم العلن، ما يخاف الناس من ذكره. فهم يحصلون من اليهود على تراخيص للشاحنات و التكسيات و الهويات ورخص البناء مقابل سهرات وصدقات وعمولات" [١] .فالساردة من خلال الكلام السابق، يقدم لنا معلومات عن تاريخ العائلة، فهم من قبيلة نور استقرت في رام الله في بداية القرن الماضي، واشترت جزءاً من الأرض، ومع الأيام قويت شوكتهم، وصاروا عشيرة خطيرة نتيجة تعاملهم مع اليهود، فحصلوا على امتيازات وعمولات جعلت لهم شاناً خطيراً .

فالساردة تعطي صفات تقريرية عن الفتاة، فهي جميلة تحب الرقص و الغناء و العزف ومجيد، " لكن البنت حلوة ونغشة وتحب الطرب مثل الجدة، وتحب الرقص و الأضواء وتحب الغناء. لكن صوتها ليس جميلاً، فأحبت في مجيد جمال الصوت وعزف الجيتار وحلم بأجواء توصلها إلى عمرو دياب "[٢].ومن خلال تقديم المعلومات عن البنت فأبوها صاحب نفوذ وأمها كندية، فهي تملك جنسية مزدوجة، " فهي كندية – أمريكية وتعمل مراسلة للتلفزيون . أي أنها محاطة بحماية لا يملكها حتى عرفات ولا حتى شارون... فهي محمية من الجانبين " [٣].

ويأتي وصف الراوي لها مكرراً صفاتها وبعض المعلومات عنها، الذي يقدم صفات مكررة عنها وعن عملها في الصحافة، " نظر إليها ورأى دموعاً شفافة ووجهاً أحمر لكنه نظيف من المكياج و التأنق بل إن شكلها بكامله بدون تأنق : جاكيت صوفي أغبر وبنطلون جينيز كالح . ولفحة قديمة بوبر مفتول . ولفت نظره شعرها المشدود إلى الخلف بمحبس معدني يحتجز الشعر كأنشوطة فيبدو الجبين بلا هالات، بتقشف. فكيف إذن قالوا عنها تعمل مذيعة في التلفزيون ؟ ! "[٤] .

" وقالت بمرارة وحرقة قلب : " أنا قلبي نظيف، " أدخلتها تلك لعمق الكهف فرأت وجهه. وجهه ذكرها بماضيها قبل أشهر أو قبل سنة " [٥]. وبذلك تكون الشخصية قد

---

[١] - الرواية ، ص ، ٦٦ .
[٢] - خليفة سحر ، ربيع حار ، مصدر سابق ، ص ، ٦٧ .
[٣] - الرواية، ص ، ١٩٨ .
[٤] - الرواية ، ص ، ١٨٩+١٩٠ .
[٥] - الرواية ، ص ، ١٩٤ .

قدمت دفعة واحدة، دون أن تترك للقارئ فرصة التعرف إليها وإلى صفاتها وملامحها ولوحتها الداخلية شيئاً فشيئاً .

٢ ـ أم سعاد :

قدمها الساردة من خلال الوصف و التقرير الصحفي، فهي كريمة سخية، " صلبة، وكذلك حنونة وسخية. كانت تحب أن تطعمه كلما جاء لزيارتها. فهذا سمبوسك وهذه مناقيش وأصابع زينب وعوامة. وحين علمت بعيد ميلاده صنعت له كعكة جميلة وزوقتها بورق الليمون و الفراولة " [١].

ويأتي حديث الراوي عنها مكرراً صفاتها ، فهو يقدم معلومات صحفية دون أن يترك للقارئ متعة اكتشاف الشخصية ، " فهو يعرف عن ماضيها وعن حاضرها وزوجها السجين وابنتها سعاد " [٢] .

فالراوي يقدم معلومات عن تاريخ الشخصية، كيف سجن زوجها ؟ وكيف تغيرت حالها بعد سجنه ؟ وكيف عملت في الخياطة ؟ وكيف أصبحت مسؤولة عن البيت ؟ وعن الإنفاق على الأسرة وتعليم الأبناء . " فضحكت أم سعاد وقالت للبنات: يا الله اشتغلوا، مالكم واقفين ؟ كانت تريد تسليم الشغل وقبض الثمن قبل بدء الهجوم، فهي المسؤولة عن فتح البيت وهي المسؤولة عن المشغل وأجور البنات. مذ فارقها وقبع في السجن صارت امرأة قوية. في البداية ، ككل النسوان، قبعت في البيت تطبخ وتنفخ وتحبل وتلد مثل القطط والأرانب. ففي كل سنة ولد في البطن وولد في الحضن وولد يلتصق بركبتها حتى طفحت أركان الدار، وما عادت تتسع لفقس جديد، فجاء اليهود ورحموها. وأخذوا المحروس فقاس البيض وتركوا الدجاجة و الصيصان. صاحت ناحت وشدت الشعر ثم انتفضت وبدأت تعمل . باعت أسوارة مبرومة واشترت ماكينة لحبك الصوف. ثم أخرى، ثم أخرى فامتلأت الدار بالماكينات " [٣].

ومن خلال حديث الراوي عنها ، وعن علاقتها بزوجها بعد سجنه، وكيف أصبحت مسؤولة عن البيت ؟ فكل ذلك يؤدي إلى إضجار القارئ وملله . " وقال لها :

---

[١] ـ الرواية ،ص ، ٢٣٨ .
[٢] ـ الرواية، ص ، ٢٣٩ .
[٣] ـ الرواية خليفة سحر ، ربيع حار ، مصدر سابق ، ص ، ٢٤١+٢٤٢ .

" و الله لو يصفوا لي الحوريات ويقولوا خذ، ونقي ، ما أنقي غيرك يا مجنونة " ففقعت الضحكة ثانية وطردها اليهود . شيء مذهل !! بسبب اليهود صار بني آدم ! "[١] .

وتقديم المعلومات – الذي لا يسهم في بناء العمل الفني - عن أولادها الذين صاروا في الغربة، من أجل طلب الرزق، " أولادها باتوا في الغربة وهو أيضاً متغرب عن أمه من ٣ سنوات . لو أنه يعود إلى أمه ويعود سعيد واخوته له، لكن الحظ، و الرزق، و النصيب و المستقبل . هناك الأولاد لهم مستقبل . أما هنا، ماذا يجدون؟ ما يجده الآن ابن غزة ؟ "[٢] .

ومن خلال حديث الشخصيات معها، الذي بين أن لها مكانة مرموقة في الحارة،" الصبر يا ملكتنا يا ست الكل يا أم الحارة يا مختارة يا أحلى أم " [٣]، وبذلك تكون قد قدمت الشخصية من خلال الأخبار وتقديم المعلومات، والتقرير الصحفي دون أن تترك للقارئ فرصة التعرف إليها .

التقنيات :

استخدمت الكاتبة مجموعة من التقنيات الحديثة في رواياتها المختلفة ، مثل : تيار الوعي والحوار الداخلي والتداعي ، تعدد الأصوات ، الوصف ، التذكر والاسترجاع ، اللغة الشعرية ، وتعدد الضمائر ، وهي تقنيات فرضتها الرؤية الفنية ، كما أنها أسهمت في نمو الأحداث ورسم الشخصيات وتجديد البنية السردية ، وتصوير الماضي والحاضر .

١- تيار الوعي :

" يمكن أن نعرف قصص تيار الوعي " بأنه نوع من القصص يركز فيه أساساً على ارتياد مستويات ما قبل الكلام من الوعي بهدف الكشف عن الكيان النفسي للشخصيات" [٤]. " فتيار الوعي ليس مرادفاً للمنولوج الداخلي" [٥] " فهو يشمل الأحاسيس، و الذكريات، و المشاعر، و المفاهيم، و الأوهام، و التخيلات، وتلك الظواهر التي ليست فلسفية ولكن لا يمكن تفاديها باضطراد، وهي التي

---

[١] - الرواية ، ص ، ٢٤٣ .
[٢] - الرواية ، ص ، ٢٥٩ .
[٣] - الرواية، ص ، ٢٦٤ .
[٤]-روبرت همفري ، تيار الوعي في الرواية الحديثة ،مرجع سابق ، ص ٢٢
[٥]- المرجع سابق ، ص٢٤.

نسميها الحدس، و الرؤية، و البصيرة "[١] . وقد استخدمت الساردة تقنية تيار الوعي ، لكي ترسم اللوحة النفسية الداخلية لبعض شخصياتها ، و لتلقي أضواء على عالمها الداخلي ،مثل : شخصية عفاف في " مذكرات امرأة غير واقعية " ، حيث استخدمت هذه التقنية التي باتت " العلامة المميزة للمدرسة " الباطنية " الإنكليزية في تجديد الرواية ، والثورة على الرواية التقليدية ، كما أن الوصف أو رفض الشخصية والحدث والحكاية والالتزام والواقع علامات مميزة للمدرسة الفرنسية المماثلة " [٢].

وهو من " المصطلحات الخدّاعة التي يستخدمها الكتاب و النقاد. إنه خدّاع لأنه يظهر على أنه محدد، ومع ذلك يستخدم على نوع متنوع وغامض كما هو الحال بالنسبة لمصطلحات أخرى مثل " الرومانتكية " ، و " الرمزية " و " السريالية " [٣] .

وقد استخدمت الساردة تيار الوعي في "مذكرات امرأة غير واقعية "، وغيرها من الروايات " وأحياناً حين استعملها لتقطيع اللحم أتساءل وابتسامة غامضة على وجهي " لحم من هذا ؟ " وأسحب عنق الدجاجة حتى يصبح متوتراً كالوتد وأقول "عنق من هذا ؟ " ما هذا ؟ " وأحس بماء بارد يسيل من قمة عمودي الفقري حتى نهاية ظهري وأتساءل : ما الذي تفعلينه يا عفاف؟ فتقول عفاف : لم أفعل شيئاً أين الوعي يا عفاف ؟ فتقول عفاف : أي وعي ؟ " [٤].

٢ـ تعدد الأصوات :

يلجأ الكاتب إلى استخدام هذه التقنية عندما يقدم وجهات نظر مختلفة، متعددة ومتضاربة، وقد تكون متكاملة متناغمة في بعض الأحيان إذ " إن سيطرة أحادية الراوي العالم بكل شيء أصبحت غير محتملة في العصر الحديث مع التطور الثقافي العريض للعقل البشري، بينما أصبحت النسبية المتشعبة في النص

---

[١]- المرجع سابق ، ص٢٦.
[٢]- سليمان نبيل ، حوارية الواقع والخطاب الروائي ، الطبعة الثانية ، دار الحوار ، اللاذقية ، ١٩٩٩ ، ص ، ٢٧ .
[٣]- روبرت همفري ، تيار الوعي في الرواية الحديثة ، مرجع سابق ص ١٧.
[٤] - خليفة سحر ، مذكرات امرأة غير واقعية ،مصدر سابق ، ص ، ٤٩ .

القصصي أكثر ملاءمة "[١]ويلجأ الكاتب إلى استخدام البوليفونية " أو تعدد الأصوات " ،عندما تتوافر الشروط التالية :

أ- عندما تتواجد عدة منظورات مستقلة داخل العمل.

ب- يجب أن ينتمي المنظور مباشرة إلى شخصية ما من الشخصيات المشتركة في الحدث، أي بعبارة أخرى ألا يكون موقفاً أيديولوجياً فقط، مجرداً من خارج كيان الشخصيات النفسي.

ج- أن يتضح التعدد المبرز على المستوى الأيديولوجي فقط، ويبرز ذلك في الطريقة التي تقيّم بها الشخصية "٥ وهي الوسائل الممثلة للإيديولوجيات المختلفة " العالم المحيط بها .

لقد استخدمت الكاتبة هذه التقنية في أكثر من رواية مثل : " باب الساحة " حيث " فرضت طبيعة التجربة المصورة وهي فعل جماعي نضالي تعدد الشخصيات وتنوعها ، وهو ما فرض تعدد الأصوات ، وإن تكن أصوات النساء الأكثر بروزا وتنوعا، و ارتباطاً مع منظور الرواية للانتفاضة وعلاقتها بمنظومة القيم . ويبدو أن الأجواء العامة القائمة على الحركة و الحذر و التوجس و المقاومة و القنص و المطاردة وفعل المجابهة الجماعي قد فرضت بنية سردية متوهجة تتداخل فيها أصوات الرواة – وأصوات الشخصيات و تتمازج وتتعارض لتشكل صوراً سردية غير مألوفة صوراً تنهض من خلال تمازج الوصف و السرد و الحوار و التداعي و الأصوات المتعددة " [٢].

فتعدد الأصوات يعطي الصور السردية حركة وجاذبية ، ويمكن من تقديم المادة الروائية بموضوعية أكبر ، " ولا شك أن تعدد الأصوات وتمازج الأساليب يضفي على الصور السردية والحوارية الحركة و الجاذبية، كما يمكن من تقديم المادة

---

[١]- سيزا قاسم ، بناء الرواية ، دراسة مقارنة في "ثلاثية " نجيب محفوظ ، د.ط ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٤ص ١٩١.

5- انظر المرجع السابق ،ص ، ١٩٠ .

[٢]- الماضي شكري ، الرواية والانتفاضة ، مرجع سابق ، ص٦٢.

الروائية بموضوعية أكبر . كما أن تعدد الأصوات وتنوع وجهات النظر يحول الرواية إلى حقل للصراع " [١]

كما تستخدم تقنية تعدد الرواة في رواية " الميراث "حيث إن " هناك راويين :

- الراوي بضمير المتكلم " أنا " وهي هنا " زينة " .
- الراوي المتكلم بضمير الغائب " هو " ، وهذا الراوي ما يطلق عليه عادةً اسم "الراوي العليم " [٢]

فتداخل الأصوات تقنية فنية مهمة ، تتطلب قدراً كبيراً من المهارة الفنية ،"غير أن لعبة تتداخل الأصوات بين ضمير المتكلم أنا وضمير الغائب هو تبلغ ذروة المهارة و العفوية فنجد مثلاً كيف يتقمص الراوي العليم دور شخصية نهلة وكأنها هي من تروي المشهد، "[٣]

٣- **تعدد الضمائر** :

تستخدم الكاتبة هذه التقنية في رواية ، مثل رواية "باب الساحة، "ويلاحظ تعدد الرواة وتنوع الضمائر فمن ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم إلى ضمير الجماعة، إلى ضمير المخاطب، كما في المثال التالي : "وفي هذا الظرف وحين تحشر في الزاوية، لن تجد الوقت للبس المسوح . ولا وقت لمريم المجدلية و الخد الأيسر .أنت الآن في مأزق، و الطريق مسدود وأنت مطارد . أنت الضحية و الجلاد. وإذا جلدوك بكف الضحية ، ضحي بها من اجل الغد. لا بد من إنقاذ سمر. ولكن كيف؟ " فتعدد الضمائر وتنوعها يأتي نتيجة لتعدد الأصوات وتحولات المواقف وكل هذا وسم السرد بالحيوية و التوهج و الجاذبية " [٤] .

فالسرد يجذب القارئ ، ويعطيه حرية الحكم ، فكأنه يحاور صديقاً عزيزاً "بواسطة ضمير المتكلم يساعد القارئ على أن يتماهى بنفسه مع الصديق المحايد " [٥] .

---

[١]- المرجع السابق ، ص٦٢.
[٢]- أبو نضال نزيه ، تمرد الأنثى ، مرجع سابق ، ص٥٤.
[٣]- أبو نضال نزيه ، تمرد الأنثى ، مرجع سابق ، ص ٥٥.
[٤]- المرجع السابق ، ص٦٣+٦٤.
[٥] - ويليك رينيه و أوستن وارين ، نظرية الأدب ، مرجع سابق ، ص ٢٣٣ .

٤- اللغة الشعرية :

نجد أن الكاتبة تنوع في أساليبها المختلفة حيث تستخدم اللغة الشعرية المتوهجة التي تثير القارئ، " بل نجدها تنوع في أساليب اللغة واستخدامات النص الأدبي حتى تراها تراوح بين غنائية شعرية محلقة وبين واقعية سوقية بذيئة " [١] . "وهناك لغة شعرية مكثفة مليئة بالظلال و الألوان الرامزة الموحية " [٢] "ويمكن ملاحظة التناوب – المتعمد – بين اللغة الشعرية و المحكية فيما يأتي : "ترامى ظلها في خياله، حب جديد وحب قديم بل الاثنان نفس الحب. هي الأرض لا شيء يعلو عليها . ضحكت بكل نواجذها : " أنا لست الأرض، أنا المرأة ، آكل أشرب أحلم أخطئ أضيع أموج و أتعذب وأناجي الريح. أنا لست الأرض. متى تكبر ؟ قال أحمد بأسف وأسى :

– دورت عليها ما لقيتهاش . رحت لها من زقاق لزقاق. خافت مني ، تلاقيها دايرة تتسكع ميتة من الجوع " [٣].

---

[١]- المرجع السابق ، ص ٥٥.
[٢]- الماضي شكري ، الرواية والانتفاضة ، مرجع سابق ، ص ٦٤.
[٣]- المرجع السابق ، ص ٦٦.

الخاتمة

وفي خاتمة هذه الدراسة يمكن إجمال أهم النتائج التي تم التوصل إليها فيما يأتي :

أولاً : قدمت الكاتبة صورة مميزة ومتعددة ومتنوعة للمرأة في مختلف رواياتها ، فطرحت قضايا المرأة بكل شفافية وصراحة ، دون مواربة أو خجل ، فقدمت لنا المرأة بقوتها وضعفها ، بحزنها وفرحها ، بإيجابياتها وسلبياتها ، ومعاناتها في المجتمع الشرقي ، وتحت ظل الاحتلال .

ثانياً :من الملاحظ أن الشخصيات الرجالية ، كانت ظلالا للشخصيات النسائية ، ولم يكن لها ذلك الدور الفاعل تحت الاحتلال ، بالرغم من كل التضحيات التي قدموها وبذلوها في سبيل الوطن ، فكان موقف الكاتبة موقفاً سلبياً من الرجل ، وكان مشجباً علقت عليه كل مصائب المرأة ، ومشاكلها التي ترسخت خلال عدة قرون .

ثالثاً : لقد كانت الروايات ، تعرية لازدواجية المجتمع وكشفاً لزيفه ، المجتمع الذي يبيح للذكر عمل كل شيء دون أية إدانة ، ويمنع المرأة من عمل كل شيء ، لمجرد أنها امرأة ، فجاء موقف الرجال في معظم الروايات موقفاً سلبياً من المرأة ، فكانت النساء مضطهدات و مقموعات يعانين من ظلم مزدوج ظلم الرجل وظلم الاحتلال .

رابعاً : لقد كان موقف الكاتبة سلبياً من القادة ، الذين يستغلون المرأة ويسخرونها لمصالحهم الشخصية ، فقدمت لنا الكاتبة نماذج نسوية، لها أبعادها ودلالاتها المختلفة، فكانت صوتاً روائياً مميزاً وشخصية متفردة .

خامساً : لقد رصدت الكاتبة التطور الذي طرأ على شخصية المرأة، من حيث التفكير و العمل و النمو، وواكبت هذا التطور بشكل فني، فقدمت تجربة بشرية مصورة، من خلال رؤية فنية خاصة، فقدمت الروايات من خلال بناء فني متميز وكان هناك علاقة حميمة بين الرؤية الفنية، و الأساليب و الأدوات الموظفة .

سادساً : ومن خلال دراستنا لروايات الكاتبة دراسة شاملة، تعرفنا إلى العديد من صور المرأة، من مثل : المرأة المثقفة ، العاملة ، الأم ، المومس ، المناضلة ، الزوجة ، الرمز، فكانت صورة المرأة انعكاساً لحركة الواقع الفلسطيني، فكشفت الروايات عن فساد فئات في المجتمع، كان المفروض فيها أن تكون شريفة، فتلك الفئات لم تعد تعبر عن طموحات الجماهير، بسبب أنانيتها وفرديتها، وبعدها عن المشاكل الحقيقية التي يعاني منها المجتمع، - وخصوصاً المرأة – مما أدى إلى ظهور فئات جديدة .

سابعاً : إن الظروف الاجتماعية و السياسية القائمة، فرضت على المرأة أنواعاً عديدة من الكبت، مما فرض على الكاتبة استخدام أساليب عدة في رسم صورة المرأة ومن هذه الأساليب : الأسلوب التصويري ، الأسلوب الاستبطاني ، الأسلوب التقريري ، ولكل أسلوب من هذه الأساليب أدواته التي تبرز من خلاله الشخصية، وقد تبين أن هناك صلة وثيقة بين اختيار الكاتبة لأسلوب ما، في رسم الشخصية وبين البناء العام للرواية ورؤيتها الفنية .

ثامناً : إن طبيعة الأحداث، و المكان و الزمان و الظرف التاريخي، الذي تدور فيه أحداث الرواية، وطبيعة الشخصية فرض هذا الأسلوب دون غيره، استخدمت الكاتبة مجموعة من التقنيات الحديثة في رواياتها، مثل : تيار الوعي ، وتعدد الأصوات والضمائر ، و اللغة الشعرية و التذكر، و القطع الزماني و المكاني، مما أدى إلى إبراز جماليات الرواية، وقد كان استخدام الكاتبة لصورة المرأة ، التي لها دلالات خصبة وثرية ناجحاً في إبراز القضايا الفكرية في الرواية و الرؤية الفنية العامة .

وأخيراً فإن الدارس يشعر بأن روايات الكاتبة، تشكل علامة بارزة في مسار الإبداع النسوي في الأدب العربي الحديث . وهي روايات يمكن أن تدرس من زوايا عديدة ومداخل متنوعة، بسبب غناها الفكري و الفني و تجدد بناها السردية .

أ ـ المصادر :

*- القرآن الكريم .

* - روايات سحر خليفة :

١- لم نعد جواري لكم، الطبعة الثانية ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٩٩ ، الطبعة الأولى ١٩٧٤،دار المعارف، القاهرة .

٢- الصبار ، دار الآداب ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٩، الطبعة الأولى ١٩٧٦، دار جاليليو ، القدس .

٣- عباد الشمس ، الطبعة الأولى ، منظمة التحرير الفلسطينية دائرة الإعلام و الثقافة ، دار الفارابي بيروت ، ١٩٨٠

٤- مذكرات امرأة غير واقعية ، دار الآداب ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٢، الطبعة الأولى ١٩٨٦، دار الآداب، بيروت .

٥- باب الساحة . دار الآداب ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٩، الطبعة الأولى ١٩٩٠، دار الآداب ، بيروت .

٦- الميراث ، دار الآداب ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧ .

٧- صورة وأيقونة وعهد قديم ، دار الآداب، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٢ .

٨- ربيع حار ، رحلة الصبر والصبار . دار الآداب ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٤ .

ملحوظة : رتبت الروايات وفق تاريخ صدور الطبعة الأولى منها .

ب - المراجع :

١- آرنولد ب . هنجلف ، اللامعقول، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة ، موسوعة المصطلح النقدي ، دار الرشيد ، منشورات وزارة الثقافة والأعلام – الجمهورية العراقية سلسلة الكتب المترجمة "١٢٠" بغداد، الطبعة الثانية ، ١٩٨٢ .

٢- أمين ، أحمد ، النقد الأدبي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٣ .

٣- أمين ، قاسم ، الأعمال الكاملة ، تحرير المرأة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٦ ، دراسة وتحقيق الدكتور محمد عمارة .

٤- بدر ، عبد المحسن طه ، تطور الرواية العربية الحديثة في مصر "١٨٧٠-١٩٣٨" ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ، ١٩٩٢ .

٥- حداد ، نبيل ، الرواية في الأردن ، فضاءات ومرتكزات ، وزارة الثقافة ، عمان ، الطبعة الأولى ٢٠٠٢ .

٦- حمدان ، حمدان أمية ، الرمزية و الرومانتيكية في الشعر اللبناني ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨١ .

٧- الخالد كورنيليا ، " المرأة العربية : الإبداع النسائي، النظريات النسوية "، في خصوصية الإبداع النسوي ، أوراق عمل الإبداع النسائي الأول من ٢٣إلى ٢٦ آب ١٩٩٧، سلسة كتب ثقافية تصدرها وزارة الثقافة ، المملكة الأردنية الهاشمية ،كتاب الشهر ١٥ ، ٢٠٠١ .

٨- دراج ، فيصل : دلالات العلاقة الروائية ، مؤسسة عيبال للدراسات و النشر، قبرص- نيقوسيا ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣ .

٩- دراج ، فيصل ، الرواية و السيرة الذاتية ، من كتاب دراسات في الرواية العربية ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٨.

١٠- الدليمي لطيفة، " مفهوم الحرية في الإبداع خبرة الحرية في الأدب " ، في خصوصية الإبداع النسوي ، أوراق عمل الإبداع النسائي الأول من ٢٣إلى ٢٦ آب ١٩٩٧، سلسة كتب ثقافية تصدرها وزارة الثقافة ، المملكة الأردنية الهاشمية ،كتاب الشهر ١٥ ، ٢٠٠١ .

١١- ديفد ، لودج ، الفن الروائي ، ترجمة ماهر البطوطي ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ،الطبعة الأولى ، ٢٠٠٢ .

١٢- السعافين ،إبراهيم ، تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام ، ١٨٧٠- ١٩٦٧ ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨٠ .

١٣- السعداوي ، نوال ، الأنثى هي الأصل ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، من منشورات وتوزيع المكتبة العالمية بغداد ، د، ت . د، ط .

١٤- السعداوي ، نوال ، الوجه العاري للمرأة العربية ، دار ومطابع المستقبل ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ،١٩٩٤ .

١٥- سليمان، نبيل ، حوارية الواقع والخطاب الروائي ، الطبعة الثانية ، دار الحوار ، اللاذقية ، ١٩٩٩ .

١٦- سليمان ، نبيل ، فتنة السرد والنقد ، دار الحوار، اللاذقية ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٠ .

١٧- سماحة ، فريال كامل ، رسم الشخصية في روايات حنا مينة ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٩٩٩ .

١٨- شكري ،غالي ، أدب المقاومة ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٠.

١٩– شهاب ، أسامة :القصة النسوية المعاصرة في الأردن وفلسطين ١٩٤٨- ١٩٨٨ وزارة الثقافة ، عمان ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٤ .

٢٠- طه ، وادي ، صورة المرأة في الرواية المعاصرة ، مركز كتب الشرق الأوسط ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٣ .

٢١- عبد الله ،عبد البديع ، الرواية الآن ، دراسة في الرواية العربية المعاصرة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٩٠ .

٢٢ - عبيدات ، أروى ، صورة المرأة في الرواية الأردنية ، وزارة الثقافة ،عمان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥ .

٢٣ - فريحات ، مريم جبر ، شخصية المرأة في القصة القصيرة في الأردن ، دار الكندي ، اربد ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥ .

٢٤- فضل ، صلاح ، أساليب السرد في الرواية العربية ، دار سعاد الصباح ، الكويت ،الطبعة الأولى ، ١٩٩٢ .

٢٥- قاسم ، سيزا ، بناء الرواية ، دراسة مقارنة في "ثلاثية " نجيب محفوظ ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، د.ط ، ٢٠٠٤ .

٢٦- الماضي ، شكري عزيز ، الرواية العربية في فلسطين و الأردن في القرن العشرين مع ببليوجرافيا ، دار الشروق ، عمان ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٣ .
٢٧- الماضي ، شكري عزيز ، الرواية و الانتفاضة : نحو أفق أدبي ونقدي جديد . المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥ .
٢٨- أبو مطر ، أحمد عطية : الرواية في الأدب الفلسطيني ، ١٩٥٠- ١٩٧٥ ، دار الرشيد ، بغداد ، د ،رقم طبعة ، ١٩٨٠ .
٢٩- أبو نضال ، نزيه : تمرد الأنثى ، في رواية المرأة العربية وببلوغرافيا الرواية النسوية العربية "١٨٨٥-٢٠٠٤ " ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت . الطبعة الأولى ،٢٠٠٤ .

٣٠- هلال ، محمد غنيمي ، النقد الأدبي الحديث ، نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع ، ٦من أكتوبر، د.ط ، ٢٠٠١ .

٣١- همفري ، روبرت ، تيار الوعي في الرواية الحديثة، ترجمة محمود الربيعي ، دار المعارف بمصر ، القاهرة،د. ط ، ١٩٧٤ .

٣٢- ويليك ، رينيه و أوستن وارين ، نظرية الأدب ، ترجمة محي الدين صبحي ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، الطبعة الثانية ، ١٩٨٧ .
٣٣- يارد ، ايفلين ، نجيب محفوظ والقصة القصيرة ، دار الشروق ، عمان ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٨ .

الدوريات :

١- حسن فتح الباب ، منار ، الخطاب الروائي عند غسان كنفاني ، دراسة أسلوبية **،كتابات نقدية** (١٣٧ " ، مدينة ٦ أكتوبر ، الطبعة الأولى ، أغسطس ٢٠٠٣.

٢- خليل ، إبراهيم ، ("الذات الأنثوية ، في ثلاثة نماذج من السرد النسوي "" **،أفكار** ، العدد، ١٣٤ ، عمان ، ١٩٩٨ .

٢- العدوان أمينة ، لم نعد جواري لكم ، نقد وتحليل ، **مجلة أفكار** ، عدد (٢٣ " ، حزيران ، عمان ، ١٩٧٤.

المراجع بالإنجليزية :

١ - Sahar Khaleefeh, Women Of No Mans Land Ph. D. Thesis , My Story Biographical Account , University Of Iowa, Iowa City ,1988 .

الرسائل الجامعية :

١- الشنابلة ، نسرين ، روايات سحر خليفة ، رسالة ماجستير ، الجامعة الأردنية ، بإشراف الدكتور عبد الرحمن ياغي ، كانون أول ١٩٩٣ .

عناوين الإنترنت :

١- http://www.ibn-rushd.org/forum/Hakam-Sahar.htm ، الأسطة عادل ، ٩ / ١١ / ٢٠٠٥ .

٢- نبيه منذر ، نجحت سحر خليفة منذ روايتها الأولى ،-http://www.ibn rushd.org/forum/Hakam-Sahar.htm ٢٠٠٥/١١/٩ .

ABSTRACT

THE IMAGE OF THE WOMAN IN SAHAR KHALIFA'S NOVELS

Supervised by
Shukri Aziz Almadhi

The current study aims to identify the image of the woman in Sahar Khalifa's novels. Such an image is an

image of various aspects, which does have different issues and dimensions through which there is a

connection of the character and the tool with the novelist's comprehensive vision. The comprehensive

vision is an important critical issue which enables the reader to reveal the relation between vision and genre

formulation.

The study focuses on the kind of relation between the woman image and th present social values system.

The study consists of : introduction and foreword, three chapters and conclusion followed by references

In the introduction, the researcher discussed the major phases of the writer's life. Chapter one

" woman issues in Khalifa's novels" is divided into three axes : Self-actualization, Social issues and

the National Cause. These axes revealed the main issues concerning women dealt with by the writer in her novels with openness and transparency. As for the second chapter" the image of the woman in Sahar Khalifa's novels, it was divided into the following: the educated woman, the mother, the working woman, the struggler, the slut and the symbol. Such axes uncover the most prominent images of the woman in the novels and their connotations. The third chapter" portraying woman in Sahar Khalifa's novels". This chapter is divided into the following axes: characterization style, psychological style, journalistic style and techniques. This chapter showed the styles the writer used in portraying characters and the way in which each character was presented in the novel as well as the style used in coherence with the vision of the novel.

The conclusion focuses on the findings of the study. The researcher made every effort necessary for arriving at the best research.